# الدرر البهية

## شرح السلسلة الذهبية في الأعمال القلبية

تأليف
فضيلة الشيخ
أبي عبد الله محمد أيوب القرشي

# الدرر البهية

## شرح السلسلة الذهبية

## في الأعمال القلبية

تأليف

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد أيوب القرَشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# مقدمة

الحمد لله الذي جعل القلوب محلَّ نظره، وأودع فيها لطائف وأسرار قدرته، وخلقها قابلةً للتقلب كل وقت وحين، ليميز الصادقين من الكاذبين، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، ولا شبيه ولا مثيل ولا ندَّ له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه وأنعم، الذين كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، وعلى من اتّبع سبيلهم، واقتفى آثارهم، إنه واسع عليم، حليم كريم.

**أما بعد**: فقد حرص أئمتنا وعلماؤنا قديمًا وحديثًا على تذكير الناس بعمل الباطن، والحرص على تخليص القلوب وتزكيتها من كل شائبة، لترقى في درجات العبودية، عن طريق: التفكر، والتدبر، والمحاسبة، والترهيب، والترغيب، والذكر، والخوف، والرجاء، والحب، والزهد، والولاء، والبراء، وجهاد النفس والهوى والعِدا، والتوكل، والتفويض، وما إلى ذلك مما يتعلق بتطهير الباطن، الذي هو محلُّ نظر الله تعالى الأول والآخر، والظاهر والباطن.

ومما جرى به العمل عند علمائنا قديمًا وحديثًا، أنه ما من علم من العلوم إلا ويختصرونه في نظم ليتيسر حفظه، ويسهل فهمه، فقد ألفوا منظومات في: اللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، والحديث، والتجويد، والتفسير، والفرائض، والأصول، والفقه، والأدب، وغير ذلك من شتى العلوم.

إلا أن علم أعمال القلوب، لم أجد من خصها بالنظم إلا شيخين:

**أما الأول**: فهو الشيخ العلامة الإمام حمد بن عتيق النجدي المتوفي سنة 1301هـ رحمه الله [1]، فقد كتب منظومة في أسباب حياة القلوب، في واحد وأربعين بيتًا، يقول في مطلعها:

| | |
|---|---|
| حمـــدت الـــذي أغنـــى وأقنـــى وعلهـــا | وصـــير شـــكر العبـــد للخـــير ســـلما |
| وأهـــدي صـــلاة تســـتمر عـــلى الرضـــا | وأصـــــحابه والآل جمعـــــا مســـــلما |

**وأما الثاني**: فتلميذه الشيخ العلامة سليمان بن سحمان بن مصلح النجدي المتوفي سنة 1349 هـ، رحمه الله [2]، له منظومة لامية في القلب السليم، في تسعة وسبعين بيتًا، يقول في مستهلها:

| | |
|---|---|
| بحمـــــــد الله نبـــــــدأ في المقـــــــال | وذكـــــــر الله في كـــــــل الفعـــــــال |
| فـــــذكر الله يجلـــــو كـــــل هـــــم | عـــن القلـــب الســـليم عـــلى التـــوال |
| فللقلـــــب الســـــليم إذا تزكـــــى | علامـــــات هنالـــــك للكـــــمال |
| علامـــــات لصـــــحة كـــــل قلـــــب | ســـليم عـــن مداخلـــة الضـــلال |

وكل منهما ـ رحمهما الله ـ لم يعط الموضوع حقَّه كاملًا، بل عالج حالًا من أحوال القلوب، حتى جاء الشيخ أبو محمد العدناني ـ حفظه الله ـ فأسهم بما أوتي من فصاحة النقل، ورجاحة العقل،

---

(1) حمد بن علي بن محمد بن عتيق: قاض حنبلي من علماء نجد، ولد في بلدة الزلفي وتفقه في الرياض، له كتب مختصرة مطبوعة منها: إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد، وبيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك، والدفاع عن أهل السنة والاتباع، وهو والد الشيخ سعد بن حمد بن عتيق. الأعلام للزركلي (2/ 272).

(2) سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان النجدي، الدوسري بالولاء: كاتب فقيه، له نظم فيه جودة، من علماء نجد، ولد في قرية (السقا) (بتخفيف القاف) من أعمال أبها، وصنف كتبًا ورسائل منها: الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق، و الهدية السنية، وتبرئة الشيخين، وإقامة الحجة والدليل، وديوان شعر سماه (عقود الجواهر المنضدة الحسان وغير ذلك، وكف بصره في آخر حياته، توفي في الرياض. الأعلام للزركلي (3/ 126).

بمنظومة ضرب فيها بالنصيب الوافر، ونال بها القِدح المعلَّى والسهم القامر، ذكر فيها تسعة وأربعين فصلًا من غير المقدمة والخاتمة، وسمَّاها: (**السلسلة الذهبية في الأعمال القلبية**)، تقع في اثنتي عشر ومائتي بيت، جمع فيها ما هو مبثوث في عدة كتب ـ خاصة كتب الشيخين: ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله ـ فغدت متلاحمة الأجزاء، سهلة المخارج، تجري على اللسان، كما يجري الدهان، لا تكلف فيها ولا تعسف، ألفاظها متناسقة، ومعانيها مع مبانيها متطابقة، سهولة في السمع، ووقع في النفس، وعذوبة في القلب، ورَوح في الصدر، ولذة وشوق، وأنس وحنين، ورهبة ورغبة.

ولما أن قدر الله تعالى لي سمعها، اهتزَّ قلبي لذةً لها، فأطرقتُ نصف ساعة إلا دقيقة أنصت لها[(3)] بصوت عذبٍ شجيٍّ لقارئها، فعشت مع فصولها، ينقلني قارئها من فصل إلى فصل، ومن منزلة إلى منزلة، وكانت الكلمات تسري في قلبي، وتجعلني أشتاق لشرحها ليحس كل مستمع بما أحس به، وليشعر بما أشعر به. وذلك لأن المنظومة كان كل بيت فيها يحمل معاني جمة، وأقوالًا للعلماء اختزلها الشيخُ الناظمُ في ألفاظ مختصرة، وبأسلوب أدبيٍّ بديع، جامع مانع.

فلما أخبرت بعض طلبتي بهذا الشعور، رغبوا في شرح مبهماتها، وفك ألغازها، وأبدوا سرورًا وبهجةً وشوقًا ونضرة، مما جعلني أستخير الله تعالى مرارًا في البدء في الشرح، حتى شرح الله لي صدري، فارتفعت همَّتي، وانطلق قلمي، وأخذت أقيِّد ما يفتحه الله تعالى عليَّ من فَهم وإدراك، كلما تيسر لي وقت، فشرعت في التأليف شهر شوال 1435 هـ، وانتهيت يوم 7 ربيع الثاني 1436 هـ، موافق 29/ 01/ 2015، بتوفيق الله تعالى وتيسيره، مع ما في من أشغال في القلب، وشرود أفكار في الذهن، تارة في أمور الأهل والأولاد، وتارة في همِّ الأمة وأحوالها. ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: 21]. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وقد اخترت في شرح المنظومة، الطريقة الآتية:

---

(3) ومما زاد المنظومة حسنا ولطافةً قارئُها، فقد أحسن أداءها، وأبدع فيها، جزاه الله خيرًا.

ـ أضع الأبيات التي ستشرح مجموعة، ثم آخذ في شرح كل شطر على حدة.

ـ قد أتوسع أحيانًا في الإعراب، لمزيد بيان، وكثيرًا ما أتغافل عنه قصدًا، لكي لا ينشغل القارئ عن لبِّ الموضوع. الذي هو: أعمال القلوب.

ـ إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، أكتفي به دون ذكر من رواه من غيرهما، وإذا لم يكن في الصحيحين، عزوته لمن رواه، دون تتبع، بل أكتفي بتحقيقات الشيخ الألباني رحمه الله.

ـ اعتمدت في الغالب عما في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله ـ لأمرين:

**الأول**: لأنَّ الناظم استمدَّ لبَّ المنظومة من كتبهما، كما هو واضح في قوله:

**فَخَطَّهُ ابنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ وَشيخُهُ مِنْ قبلِهِ في التُّحفةِ**
**لِكَشْفِ كلِّ شُبْهَةٍ صُوفِيَّةٍ وَفضحِ كلِّ بِدْعَةٍ وَشَطْحَةِ**

وقوله:

**وَجاءَ في التَّقوى عنِ ابنِ تيميهْ أنْ نحتمي باللهِ منهُ، قلْ هِيَهْ**
**لأنَّهُ بالضُّرِّ وَالنَّفعِ انفردْ بِنَفْسِهِ وَفِعْلِهِ إلى الأبَدْ**
**وَحَدَّها ابنُ القيِّمِ بما اجتمعْ مِنْ صالحِ الأعمالِ معْ علمٍ نَفَعْ**

فأحببت أن أبين للقارئ أن الناظم ـ حفظه الله ـ قد استفاد من علم الشيخين، وأنه على منهج أهل السنة، بخلاف ما يغمزه به الحاقدون، والمخالفون، والمتساقطون.

**الثاني**: لأن الشيخين ـ ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما، يعتبران من أحسن من حقق الكلام وحرَّره في أعمال القلوب، وتزكية النفوس، على مذهب أهل السنة والجماعة، فلم يتلوَّثا ببدعة غلاة الصوفية، ولا بسائر بدع الفرق الضالة، بل تصدَّيا لهم، حتى لا يكاد عالم ـ بعد القرن الثامن ـ يستغني عن النظر في كتبهما والاستفادة منهما، والاستشهاد بكلامهما على أهل البدع، حتى انتشر علمهما في

مشارق الأرض ومغاربها، كانتشار علم الأئمة الأربعة، وما ذلك إلا لقوة الحجة، والتمسك بالكتاب والسنة. جزاهما الله خيرًا، ورحمهما الله رحمة واسعة.

ـ ترجمت للشيخ صاحب المنظومة ـ حفظه الله ـ.

ـ قدمت بين يدي الشرح: المبادئ العشرة لعلم أعمال القلوب.

ـ وضعت المنظومة كاملة في آخر الكتاب.

هذا، وقد سميته: ( **الدرر البهية شرح السلسلة الذهبية في الأعمال القلبية**) سائلًا من ربِّ البريَّة، أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وذخرًا لي يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتاه بلقب سليم.

وآملًا منه عز وجل أن تصل نسخةٌ منه إلى الشيخ صاحب المنظومة ـ أبي محمد العدناني حفظه الله ـ لينظر فيها، فإن رآها قد شفت العليل، وروت الغليل، ووفَّت الغرض والمقصود، فالحمد لله الكريم الودود. وإن رآها على غير ذلك، فعزَّ سبحانه الذي تفرد بالكمال وجلَّ، ورحم الله عبدًا سدّ الخلل.

وهذا أوان الشروع في المقصود من شرح المنظومة، وبالله وحده في كل شيء يستعان، وعليه وحده التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**وكتبه أسير ذنبه، الفقير إلى رحمة ربه**

**أبو عبد الله محمد أيوب القرشي**

# أهمية الاهتمام بأعمال القلوب

اعلم ـ رحمك الله ـ أن العلم بأحوال وأعمال القلوب، لا يحيط بها إلا خالقُها علَّامُ الغيوب، وذلك لأن أعمال القلب لا تُرى إلا عبر الجوارح، فكل حركة من حركات البشر، إنما هي أثر عن عمل من أعماله، وحال من أحواله، التي لا تكاد تنفك عن أية جارحة من جوارحنا.

فالفرح والسرور:أثر عن فرح القلب وسروره، يجعل الإنسان ينشط ويضحك.

والحزن والأسى: أثر عن حزن القلب وأساه، يجعل الإنسان منقبض الوجه عبوسًا قلقًا.

وكل حال من أحوال العبد، ما هي إلا أثر كاشف عن ما عليه قلبه، وكأن الجوارح خدم تلبي أوامر القلب، الذي هو سيدها.

وإن أخطر ما يكون من أعمال القلوب هو: "مرادها "، وأعني به: النية، لأن كل حركة يتحركها العبد لا تصدر منه حتى تترقى من درجات خمس لتصل إلى التأثر على الجوارح، وهذه الخطوات والدرجات هي:

**الهاجس**: وهو الواجس، كما في قوله تعالى: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى**﴾ [طه: 67] أي: أضمر وأخفى. فالهاجس هو الخطرة التي تخطر دفعة واحدة، ثم يأتي **الخاطر**: وهو ما يخطر في النفس، فإذا ثبت فيها قليلًا؛ صار **حديث نفس**: حيث تظل النفس تتردد بين الإقبال على الفعل أو الإحجام عنه، فإذا استمر طويلًا، انتقل إلى درجة **الهم**: الذي هو عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر، فلا يبقى حينئذ إلا **العزم**: وهو القصد، حيث لا يمنعه من الفعل إلا طارئ. كما سنرى في الشرح.

والقصد أن العلم بأعمال القلوب من أهم العلوم، ومن أوجب الواجبات، لأنه متعلق ـ أولًا وآخرًا ـ بالنية، وفي هذا يقول العلامة ابن الحاج المالكي رحمه الله: "قال علماؤنا رحمة الله تعالى عليهم: الإخلاص إنما يكون بالقلب، وذلك أن لابن آدم جوارح ظاهرة وجوارح باطنة، فعلى

الظاهرة العبادة والامتثال، وهو قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ**﴾، وعلى الباطنة أن تعتقد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله مخلصة في ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿**مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: 5]. فالأصل الذي تتفرع عنه العبادات على أنواعها هو: الإخلاص، وذلك لا يكون إلا بالقلب. فعلى هذا الجوارح الظاهرة تبع للباطنة، فإن استقام الباطن استقام الظاهر جبرًا، وإذا دخل الخلل في الباطن دخل في الظاهر من باب أولى.

فعلى هذا ينبغي للمؤمن أن تكون همته وكليته في تخليص باطنه واستقامته، إذ أن أصل الاستقامة منه تتفرع، وهو معدنها، وقد نص الحديث على هذا وبينه أتم بيان فقال -عليه الصلاة والسلام -: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[4]. انتهى.

ويقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "اعلم أن القلب يسير إلى الله عز وجل والدار الآخرة، ويكشف عن طريق الحق ونهجه، وآفات النفس والعمل، وقطاع الطريق بنوره وحياته وقوته، وصحته وعزمه، وسلامة سمعه وبصره، وغيبة الشواغل والقواطع عنه، وهذه الخمسة تطفئ نوره، وتعور عين بصيرته، وتثقل سمعه، إن لم تصمه وتبكمه وتضعف قواه كلها، وتوهن صحته وتفتر عزيمته، وتوقف همته، وتنكسه إلى ورائه، ومن لا شعور له بهذا فميت القلب، وما لجرح بميت إيلام، فهي عائقة له عن نبل كماله قاطعة له عن الوصول إلى ما خلق له، وجعل نعيمه وسعادته وابتهاجه ولذته في الوصول إليه"[5].

---

(4) المدخل لابن الحاج (1/ 7). وسيأتي تخريج الحديث لاحقًا إن شاء الله.

(5) مدارج السالكين (1/ 452).

# ترجمة صاحب المنظومة: أبي محمد العدناني

هو الشيخ طه صبحي فلاحة، المشهور بكنيته، أبو محمد العدناني، المتحدث والناطق الرسمي للدولة الإسلامية، ولد سنة 1977م، في بلدة بنش قرب مدينة سراقب في محافظة إدلب، وسكن في "قضاء حديثة" في محافظة الأنبار في غرب العراق. وكان قد اعتقل في 31 مايو 2005 في محافظة الأنبار العراقية على يد قوات التحالف الدولي في العراق، ومكث ما شاء الله تعالى أن يمكث في السجن إلا أن أفرج عنه.

ونظرًا لمنهج الشيخ الواضح، وهو إيمانه بالحل الجهادي لمواجهة العدو بكل أصنافه وفرقه، فإن العدو الكافر، والمخالف الحاقد، يحاول جهد نفسه التنقيص منه، والتحذير منه، بحجة أنه نكرة غير معروف بين طلبة العلم، فضلًا عن أن يكون مشهورًا بين مشايخ الدعوة السلفية !

ونسي هؤلاء، أو تناسوا، أن العالم بحق ليس بالشهرة دائمًا، خاصة في زمن صار العالِم هو القريب من قصر رئيس الدولة، أو ملكها، والعالِم هو ذاك الجالس على كرسيه بقميصه الأبيض الذي لا يتسخ بغبار الجبال والكهوف، وسائقُ سيارته الخاصة ينتظره عند باب داره ـ وإن شئت فقل: باب قصره ـ !

ومن ثم: فلا غرو أن يجهل كثير من عامة المسلمين الشيخ أبا محمد العدناني ـ حفظه الله ـ وفي الوقت ذاته يحسبه آخرون أنه نكرة...جاهل....مبتدع !

لكننا نقول: إذا كان أهل الحديث هم أعلم الناس بتراجم الرجال والرواة، وأهل التفسير هم أعلم الناس بأقوال المفسرين، وأهل اللغة هم أعلم الناس بلسان العرب، وأهل الطب هم أعلم الناس بأعراض المرضى، ووصف العلاج، وكل صاحب صنعة هو أعلم بها من غير، وكل فن له أهله، وهم أحق الناس بالكلام فيه.

فكذلك نقول: إن تراجم أهل الجهاد والثغور، والجبال والكهوف، لا يحق أن يتكلم فيهم إلا من عاشرهم، واجتمع بهم، وتحدث معهم. لا أن يخوض في أعراضهم من هو مقيم في بريطانيا أو كندا، أو مقيم في بلاد الردة تحت حكم الطواغيت، فهؤلاء إن تكلموا بسوء فيهم، فليعلموا أننا سنحسبهم أحد رجلين: إما جاسوسًا مرتدًّا، وإما جاهلًا آثمًا، في أقل الأحوال، إذ ليس لنا الحكم على الناس إلا بالظاهر، والله يتولى السرائر.

ولذا، كان أحسنُ ما وقفت عليه في ترجمة الشيخ أبي محمد العدناني حفظه الله، هو ما شهد به الشيخ أبو سفيان تركي بن مبارك البنعلي حفظه الله. وذلك لأنه أقرب إليه، ويعرفه.

فإليك أيها القارئ ترجمة الشيخ صاحب المنظومة، بقلم من يعرفه عن قرب حفظه الله وسدده.

# اللفظ اللساني في ترجمة العدناني

## بقلم:

## أبي سفيان تركي بن مبارك البنعلي

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معز الموحدين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فإن أمثال الشيخ المجاهد أبي محمد العدناني ـ حفظه الله ـ لا يحتاج إلى ترجمة أو تعريف، إذ أن أهل العلم يقولون: " المعرّف لا يعرّف".

غير أن الآونة الأخيرة قد شهدت الكثير من التجاوزات والتعدي على رموز الأمة وأعيانها، وأبطال الملة وفرسانها، حتى سمعت تلميذ الرافضة هاني السباعي يتهجم على شيخنا بالتحوير والتزوير، وينعته بنعوت التحقير والتصغير، والعرب تقول: "كل إناء بما فيه ينضح"!

لذا أحببت أن أخط ترجمة مختصرة لفارس البيان والسنان، تؤنس الأولياء، وتغيظ الأعداء. وقد أخرج مسلم في صحيحه عن ابن سيرين رحمه الله، قال: **"**لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم**"**[6].

(6) مقدمة صحيح مسلم (1/ 15).

**أولًا**: طلبه للعلم:

نشأ الشيخ في صغره على حب المساجد والتردد عليها، وكانت هوايته منذ نعومة أظافره القراءة والمطالعة، حتى أن أهله وذويه ـ إن أرادوا شراء الهدايا له ـ لا يأتونه إلا بالقصص والكتيبات، لعلمهم بشغفه البالغ بها، وتفضيله لها على لعب الأطفال!

لذا فإنه حصَّل ثقافة عامة منذ صغره، إذ أنه كان يقرأ كل ما يقع في يده، بما فيها من كتب لغة وفلسفة وغيرها. إلى أن وُفق لِحلق القرآن، فبدأ القراءة على أحد المقرئين، ثم همَّ بحفظ كتاب الله تعالى، فأتم حفظه حفظًا متقنًا في أقل من عام! وتحوَّل نهم الشيخ ـ حفظه الله ـ في القراءة من العامة إلى الخاصة – في العلوم الشرعية–؛ بدءًا بكتب التفسير، وكان أحبها إليه "تفسير ابن كثير" حيث قرأه مرارًا ثم "في ظلال القرآن" لسيد قطب رحمه الله، حتى همَّ بكتابة "في ظلال الظلال".

وكُتب الحديث وأهمها لديه: "الصحيحان" إذ أنه كان يراوح بينهما، وكتب الفقه عامة، وقد شُغف بكتب الإمام الشوكاني رحمه الله، وعلى رأسها "نيل الأوطار" للإمام الشوكاني رحمه الله، واعتنى بفقه الجهاد، فقرأ –على سبيل المثال– "مشارع الأشواق" لابن النحاس الدمشقي رحمه الله، أكثر من ثلاث مرات، وكتب السيرة والتاريخ التي أولاها اهتمامًا بالغًا، وخاصة كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير رحمه الله، الذي قرأه ستَّ مرات، وأما كتب اللغة والأدب فحدِّث ولا حرج، فالفنُّ فنُّه والمضمار مضماره! فقد قرأ الشيخ جل كتب الأدب كـ"البيان والتبيين" للجاحظ، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي، وغيرها.

وقرأ دواوين العرب كالمعلقات وشروحها، وحفظ الكثير من أشعارهم، وأظنه مستظهرًا لديوان المتنبي، وقد قال عن المتنبي: "ما أراه إلا أشعر العرب في الجاهلية والإسلام!"، وفي النحو درس "الآجرومية" لأبي عبد الله ابن آجروم رحمه الله، ثم "قطر الندى" لابن هشام رحمه الله، ثم "ألفية ابن مالك".

وأما كتب المعاجم فقد طالع "لسان العرب" لابن منظور، وغيره.

مـــا الفضـــل إلا لأهـــل العلـــم إنهـــمُ عـــلى الهُـــدَى لمـــن اســـتهدَى أَدلاّءُ
ووَزْنُ كـــل امـــرئ مـــا كـــان يُحســـنه والجـــاهلون لأهـــل العلـــم أعـــداءُ [7]

**ثانيا: أبرز شيوخه:**

أخذ الشيخ العلم من بطون الكتب[8]، كذا أخذه من صدور الرجال، فدرس على عدد من الشيوخ في الشام.

ولما كانت الظروف الأمنية شديدة في سوريا تحت قبضة الطواغيت، كان الشيخ حفظه الله وأقرانه يتواعدون سرًّا ليجتمعوا على الدروس في البيوت بشكل دوري ولمدة سنوات، حتى منّ الله تعالى على الشيخ بالنفير إلى العراق فاستكمل الطلب والأخذ عن الشيوخ، فكان أبرز من استفاد منهم:

---

(7) ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أورده الخطيب في الفقيه والمتفقه (1/ 424) برقم 764.

(8) قد يقول قائل: أخذُ العلم من الكتب ضلال وليس بعلم، فنقول له هذا ليس بصحيح، وليس على إطلاقه، خاصة في عصر غاب فيه أهل العلم الصادعين بالحق. لذا قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "أطلق بعض الناس أن من كان دليله كتابه، كان خطؤه أكثر من صوابه، ولكن هذا ليس على إطلاقه: فإن من العلماء من تلقوا العلم من الكتب، ويسر الله لهم الأمر، وبرعوا في العلم وصاروا أئمةً فيه". (فتاوى نور على الدرب للعثيمين). وقال أيضا: "فمن الوسائل أن تتلقى العلم على شيخ مأمون في علمه ودينه، وهذه أحسن الوسائل وأقوى الوسائل وأقرب الوسائل إلى تحصيل العلم، ومنها أن تتلقى العلم من الكتب المؤلفة التي ألفها علماء مأمونون موثوقون في علمهم ودينهم، الثالث أن تستمع إلى الأشرطة المنشورة من العلماء الموثوق بعلمهم وأمانتهم. هذه ثلاث طرق يمكن أن يحصل بها العلم، وأهم شيئ هو الاجتهاد والمثابرة وحسن القصد، فإن ذلك من أسباب حصول العلم". (فتاوى نور على الدرب للعثيمين).

1-الشيخ أبو أنس الشامي رحمه الله، حيث صحبه الشيخ واستفاد منه ومن علمه، وذكره الشيخ في بيتين:

مــــن شـــــامنا أســــد العـــــراق أبـــــو ... بفكاهــــة ينسيـــ المصــــاب ويسرـــــر

في العلـــم بحـــر، في الحـــروب مهنـــدس ... حــــبر الحـــديث، وفي السياســــة عبقـــر

2- الشيخ أبو ميسرة الغريب رحمه الله، حيث صحبه الشيخ في الأسر والحرية واستفاد منه.

3- أمير المؤمنين أبو بكر البغدادي حفظه الله، حيث أتم عليه قراءة القرآن كاملًا من حفظه، حتى قال عنه الأمير: "لم أر كحفظه، اللهم إلا حفظ فلان".

لا تأخــــذ العلـــــم إلا عـــــن جهابــــذة ... بــــالعلم نحيـــا وبـــالأرواح نفديــــه

أمــا ذوو الجهــل فــاعرض عــن مجالســهم ... قــد ضــل مــن كانــت العميــان تهديــه

**ثالثًا: بعض مؤلفاته وكتاباته:**

كان وقت الشيخ حفظه الله ولا زال ضيقًا، لذا كان أغلب ما كتبه منظومًا! ومن أبرز ما كتبه من المنظوم والمنثور:

1- متن في فقه الجهاد ومسائله.

2- منظومة في فقه الجهاد، غير أن الأمريكان قد أخذوها منه في الأسر.

3- السلسلة الذهبية في الأعمال القلبية، وهي منظومة في أعمال القلوب وما يتعلق بها[9].

4- معينة الحفاظ، وهي منظومة في إرشاد حفاظ كتاب الله تعالى إلى عدد من المسائل.

(9) وهي التي يسر الله تعالى شرحها لأول مرة فيما أعلم بتاريخ 5 ربيع الثاني 1436.

5- قصيدة في ذكر معركة الفلوجة الثانية، تزيد على مائتي بيت.

6- قصيدة بعنوان: "القاعدي"، وهي قصيدة فخرية في الرد على بعض منتقدي القاعدة الأولى.

## رابعًا: دروسه وتعليمه:

اهتم الشيخ حفظه الله بالتعليم والتدريس، وخاصة للمجاهدين في سبيل الله، حتى مرت عليه أيام كان يقيم أربعة عشر درسًا في اليوم والليلة، وكانت جهوده مكرسة لتدريس العلوم الشرعية عامة، وتدريس العقيدة والقرآن واللغة وفقه الجهاد خاصة.

أما العقيدة؛ فدرّس أغلب متون التوحيد؛ كـ:

1- الأصول الثلاثة.

2- القواعد الأربع.

3- شروط ونواقض: لا إله إلا الله.

كما اهتم بتدريس مسائل الإيمان والكفر وما يتعلق بهذه الأبواب الخطيرة.

وأما القرآن؛ فكان يعقد حلق تصحيح التلاوة، وحلق التحفيظ، وكان يحرص فيها على تعليم من لا يعرف القراءة والكتابة أكثر من غيرهم.

وأما اللغة، فزيادة على تدريسه لمتن: الآجرومية؛ فإن الشيخ حفظه الله له طريقة خاصة في تعليم النحو على ست مراحل، أخذها عن بعض من استفاد منهم.

وأما فقه الجهاد، فقد درّس:

ـ كتابه في فقه الجهاد ومسائله.

ـ العمدة في إعداد العدة.

وغيرها من الكتب والمتون.

إذا قـــــال لم يَـــــترُك مقـــــالًا وَلم   لِعـــيٍّ ولَم يَـــثْنِ اللّســـان علـــى هُجْـــر
يُصَـــرّف بالقـــول اللّســـانَ إذا انتَحـــى   وينظـــرُ في أَعطافِـــهِ نظَـــرَ الصَّـــقْرِ[10]

**خامسًا: أهم مناصبه:**

دخل الشيخ حفظه الله العمل الجهادي التنظيمي منذ بداية الألفين ميلادية، حيث بايع الشيخ أبا مصعب الزرقاوي رحمه الله في سوريا مع خمسة وثلاثين شخصًا، وانطلقوا بالإعداد لبدء قتال النظام النصيري آنذاك، قبل دخول الأمريكان العراق، فلما حصل الاحتلال الأمريكي للعراق، شد رحاله إليها، فتلقاه الشيخ أبو محمد اللبناني رحمه الله.

وما زال بفضل الله مجاهدًا في العراق والشام منذ ذلك الحين، وكان من أهم المناصب التي شغرها الشيخ:

1. مدرب في معسكر حديثة أيام التوحيد والجهاد.
2. أمير حديثة بتنصيب الشيخ أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله له.
3. مدرب في معسكر الجزيرة.
4. شرعي القاطع الغربي في الأنبار.
5. المتحدث الرسمي لدولة العراق الإسلامية.
6. المتحدث الرسمي للدولة الإسلامية في العراق والشام.
7. المتحدث الرسمي للدولة الإسلامية –دولة الخلافة–.

---

(10) ديوان معاوية بن أبي سفيان (ص: 20).

رکّـــاب مفظعـــةٍ، حمّـــال مضـــلعةٍ | إن خـــاف معضـــلةً ســـنّى لهـــا بابـــا
شـــهّاد أنديـــةٍ، هبّـــاط أوديـــةٍ | حمّـــال ألويـــةٍ للـــوتر طلاّبـــا
ســـمّ العـــداة وفكّـــاك العنـــاة إذا | كـان الـوغى لم يكـن للمـوت هيّابـا[11]

**سادسًا: بعض ابتلاءاته ومحنه:**

إن طريق التوحيد والجهاد طريق محفوف بالبلاء والمحن، ولا يأمن من سلكه من كسر أو بتر أو أسر! غير أن الفائز من ثبت فيه وصبر، وكما قيل: "من لم تكن له بداية محرقة، لم تكن له نهاية مشرقة"[12].

والشيخ أبو محمد العدناني حفظه الله ليس إلا واحدًا من أبناء هذا الطريق الذين نالهم في ذات الله ما نالهم –نحسبه والله حسيبه–.

ومما ناله في ذلك:

1– استدعي من قبل جهاز أمن الدولة النصيري مرارًا في بداية شبابه، وتم التحقيق معه.

2– اعتقل عند النصيرية ثلاث مرات على خلفيات دعوية وجهادية، أحدها في البوكمال وهو متوجهٌ إلى العراق للمرة الأولى، ومكث في سجنهم أشهرًا حتى أُطلق لعدم اعترافه بشيء رغم التعذيب الذي أصابه.

3ـ حُبس في سجون الأمريكان مرتين، وقضى في أحد محبسيه قرابة الست سنين، وقد وضع في خيمة الزرقاويين التي كانت تضم أبرز الأعيان الذين عرفوا بالخط الأول من المقاتلين، حول الشيخ أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله.

(11) من شعر الخنساء، ينظر التعازي والمراثي للمبرد (ص: 26).

(12) قالها ابن عطاء الإسكندري.

قــالوا حُبســـتَ فقلــتُ لــيس بضــائري | حبسي ــــــ وأيُّ مهنَّـــــــدٍ لا يغمـــــدُ
أوَ مـــا رأيـــتَ اللَّيـــثَ يـــألفُ غيْلـــه | كـــبرًا وأوبـــاشَ السِّـــباعِ تـــردَّدُ(13)

4- أصيب في مواطن عديدة من جسده، وتفتتت بعض عظامه في سبيل الله تعالى.

فصِرْــــــتُ إذا أصـــــابتْني سِــــــهامٌ | تكسّرـــــتِ النِّصـــــالُ عـــلى النِّصـــالِ
وهـــــانَ فـــما أُبـــالي بالرّزايـــــا | لأنّي مـــــا انتفَعـــــتُ بـــأنْ أُبـــالي(14)

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يحفظه من كل سوء، ويبارك للأمة في عمره وعمله.

## سابعًا: بعض المواقف في حياته:

للشيخ حفظه الله في حياته العلمية والدعوية والجهادية مواقف مؤثرة، وأخرى ذات عبرة، أختار منها بعضها:

1- في أول جلوس له في حلقة تلاوة القرآن، وقع في نفس الشيخ أنه سيكون أفضل قارئ من بين الأقران، إذ أن القراءة عنده هواية! فلما جاء دوره للقراءة لحن، فصوب له المقرئ، فوقع ذلك في نفس الشيخ وأكبره، حتى أصر على إتقان القرآن تلاوة وحفظًا، فكان ذلك منطلقه.

2- في درس التلاوة مرَّ على قول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة: 44]، فهزت هذه الآية الشيخ من أعماقه، فقال لأحد أقرانه في الطلب: "ما هي

---

(13) من أبيات لعلي بن الجهم، ينظر التذكرة الحمدونية (2/ 20).

(14) للمتنبي، ينظر الوساطة بين المتنبي وخصومه (ص: 42).

مصادر دستور سوريا؟" فأجابه، ثم قال: "ما هي السلطة التشريعية؟" فأجابه، ثم قال: "ما هي السلطة القضائية... التنفيذية؟" كل ذلك وصاحبه يجيبه بما تعلمه في المدرسة، فقال له الشيخ: "يا فلان يعني حكومتنا كلها كافرة؟ !فقال له صاحبه: "السلام عليكم". وولى عنه هاربًا!

فكان هذا مبدأ الشيخ في بحث مثل هذه المسائل.

في إحدى المرات التي تم استدعاؤه فيها من قبل استخبارات النصيرية في بداية شبابه، قال جندي الطاغوت له: "لماذا تعفي لحيتك؟"، فأجابه الشيخ: "لأني قرأت عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحث على ذلك"، فقال جندي الطاغوت: "يعني هذه الأحاديث لم يطلع عليها إلا أنت فقط؟!".

وكذا قال له عن تقصير الثوب، ثم قال جندي الطاغوت له: "لم تحرك أصبعك في التشهد"، وكان الشيخ يصنع ذلك أحيانًا، فأجابه برواية ما يحفظه في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال جندي الطاغوت: "المشكلة أنكم بالليل هكذا –وأشار بالسبابة إشارة التوحيد–، وبالنهار هكذا –وأشار بالسبابة كناية عن الرمي على الزناد–"!

قال الشيخ: "فحرضني ذلك الخبيث على العمل الجهادي من حيث لا يشعر"!

– خرج ذات يوم في العراق بصحبة ثلاثة من الإخوة ليكمنوا، فكُشف أمرهم وطوردوا من قبل المرتدين قرابة ثماني كيلومترات بالسيارة، حتى وقع لهم حادث بسبب السرعة، فأُسر منهم اثنان، ونزل الشيخ وخلفه أبو بكر الكويتي فتترسا خلف صخرة، واشتبكا مع المرتدين من الساعة التاسعة صباحًا إلى الساعة الثانية عشرة، وقد انحازا خلال هذا الاشتباك مسافة ثلاث كيلومترات في الصحراء حتى نزلا في واد.

وعند ذاك انسحب المرتدون بعد أن أبلغوا الأمريكان بأن في الوادي سرية للإرهابيين، فجاء الأمريكان على إثر ذلك برتل مكون من ثلاث وعشرين آلية –بين دبابة ومدرعة–، وست طائرات.

فبدأ الأمريكان بإطلاق صاروخين فقتل أبو بكر الكويتي مباشرة أمام عين الشيخ، وأصيب الشيخ إصابة بالغة، غير أنه لم يلق سلاحه، واستمر يقاتلهم وجراحه تثعب دمًا إلى أن نفدت ذخيرته، فأُسر عصرًا، وعقرب الساعة يشير إلى الرابعة والربع، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

قلّـــوا ولكـــنهم طـــابوا فأنجـــدهم      جـيشٌ مـن الصـبر لا يُحصى لـه عـددُ[15]

## ثامنًا: بعض اللطائف في حياته:

منَّ الله تعالى على الشيخ بأمور جليلة في أثناء مسيرته العلمية والدعوية والجهادية، منها أنه:

1 – حفظ سورة المائدة كاملة في يوم واحد فقط.

2 – أول من بدأ العمل الجهادي في حديثة هو وثلاثة عشر شخصًا، إلى أن استقلت حديثة على أيديهم.

3 – لما صار أميرًا على حديثة، كان تحت إمرته الشيخ أبو عمر البغدادي رحمه الله، فكان الشيخ العدناني يستشيره آنذاك، ويقول: "سيكون لهذا الرجل شأن"!

4 – آخر من انسحب من مدينة الفلوجة في معركة الفلوجة الثانية، مع الشيخ أبي حمزة المهاجر، وأبي الغادية، وأبي الربيع، وأبي جعفر المقدسي، وأبي عاصم الأردني.

5 – يقيم في أثناء الرباط –أحيانًا– المباريات الشعرية بينه وبين الشيخ أبي حمزة المهاجر رحمه الله، فيمكثون الساعات الطوال!

6 – له من الحظوة والمنزلة عند الشيخ أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله ما لا يعلم به إلا الله، ومن ذلك أن أمير الاستشهاديين قال له: "لا تشاورني، فقط أطلعني".

---

(15) ديوان أبي تمام (ص: 320).

7- تخرج على يديه عدد من الطلاب ممن تولوا المناصب الكبيرة في الدولة الإسلامية بعد ذلك، منهم الشيخ مناف الراوي رحمه الله.

8- أول من وضع برنامجًا متكاملًا للسجناء، يشمل كافة الجوانب؛ الشرعية، والبدنية، والعسكرية. ثم استن الشباب في كافة الأقسام بصنيعه.

## الخاتمة

هذه بعض الأخبار في ترجمة منجنيق الدولة الإسلامية: الشيخ المجاهد أبي محمد العدناني حفظه الله، ولم نعتمد فيما دوناه على قيل ويُقال، بل الأصل عندنا فيها ما رويناه بالإسناد العال، ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف: 81].

فنسأل الله تعالى أن يطيل في عمر الشيخ، ويصلح أعماله، ويُسدد أقواله، ويثبته على الحق حتى يلقاه وهو عنه راضٍ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين.

وكتب: **أبو سفيان تركي بن مبارك البنعلي**

**(أبو همام بكر بن عبد العزيز الأثري)**

27/ رجب/ 1435هـ - 26/ 5/ 2014م

أنا ما كتبت لكي أمجد طاغيا ... حاشاك يا قلم العلا حاشاكا
يا رب عطر لي حروفي بالرضا ... ما ضل من يسعى لنيل رضاكا[16]

(16) نقلا بتصرف عن "منجنيق الدولة الإسلامية". http://justpaste.it/adnani1.

# المبادئ العشرة لعلم أعمال القلوب

إن مما اشتهر عند العلماء، أنه ينبغي لكل طالب في علم من العلوم، أن يتصوره تصورًا بيِّنًا، ليكون على بصيرة مما يطلبه، وعلى بصيرة تامة مما يدرسه، وهذا لا يتأتى له إلا بمعرفة مبادئه العشرة، وهي:

حده، وموضوعه، وثمرته، ونسبته، وفضله، وواضعه، واسمه، واستمداده، وحكمه، ومسائله. وقد نظمها العلامة الصبان(17) في قوله:

| | |
|---|---|
| إن مبـــادئ كـــل علـــم عشرـــة | الحـــد والموضـــوع ثـــم الثمـــرة |
| ونســـبة وفضـــله والواضـــع | والاســـم الاســـتمداد حكـــم الشـــارع |
| مســـائل والـــبعض بـــالبعض اكتفـــى | ومـــن درى الجميـــع حـــاز الشرـــفا |

فأقول عن علم أعمال القلوب باختصار:

**الحد**: المراد به التعريف بعلم مقامات وأحوال القلوب، وسيبينه الناظم في منظومته، مع شرحنا له، بتوفيق الله تعالى.

**موضوعه**: أحوال القلوب، وأعمالها، وأنواعها، وأمراضها، وعلاجها....إلخ.

**ثمرته**: إخلاص العبادة لله تعالى، مع خشيته والتوكل عليه وحبه وتعظيمه وغير ذلك.

**نسبته**: علم السلوك.

**فضله**: كغيره من العلوم الشرعية التي جاء الحث على تعلمها وتعليمها في الكتاب والسنة؛ لأن الوسائل لها حكم المقاصد، وهو من أصول الايمان وقواعد الدين، وحسبك من فضائله: إخلاص العبادة لله تعالى.

---

(17) هو العلامة محمد بن علي الصبان، أبو العرفان: عالم بالعربية والأدب. مصري. مولده ووفاته بالقاهرة سنة 1206 هـ الموافق 1792 م. (الأعلام للزركلي (6/ 297).

**واضعه**: المشهور الذي وقفت عليه، أن من أوائل من صنف في أحوال القلوب: الإمام الحافظ أبو بكر الخرائطي المتوفى سنة: 327 هـ في كتابه: "اعتلال القلوب". ثم **أبو طالب المكي** المتوفى سنة 386 هـ. صنف كتابا سماه: (قوت القلوب في معاملة المحبوب)، واشتمل على ثمانية وأربعين فصلًا موزعًا في مجلدين، وقد استفاد منه الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وكذلك نقل عنه ابن القيم في المدارج أغلب الآثار والعبارات.

وللإمام أبي بكر عبد الله القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى سنة 281هـ) كتب في الترغيب والترهيب والزهديات، اشتملت على آثار القلوب، وتأثرها. وهناك كتاب: (نحو القلوب) للأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة 465 هـ، وكتاب (منازل السائرين) لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى سنة: 481هـ).

وسيبين الناظم أن واضع هذا العلم ـ في الأصل ـ هم الصحابة، والتابعون لهم، مستنبط من الكتاب والسنة، حتى جاء الصوفية فدونوه، لكنهم ابتدعوا فيه.

**اسمه:** علم أعمال القلوب.

**استمداده:** من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وقد دونه أئمة الحديث في كتب الرقاق والزهد والتوحيد.

**حكمه**: ما دام من أصول الإيمان وقواعد الدين، فهو ـ إذًا ـ واجب على كل مؤمن ومؤمنة تعلمه، لأن به تصلح نية العبد لقبول طاعته أو ردها.

**مسائله**: كل ما يتعلق بالقلب من: إيمان، وكفر، ونفاق، وحب، وتوكل، وخشية، وتوبة، وحياء، وتعظيم، وخوف، ورجاء...إلخ.

فهذه عشرة كاملة.

أما قوله في البيت الأخير:

والـــــبعض بـــــالبعض اكتفـــــى ومـــن درى الجميـــع حـــاز الشرـــفا

فالمعنى: أن بعض الطلبة اكتفى ببعض مسائل العلم دون بعض، ومن درى وعرف الجميع حاز من المسائل العلمية أو من العلوم **(الشرفا)**[18] في الدنيا والآخرة، والأجر والثواب العظيم من الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا القدر كفاية، واللبيب تكفيه الإشارة، ونترك التفصيل عند الشرح، والله الموفق وهو يهدي السبيل.

## مُقَدِّمَةُ المنظومة

**حَمِـــــدتُ ربِّي بادئًـــــا مُصَـــــلِّيا عـــلى النَّبـــيِّ المصـــطفى وَراجيـــا**
**في علـــمِ أعـــمالِ القلـــوبِ جـــامعِ يـــا رب وفقنـــي لـــنظم نـــافع**

(18) الألف في (الشرفا) للإطلاق.

**مقدمة:** مقدمة الكتاب: ما يذكر فيه قبل الشروع في المقصود لارتباطها، ومقدمة العلم، ما يتوقف عليه الشروع، فمقدمة الكتاب أعم من مقدمة العلم، بينهما عموم وخصوص مطلق، والفرق بين المقدمة والمبادئ: أن المقدمة أعم من المبادئ، وهو ما يتوقف عليه المسائل بلا واسطة، والمقدمة ما يتوقف عليه المسائل بواسطة أو بلا واسطة.[19]

**حمـــــــدت ربي بادئـــــــا مصـــــــليا    عـــــلى النبـــــي المصـــــطفى وراجيـــــا**

**(حمدت)** فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا **(ربي)** رب: منصوب على التعظيم، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال آخر الكلمة بحركة المناسبة، ورب مضاف، وياء المتكلم مضاف إليه مبني على السكون في محل جر.

**(بادئا)** نصب بادئا على أنه حال من الضمير في **(حمدت)**، والتقدير حال كوني بادئا، **(مصليا)** نعت، وهو حال مقدرة، ومعنى كونها مقدرة أنها تحدث فيها بعد، وذلك لأنه لا يصلى على النبي صلوات الله عليه في وقت حمده لله، وإنما تقع منه الصلاة بعد الانتهاء من الحمد، وصاحبها الضمير المستتر وجوبا في **"حمدت"**. ومعنى **(مصليا على النبي)** أي قائلا: "اللهم صل على النبي".

ومعنى صلاة الله تعالى على نبيه، أي : ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء ". قاله أبو العالية[20].

وقال الحافظ في الفتح: "ونقل عياض عن بكر القشيري قال: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة، وعلى من دون النبي رحمة. وبهذا التقرير يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين سائر المؤمنين، حيث قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾

---

(19) التعريفات (ص: 225).

(20) صحيح البخاري (6/ 120).

[الأحزاب: 56]. وقال قبل ذلك في السورة المذكورة: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: 43]. ومن المعلوم أن القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك أرفع مما يليق بغيره، والإجماع منعقد على أن في هذه الآية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها.

وقال الحليمي في الشعب: معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، تعظيمه، فمعنى قولنا: "اللهم صل على محمد": عظم محمدا، والمراد تعظيمه في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بإجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وإبداء فضيلته بالمقام المحمود، وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى: (**صلوا عليه**) ادعوا ربكم بالصلاة عليه. انتهى".[21]

(**على النبي**) جار ومجرور متعلق بالحال (**المصطفى**) نعت للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو مجرور بكسرة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر.

**والمصطفى**: هو من أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم وأصله "مصتفوٌ" لأنه مأخوذ من الصفوة، وهو الخلوص، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا وأبدلت تاء الافتعال منه طاء لوقوعها بعد الصاد التي هي أحد حروف الإطباق.."[22].

وقال أبو سعد رحمه الله: "الاصطفاء: الاختيار من الصفوة، وهي الخلاصة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: 47]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]، قال السيوطي عند ذكر اسم المصطفى: هو من أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم،

---

(21) فتح الباري لابن حجر (11/ 156)

(22) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (1/ 515).

قال: روى مسلم حديث: «**إِنَّ اللهَّ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**...»، الحديث، وفيه: «**وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[23]. انتهى. ولم يستدل على ذلك من القرآن"[24].

وأما الحمد لغة: فهو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على جهة التعظيم والتبجيل، وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم على الحامد وغيره.

والشكر لغة: هو الحمد اصطلاحا، وعرفا: صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه في ما خلق لأجله، فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه، يجتمعان فيما إذا كان باللسان في مقابلة نعمة، وينفرد الحمد فيما إذا كان باللسان لا في مقابلة نعمة، وينفرد الشكر فيما إذا كان بغير اللسان في مقابلة نعمة.[25]

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "والفرق بينهما ـ أي بين الحمد والشكر ـ أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته. والحمد أعم من جهة المتعلقات، وأخص من جهة الأسباب.

ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا، ومتعلقه: النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها، كما هو محمود على إحسانه وعدله. والشكر يكون على الإحسان والنعم.

(23) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل/ باب فضل نسب النبي ﷺ، برقم 2276.

(24) شرف المصطفى (2/ 56).

(25)لوامع الأنوار البهية (1/ 37).

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس. فإن الشكر يقع بالجوارح. والحمد يقع بالقلب واللسان"[26].

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ : ابتدأ الناظم ـ حفظه الله ـ بالثناء على بارئ العالمين ومبدعهم على غير مثال سابق تأسيًا بالكتاب العزيز، فإنه افتتح بفاتحة الكتاب المستهلة بحمد الله جل وعلا، وعملًا بقوله صلى الله عليه وسلم **«كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء»**[27].

والمراد بالخطبة ما يعم القول كخطبة الجمعة والعيدين والقراءة، والفعل كالتأليف، لأن الكتابة لها حكم القول.

ولذا كان افتتاح الكلام بالتحميد سنة الكتاب المجيد لكل بليغ مجيد، فلم يزل المسلمون من يومئذ يلقبون كل كلام نفيس لم يشتمل في طالعه على الحمد بالأبتر، وقد لقبت خطبة زياد ابن أبي سفيان التي خطبها بالبصرة بالبتراء لأنه لم يفتتحها بالحمد، وكانت سورة الفاتحة لذلك منزلة من القرآن منزلة الديباجة للكتاب أو المقدمة للخطبة، ولذلك شأن مهم في صناعة الإنشاء فإن تقديم المقدمة بين يدي المقصود أعود للأفهام وأدعى لوعيها[28].

ثم ثنَّى بالصلاة على رسول الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم صفوة خلقه، ومرشدهم لنور الحق، والهدى بما جاءهم به عن ربه من العقائد والأحكام التى تكفل لمن أخذ بها سعادة الآخرة والأولى.

قوله: **(وراجيا)** معطوف على **(مصليا)**: أي ولسان حالي وقالي داع بالرجاء قائلًا:

**يا رب وفقني لنظم نافع ... في علم أعمال القلوب جامع**

---

(26) مدارج السالكين: 2/ 237.

(27) أخرجه أبو داود برقم 4843، وهو في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (1/ 325).

(28) التحرير والتنوير (1/ 154).

**(يا رب)** يا حرف نداء ورب منادى مضاف الى ياء المتكلم **(وفقني لنظم)** طلب ودعاء من الله تعالى للتوفيق، إذ لا توفيق إلا بالله تعالى، ومن لم يوفقه ربه فهو مخذول خاسر.

والتوفيق: جعل الله فعل عباده موافقًا بما يحبه ويرضاه[29]، وفي التنزيل: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود: 88].

**(لنظم)** النظم: في اللغة جمع اللؤلؤ في السلك، وفي الاصطلاح: تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل[30]، وهو أيضا ما انتظم في الاصطلاح في أحد البحور الخمسة عشر.[31]

**(نافع)** نعت **(لنظم)** ينتفع به المسلم ولا يضره **(في علم أعمال القلوب جامع)** أي جامع لكل ما يتعلق بأعمال القلوب. وسماه علما، لأنه يكتسب بالعلم، لا بالتجربة أو التقليد أو الإلهام. وأضافه إلى عمل القلب، لأن القلب له قول وعمل، كما سيأتي ذكره بالتفصيل.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن القلب هو أول الأعضاء خلقة، وفي هذا يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "قال أصحاب القلب: لا شك أن في المني قوة روحية بسبب تلك القوة سعد أن يكون إنسانًا، وحاجته إلى الروح الذي هو مادة القوى أشد، فلا بد أن يكون لذلك الروح مجمع خاص، منه تنبعث

---

(29) التعريفات (ص: 69).

(30) التعريفات (ص: 310).

(31) قاله الشيخ ماء العينين رحمه الله في ( الأقدس على الأنفس) وهذه البحور الخمسة عشر هي –الطويل والبسيط والرجز والرمل والوافر والكامل والمديد والهزج والسريع والمجتث والمقتضب والمتقارب والخفيف والمنسرح والمضارع .وزاد الأخفش بحر المتدارك.

إلى سائر الأعضاء. فالجوهر الروحي أول شيء ينبعث من المني ويجتمع في موضع واحد ويحيط به ما يتصل إليه ذلك الجوهر الروحي من جميع الجوانب، فيجب أن يكون مجمعها هو الوسط، وسائر الأجزاء يحيط به، وذلك الوسط هو القلب.

قالوا: ولأن تمام البدن موقوف على الحرارة الغريزية التي بها البدن ولابد أن يتقدم على ذلك العضو الذي منه القوة الغريزية التي بها ينمو وهو القلب.

قالوا: ولأن أفعال القوى إنما تتم بالروح، وهي لابد لها من متعلق تتعلق به ولابد أن يتقدم متعلقها عليها وهو القلب.

قالوا: وهذا هو الأليق والأنسب بحكمة الرب تعالى، فإن القلب ملك، والأعضاء جنود له وخدم، فإذا صلح القلب صلحت جنوده، وإذا فسد فسدت.

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إلى ما يرشد إلى ذلك فقال: **«أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»**[32]، فما أولى هذه المضغة بأن تكون متقدمة في وجودها على سائر تبع لها في الوجود كما هي تبع لها في الصلاح والفساد. قالوا وقد شاهد أصحاب التشريح في المني عند انعقاده نطفة في وسطه".[33]

---

(32) سيأتي تخريجه مع اللفظ الصحيح، إن شاء الله.

(33) التبيان في أقسام القرآن (ص: 350ـ 351)

# تعرِيفٌ بِهَذَا العِلمِ وَأَهميّتِهُ

**علمٌ بإصلاحِ القلوبِ يعتني فكَمْ لهُ يحتاجُ كلُّ مؤمنِ**
**وَعلمُ إنشاءٍ قدِ اقتضى العملْ لا علمُ إخبارٍ لِمَنْ بهِ اشتغلْ**

**علم بإصلاح القلوب يعتني** ...........................

(**علم**) أي أن هذا علم، (**بإصلاح القلوب**) التي محلها الصدور، (**يعتني**) يهتم ويبحث، ولا يعتني بالظاهر. والعبارة فيها تقديم ما من شأنه التأخير ليفيد الحصر، إذ أصل العبارة: "علم يعتني بإصلاح القلوب". فلما قدم "إصلاح القلوب" على الفعل دل على القصر. ومعلوم أن الظاهر غالبًا ما يكون عنوان الباطن.

قال بعض العارفين: "حُسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن"[34]، فإذا صلح الباطن صلح الظاهر. وهذا العلم يحتاجه كل مؤمن لأنه يتعلق بقبول العمل أو إحباطه، لذا قال:

........................... **فكم له يحتاج كل مؤمن**

(34) مدارج السالكين (1/ 517).

(**فكم**) كم: خبرية (**له**) الضمير يعود إلى أهمية علم القلوب، (**يحتاج كل مؤمن**) المعنى: إذا كان علم القلوب بهذه الأهمية، فكم يحتاج له كل مؤمن، دون استثناء.

فعلى كل مؤمن أن يهتم بهذا العلم ـ علم أعمال القلوب ـ لأنه محل نظر الله تعالى، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ اللهَّ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»**[35].

وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللهَّ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»**[36].

فالقلب للجسد كالملك للجنود. يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "ولما كان القلب لهذه الأعضاء كالملك المتصرف فى الجنود، الذى تصدر كلها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت عبوديته وقهره، وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، قال النبى صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله". فهو ملكها، وهى المنفذة لما يأمرها به، القابلة لما كان يأتيها من هديته، ولا يستقيم لها شئ من أعمالها حتى تصدر عن قصده

---

(35) رواه مسلم في كتاب البر والصلة/ باب تحريم ظلم المسلم، برقم 2564.

(36) صحيح البخاري كتاب الإيمان/ باب فضل من استبرأ لدينه (1/ 20) برقم 52، صحيح مسلم كتاب المساقاة/ باب أخذ الحلال وترك الشبهات (3/ 1219) برقم 1599، واللفظ للبخاري.

ونيته. وهو المسؤول عنها كلها "لأن كل راع مسؤول عن رعيته" كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده أولى ما اعتمد عليه السالكون. والنظر فى أمراضه وعلاجها أهم ما تنسك به الناسكون". انتهى.[37]

**وعلم إنشاء قد اقتضى العمل          لا علم إخبار لمن به اشتغل**

**(و)** علم القلوب هو **(علم إنشاء)** قال الجرجاني: "الإنشاء: قد يقال على الكلام الذي ليس لنسبته خارجٌ تطابقه أو لا تطابقه، وقد يقال على فعل المتكلم، أعني إلقاء الكلام الإنشائي، والإنشاء أيضًا إيجاد الشيء الذي يكون مسبوقًا بمادة ومدة"[38].

**(قد اقتضى العمل)** أي: علم القلوب يقتضي العمل بمقتضاه، **(لا)** مجرد سرد **(أخبار لمن به اشتغل )** وهذا هو الواجب في كل علم، إلا أنه في علم القلوب أوكد، إذ لا عبرة في علم لا يتبعه عمل. وكما قال الخطيب البغدادي في مقدمة كتابه (اقتضاء العلم العمل): "فإن العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يعد عالما من لم يكن بعلمه عاملًا، وقيل: العلم والد والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدراية فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشا من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصرًا في العمل ولكن اجمع بينهما، وإن قل نصيبك منهما، وما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته، وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم إلى عبادته..."[39].

وروى الخطيب بسنده عن الحارث بن عبيد الله، قال: "سمعت ابن أبي ذئب يحدث عن ابن المنكدر، قال: "العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل""[40].

---

(37) إغاثة اللهفان (1/ 5).

(38) التعريفات (ص: 38).

(39) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: 14).

(40) نفس المصدر: 36.

## أَصلهُ وَتَارِيخُه

مُسْتَنْبَطٌ مِنَ الكتابِ أصلُهُ ... هَدْيُ النَّبِيِّ قولُهُ وَفعلُهُ

وَالتَّابعونَ عنْ صحابةِ النَّبِيْ ... تناقَلُوهُ بينهمْ؛ لمْ يُكْتَبِ

حتَّى اعتنى بجمعهِ الصُّوفيَّةُ ... فعندهمْ عِلْمُ السُّلُوكِ صَنْعَةُ

لكنَّهمْ ضَلُّوا بهِ وَخَرَّفوا ... بِشَطْحِهِمْ: هَدْيَ النَّبيِّ حَرَّفوا

فَخَطَّهُ ابنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ ... وَشيخُهُ مِنْ قبلهِ في التُّحفةِ

لِكَشْفِ كلِّ شُبْهَةٍ صُوفِيَّةِ ... وَفضحِ كلِّ بِدْعَةٍ وَشَطْحَةِ

**أصله وتاريخه**: أي أصل هذا العلم: أعمال القلوب، وتاريخ نشأته.

**مستنبط من الكتاب أصله ... هدي النبي قوله وفعله**

(**مستنبط من الكتاب**) الاستنباط لغة: استخراج الماء من العين من قولهم: نبط الماء إذا خرج من منبعه. واصطلاحا: هو استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن، وقوة القريحة[41]، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ [النساء: 83].

(41) التعريفات (ص: 22).

فعلم أعمال القلوب مستخرج من كتاب الله تعالى، الذي هو (**أصله**) ومستخرج كذلك من (**هدي النبي قوله وفعله**) أي مما ورد من أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله.

**والتابعون عن صحابة النبي          تناقلوه بينهم لم يكتب**

(**والتابعون**) جمع: تابع أو تابعي، وهو من لقي الصحابي. وقد جعل الإمام مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح التابعين ثلاث طبقات، وأما أبو عبد الله الحاكم صاحب المستدرك، فقد جعلهم خمس عشرة طبقة[42]. وخير التابعين أويس القرني رحمه الله، ففي الحديث: " إن خير التابعين رجل يقال له: أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم"[43].

(**عن صحابة النبي**) أي هذا العلم المستنبط من الكتاب وهدي النبي صلى الله عليه وسلم من قول وعمل، تناقله التابعون عن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما تعريف الصحابي، فقد قال ابن الصلاح في مقدمته: "اختلف أهل العلم في أن الصحابي من؟ فالمعروف من طريقة أهل الحديث أن كل مسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الصحابة. قال البخاري في صحيحه: "من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه"[44].

---

(42) اليواقيت والدرر شرح شرح نخبة الفكر (2/ 218).

(43) رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب من فضائل أويس القرني. (4/ 1968).

(44) كتاب المناقب/ باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، فتح الباري 2/ 7، وأسنده الخطيب عن البخاري في (الكفاية: 51).

وبلغنا عن أبي المظفر السمعاني المروزي أنه قال: "أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثًا أو كلمة، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية، من الصحابة؛ وهذا لشرف منزلة النبي صلى الله عليه وسلم، أعطوا كل من رآه حكم الصحبة".

وذكر أن اسم الصحابي من حيث اللغة والظاهر: يقع على من طالت صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم وكثرت مجالسته له على طريق التبع له والأخذ عنه. قال: "وهذا طريق الأصوليين". انتهى[45].

قوله (**بينهم لم يكتب**) أي لم يكتب بينهم في عصرهم، وإنما كان محمولا في صدورهم، محفوظا في قلوبهم، إذ لم تظهر الكتابة إلا عام ثلاثة وأربعين ومائة للهجرة، وهو العصر الذي يسميه العلماء: عصر التدوين.

**حتى اعتنى بجمعه الصوفية فعندهم علم السلوك صنعة**

(**حتى اعتنى بجمعه**) أي إلى غاية أن اعتنى واهتم بجمعه ـ أي علم أعمال القلوب ـ (**الصوفية**) وهم طائفة منتسبة إلى التصوف، وقد كثرت التعاريف عن معنى التصوف، ولم يهتدوا إلى قول واحد. (**فعندهم**) أي علم القلوب عند الصوفية هو (**علم السلوك**) السلوك: مصدر سلك طريقًا؛ وسلك المكان يسلكه سلكًا وسلوكًا وسلكه غيره وفيه وأسلكه إياه وفيه وعليه[46]. واصطلاحا عند الصوفية: هو الطريق الموصلة إلى درجة الإحسان (صنعة) أي عملا متقنا.

واعلم رحمك الله، أن العلماء قد اختلفوا اختلافا كثيرا في تعريف التصوف. فقد عرفه أبو بكر الكناني بقوله: "التصوف خُلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف"[47].

---

(45) مقدمة ابن الصلاح (ص: 396).

(46) لسان العرب (10/ 442).

(47) مدارج السالكين (1/ 463).

وقال السري: "التصوف اسم لثلاثة معان: لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله"[48].

وقال أبو عمرو بن نجيد: "التصوف: الصبر تحت الأوامر والنواهي"[49].

وسئل محمد بن علي القصاب أستاذ الجنيد عن التصوف؟ فقال: "أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام"[50].

ولما كان هذا العلم محدثًا ومبتدعًا، قال الناظم ـ حفظه الله ـ بعدها:

**لكنهم ضلوا به وخرَّفوا        بشطحهم هدي النبي حرَّفوا**

**(لكنهم)** أي الصوفية **(ضلوا)** الطريق الصحيح، والهدي الواضح **(به)** أي بسبب إحداثهم في الدين ما لم يأذن به الله جل وعلا، ولم يأت في السنة الصحيحة، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين لهم **(وخرفوا)** أي وفسد عقلهم. وأصل الخرف، بالتحريك: فساد العقل من الكبر. وقد خرف الرجل، بالكسر، يخرف خرفا، فهو خرف: فسد عقله من الكبر، والأنثى خرفة، وأخرفه الهرم[51]. **(بشطحهم)** الباء سببية، أي بسبب شطحهم. والشطح خروج عن الجادة إلى الهراء، بقول أو حركة، قال الزبيدي رحمه الله: " قال شيخنا: اشتهر بين المتصوفة الشطحات. وهي في اصطلاحهم عبارة

---

(48) المصدر نفسه (2/ 434).

(49) المصدر نفسه (2/ 438)، (3/ 116).

(50) المصدر نفسه (3/ 172).

(51) لسان العرب (9/ 62).

عن كلمات تصدر منهم في حالة الغيبوبة وغلبة شهود الحق تعالى عليهم، بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق، كقول بعضهم: أنا الحق، وليس في الجبة إلا الله، ونحو ذالك". [52]

**(هدي النبي حرفوا)** جملة متعلقة بـ: **(شطحهم)** والمعنى: حرف الصوفية هدي النبي صلى الله عليه وسلم بسبب شطحهم، وهذيانهم، ورقصهم، وضربهم بالدفوف، وتصفيق بالأكف.

ولم يكن هذا من هديه صلى الله عليه وسلم، بل كان هديه في الذكر الوقار والخشوع، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أما النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك، والاجتماعات الشرعية، ولم يجتمع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على استماع غناء قط، لا بكف، ولا بدف، ولا تواجد، ولا سقطت بردته، بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه"[53].

وقال في موضع آخر يذم السماع والرقص عند الذكر: "فإذا عرف هذا: فاعلم أنه لم يكن في عنفوان القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا مصر ـ ولا المغرب ولا العراق ولا خراسان، من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية لا بدف ولا بكف ولا بقضيب وإنما أحدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الأئمة أنكروه.

فقال: الشافعي – رضي الله عنه – خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه "التغبير" يصدون به الناس عن القرآن، وقال يزيد بن هارون: ما يغبر إلا الفاسق ومتى كان التغبير. وسئل عنه الإمام أحمد فقال: أكرهه هو محدث. قيل: أنجلس معهم؟ قال: لا وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه فلم يحضره إبراهيم بن أدهم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي ولا أبو سليمان الداراني ولا أحمد بن أبي الحواري والسري السقطي وأمثالهم.

---

(52) تاج العروس (6/ 507).

(53) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص: 183). مجموع الفتاوى (11/ 296).

والذين حضروه من الشيوخ المحمودين تركوه في آخر أمرهم. وأعيان المشايخ عابوا أهله كما فعل ذلك عبد القادر والشيخ أبو البيان وغيرهما من المشايخ. وما ذكره الشافعي -رضي الله عنه- من أنه من إحداث الزنادقة كلام إمام خبير بأصول الإسلام، فإن هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة: كابن الراوندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم. كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي - في مسألة السماع - عن ابن الراوندي. قال: "إنه اختلف الفقهاء في السماع: فأباحه قوم وكرهه قوم. وأنا أوجبه - أو قال - وأنا آمر به". فخالف إجماع العلماء في الأمر به.

و" الفارابي " كان بارعا في الغناء الذي يسمونه " الموسيقا " وله فيه طريقة عند أهل صناعة الغناء، وحكايته مع ابن حمدان مشهورة. لما ضرب فأبكاهم ثم أضحكهم ثم نومهم ثم خرج! "[54].

**فخطه ابن قيم الجوزية وشيخه من قبله في التحفة**

(**فخطه**) الضمير يعود على علم أعمال القلوب، الذي تمسيه الصوفية: علم التصوف، أو السلوك. (**خطه**) خط الشيء يخطه خطا: كتبه بقلم أو غيره.[55]

( **ابن قيم الجوزية**) غني عن التعريف، هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين (691 - 751 هـ = 1292 - 1350 م): من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى. وأطلق بعد موت ابن تيمية.

---

(54) مجموع الفتاوى (11/ 569- 570).

(55) لسان العرب (7/ 287).

وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. وألف تصانيف كثيرة منها: (إعلام الموقعين) و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و(شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل). و(كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء) و(أحكام أهل الذمة )، و(تحفة المودود بأحكام المولود)، و(مفتاح دار السعادة ) و(زاد المعاد) و(الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ) و(مدارج السالكين) ثلاثة مجلدات، و(رسالة في اختيارات تقي الدين ابن تيمية) و(كتاب الفروسية ) و(الوابل الصيب من الكلم الطيب) و(الروح) و(الفوائد) و(روضة المحبين) و(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) في ذكر الجنة، و(إغاثة اللهفان) و(إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) و (الجواب الكافي) ويسمى (الداء والدواء) و(التبيان في أقسام القرآن) و(طريق الهجرتين) و(عدة الصابرين) و (هداية الحيارى).

ولمحمد أويس الندوي كتاب (التفسير القيم، للإمام ابن القيم ) استخرجه من مؤلفاته[56].

وقد أفرد له جماعة من العلماء والطلبة ترجمته ومناقبه وجهوده، منها:

(ابن قَيِّم الجوزية: حياته وآثاره) للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد رحمه الله.

(ابن القَيِّم وموقفه من التفكير الإسلامي) للدكتور عوض الله حجازي، وقد نال به درجة الدكتوراه سنة 1947م.

(ابن القَيِّم: من آثاره العلمية) لأحمد ماهر محمد البقري.

(ابن قَيِّم الجوزية: عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف) للدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين.

(ابن قَيِّم الجوزية: جهوده في الدرس اللغوي) للدكتور طاهر سليمان حموده.

---

(56) الأعلام للزركلي (6/ 56).

(ابن القَيِّم وحسه البلاغي في تفسير القرآن) للدكتور عبد الفتاح لاشين.

(ابن قَيِّم الجوزية وجهوده في الدفاع عن عقيدة السلف) للدكتور عبد الله محمد جار النبي.

(الفكر التربوي عند ابن القَيِّم) للدكتور حسن على الحجاجي.

(ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها) لمؤلفه جمال بن محمد سيد.

**(وشيخه من قبله في التحفة)** أي وكتب من قبله في علم أعمال القلوب، شيخ ابن القيم، وهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية (661 – 728 هـ = 1263 – 1328 م): الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة 712 هـ واعتقل بها سنة 720 وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلًا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته.

كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله[57] أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير. وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر: أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات للشيخ صلاح الدين[58]: أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، منها: (الجوامع) في السياسة الإلهية والآيات النبوية، ويسمى (السياسة الشرعية)، و(الإيمان) و(الجمع بين النقل والعقل) الجزء الرابع منه، والثالث في 267 ورقة كتب سنة 737 في شستربتي (3510) و(منهاج السنة ) و(الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان) و(الواسطة بين

---

(57) الدرر الكامنة 1: 144.

(58) فوات الوفيات 1: 35.

الحق والخلق) و (الصارم المسلول على شاتم الرسول) و(مجموع رسائل) فيه 29 رسالة، و(نظرية العقد ) كما سماه ناشره، واسمه في الأصل (قاعدة) في العقود و(تلخيص كتاب الاستغاثة) يعرف بالرد على البكري، وكتاب (الرد على الأخنائي) و(رفع الملام عن الأئمة الأعلام) رسالة، و(شرح العقيدة الأصفهانية)، و(القواعد النورانية الفقهية) و(مجموعة الرسائل والمسائل) خمسة أجزاء، و(التوسل والوسيلة) و(نقض المنطق ) و(الفتاوي) و(السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية) و(مجموعة) أخرى اشتملت على أربع رسائل: الأولى رأس الحسين (حقق فيها أن رأس الحسين حمل إلى المدينة ودفن في البقيع) والثانية الرد علي ابن عربي والصوفية، والثالثة العقود المحرمة، والرابعة قتال الكفار. ولابن قدامة كتاب في سيرته سماه (العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ) وللشيخ مرعي الحنبلي، كتاب (الكواكب الدرية) في مناقبه، ومثله لسراج الدين عمر بن علي ابن موسى البزار (الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية)، وللشهاب أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري.

[59]

قول الناظم: (**وشيخه من قبله في التحفة**) يعني أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قد كتب في هذا العلم في كتابه المسمى: (**التحفة العراقية في الأعمال القلبية**) قال في مقدمته بعد حمد الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: "أما بعد: فهذه كلمات مختصرة في أعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال، وهي من أصول الايمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك..".[60]

**لكشف كل شبهة صوفية　　　　وفضح كل بدعة وشطحة**

---

(59) الأعلام للزركلي (1/ 144).

(60) التحفة العراقية (ص: 37).

(**لكشف**) جار ومجرور متعلق بما سبق، واللام للتعليل، أي خط وكتب كل من العلامة ابن القيم وشيخه ابن تيمية في علم أعمال القلوب، (**لكشف كل شبهة صوفية**) لأجل (**كشف**) والكشف لغة: رفعك الشيء عما يواريه[61]، والمعنى: أن ما كتبه الشيخان إنما لأجل رفع (**كل شبهة صوفية**) أي لإيضاح كل ما هو غامض، ورفع كل ما أشكل على الصوفية فلم يفهموه. أو لبّسوا به هم عن العوام. وأيضا لأجل (**فضح كل بدعة**) أي كشف وإظهار كل (**بدعة**) في الدين. والبدعة بدعتان، كما روى أبو نعيم بسنده عن الشافعي رحمه الله قال: " البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة. فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم"، واحتج بقول عمر بن الخطاب في قيام رمضان: نعمت البدعة هي".[62].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "البدعة هي الدين الذي لم يأمر الله به ورسوله فمن دان دينا لم يأمر الله ورسوله به فهو مبتدع بذلك وهذا معنى قوله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله [الشورى: 21]".[63]

قوله (**وشطحة**) جمع شطحات، أي وفضح كل سلوك أو كلام أو حركة باطلة ليست من هدي وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن الصوفية قد غلب عليهم الجهل فابتدعوا أمورا زعموا أنها من الخشوع والولاية، فأحدثوا ـ مثلا ـ في الذكر الضرب بالدف، والتصفيق بالأكف، مع الرقص والصياح، والاختلاط، وطامات يطول ذكرها، من الشركيات الاعتقادية والقولية والفعلية. فكانت مؤلفات الشيخين كاشفة وفاضحة لما عند القوم من البدع والضلالات.

---

(61) لسان العرب (9/ 300).

(62) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (9/ 113).

(63) الاستقامة (1/ 5).

# حَقِيقَةُ القَلبِ

**لكلِّ قلبٍ سمعُهُ معَ البصرْ يَعمى كذا يموتُ يحيا كالبَشَرْ**

**وَعقلُهُ وَفِقْهُهُ، وَيمرَضُ وَإِن يُعَالَجْ بالصَّلاحِ يَنْبِضُ**

**هوَ الإناءُ ناضِحًا بما احْتَوَى فَامْلَأْهُ خيرًا، وَلْتُجَنِّبْهُ الهوى**

**لكل قلب سمعه مع البصر يعمى كذا يموت يحيى كالبشر**

**وعقله وفقهه، ويمرض وإن يعالج بالصلاح ينبض**

**حقيقة القلب:**

اعلم ـ رحمك الله ـ أن اسم القلب ذكر في القرآن إحدى وثلاثين ومائة مرة[64]، وذكر باسم الفؤاد على قول أن القلب هو الفؤاد: ستة عشر مرة. وقد ورد في سبب تسميته: القلب، ما رواه أحمد من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعا: «**إنما سمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب مثل ريشة بالفلاة، تعلقت في أصل شجرة، يقلبها الريح ظهرا لبطن**»[65].

وقال اللُّغويون: إنما سمي القلب قلبًا، لتقلُّبِهِ وكثرة تَغَيُّرِهِ. وأصله من: قلبت الشيء أقلبه قَلْبًا. والعرب تكني بالقلب عن العقل، فيقولون: قد دله قلبه على الشيء، يريدون: دله عقله. قال الله

---

(64) جاء ذكر اسم القلب في القرآن131 مرة: ورد (قلوبهم): 68 (قلوب): 21 (قلب):6 (قلوبكما): 1 (قلبين): 1 (قلبك): 3 (قلبه): 8، (قلبها): 1، (قلبي): 1 (قلوبكم): 15، (قلوبنا): 6 (قلوبهن): 1. وذكر الفؤاد: 16 تارة: الفؤاد، وتارة: فؤادك، وتارة: أفئدة، وتارة: أفئدتهم.

(65) مسند أحمد (32/ 431) انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 466).

تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ الآية [ق: 37]، أراد: لمن كان له عقل وتمييز. ورُبَّما كَنَوا بالفؤاد عن العقل والقلب، قالت عائشة زوج عبيد الله بن العباس ترثي ابنيها:

هـا مَـنْ أحـسَّ بُنَيَّـيَّ اللـذين هما ... كالـدُّرَّتَيْنِ تَشَـظَّى عـنهما الصَـدَفُ

هـا مَـنْ أحـسَّ بُنيـيَّ اللـذين هما ... سـمعي وعقـلي فقلبـي اليـومَ مُخْتَطَـفُ

أرادت: فعقلي. (انتهى من الزاهر)[66].

وقال ابن حجر الهيتمي رحمه الله: "وسمي القلب قلبا لأنه أشد تقلبًا من قدر أغلي على ما فيها بأعظم الوقود؛ ومن ثم كان -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول في سجوده: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك""[67].

وقال الجرجاني رحمه الله: "القلب: لطيفة ربانية، لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، ويسميها الحكيم: النفس الناطقة، والروح باطنه، والنفس الحيوانية مركبة، وهي المدرك، والعالم من الإنسان، والمخاطب، والمطالب، والمعاتب"[68].

وعرفه الناظم ـ حفظه الله ـ بقوله:

**لكل قلب سمعه مع البصر ... يعمى كذا يموت يحيى كالبشر**

(**لكل قلب**) أي كل قلب من قلوب البشر له (**سمعه**) الخاص به، (**مع البصر**) كذلك. فإذا كان الأمر على هذا، فقد يطرأ على السمع صمم، وعلى البصر عمى، لذا قال: (**يعمى**) أي القلب.

---

(66) الزاهر في معاني كلمات الناس (2/ 373).

(67) الزواجر عن اقتراف الكبائر (1/ 36)، أما الحديث فرواه الترمذي وأحمد وليس فيه: "في سجوده".

(68) التعريفات (ص: 178).

واكتفى بذكر العمى دون ذكر الصمم المقابل للسمع، للدلالة عليه. و(كذا) لك (**يموت**) و(**يحيى**) فهو إذن (**كالبشر**) شبيه به، في الصحة والمرض، والحياة والموت، والسمع والصمم، والبصر والعمى. يعتريه ما يعتري الإنسان.

ثم قال:

**وعقله وفقهه، ويمرض وإن يعالج بالصلاح ينبض**

(**وعقله**) أي للقلب عقل، أو هو نفسه العقل ـ كما سنرى ـ.

(**وفقهه**) أي فقه القلب. والفقه لغة: عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه، وعند الأصوليين: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد، ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل، ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيهًا؛ لأنه لا يخفى عليه شيء. (قاله الجرجاني)[69].

فالقلب هو الذي يفقه ويعقل، (**و**) كذلك (**يمرض**) والمرض هو ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص[70]. فكذلك القلب يعتريه ما يخرجه عن الاعتدال الخاص.

وما دام يمرض فإنه يعالج ويداوى كالبدن، لذا قال: (**وإن يعالج**) يداوى (**بالصلاح**) أي بالأعمال الصالحة، مما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال فإنه يصح بإذن الله تعالى، و(**ينبض**)

(69) المصدر نفسه: (ص: 168).

(70) المصدر نفسه (ص: 211).

يتحرك ويضطرب، وتلك علامة حياته وصحته المعنوية. فالنبض هنا مجاز، لأن القلب الذي هو العضو الصنوبري الذي يضخ الدم إلى أنحاء البدن، إذا سكن عن النبض مات صاحبه حقيقة[71].

وإنما مقصود الناظم: المرض المعنوي، والموت المعنوي، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت"[72].

ولفظ مسلم: "مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه: مثل الحي والميت"[73].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "فجعل بيت الذاكر بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت، وهو القبر.

وفي اللفظ الأول: جعل الذاكر بمنزلة الحي والغافل بمنزلة الميت، فتضمن اللفظان: أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات. ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم وقلوبهم فيها كالأموات في القبور، كما قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور

وكما قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم فهي القبور الدوارس

---

(71) هذا هو الغالب، اللهم في بعض الحالات يستطيع الأطباء إيقاف القلب عن العمل لمدة ساعتين، أو أكثر أثناء عملية القلب المفتوح، لكن الدورة الدموية لا تتوقف، ولا لمدة ثوان، وكذلك يوقف التنفس الطبيعي بالتنفس بواسطة المنفسة في جميع حالات التخدير العام، وإجراء العمليات.

(72) صحيح البخاري (8/ 86).

(73) صحيح مسلم (1/ 539).

وأرواحهـــم في وحشـــة مـــن حبيـــبهم ولكنهـــا عنـــد الخبيـــث أوانـــس[74]

فأثبت الناظم في هذين البيتين للقلب: السمع والبصر، والعمى والموت والحياة، والعقل والفقه.

أما دليل سمع القلب فقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾ [الأعراف: 100].

وأما دليل بصره، وعميه، فقوله تعالى: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: 46]. فكونه يعمى دليل على أنه يبصر.

وأما دليل فقهه، فقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾ [الأعراف: 179]

وأما دليل عقله، فقوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**﴾ [الحج: 46].

وأما دليل حياته وموته، فقوله تعالى: ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾ [ق: 36].

(74) مدارج السالكين (2/ 402).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "والناس ثلاثة: رجل قلبه ميت، فذلك الذي لا قلب له، فهذا ليست هذه الآية ذكرى في حقه.

الثاني: رجل له قلب حي مستعد، لكنه غير مستمع للآيات المتلوة التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة إما لعدم ورودها، أو لوصولها إليه ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها، فهو غائب القلب، ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه.

الثالث: رجل حي القلب مستعد، تليت عليه الآيات، فأصغى بسمعه، وألقى السمع وأحضر قلبه، ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه، فهو شاهد القلب، ملق السمع، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة".[75]

وقال في موضع آخر: "الباب الرابع: فى أن حياة القلب وإشراقه مادة كل خير فيه، وموته وظلمته مادة كل شر وفتنة فيه.

فأصل كل خير وسعادة للعبد، بل لكل حى ناطق: كمال حياته ونوره. فالحياة والنور مادة الخير كله، قال الله تعالى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فى النَّاسِ كَمن مَثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بخَارِجٍ مِنْهَا**﴾ [الأنعام: 122].

فجمع بين الأصلين: الحياة، والنور، فبالحياة تكون قوته، وسمعه وبصره، وحياؤه وعفته، وشجاعته وصبره، وسائر أخلاقه الفاضلة، ومحبته للحسن، وبغضه للقبيح. فكلما قويت حياته قويت فيه هذه الصفات، وإذا ضعفت حياته ضعفت فيه هذه الصفات، وحياؤه من القبائح هو بحسب حياته فى نفسه، فالقلب الصحيح الحى إذا عرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم

(75) مدارج السالكين (1/ 441).

يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح. كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه: "هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف وينكر به المنكر".(76)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأصل صلاح القلب: هو حياته واستنارته. قال تعالى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: 122]. لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع. كقوله: ﴿**لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [يس: 70]، وقوله تعالى ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ [الأنفال: 24]، وقال تعالى: ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**) [الروم: 19]. ومن أنواعه أن يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن. وفي الحديث الصحيح: "مثل البيت يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت".(77)

وأما كونه يمرض، فقد وردت اثنى عشر آية في ذلك، منها قوله تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [البقرة: 10].

فالقلب له حياة كاملة: سمع وبصر، ونطق، وفقه وعقل، ومرض وصحة، وفرح وحزن.

قال ابن القيم رحمه الله: "لا ينكر فرح القلب بالرب تعالى وسروره به، وابتهاجه وقرة عينه، ونعيمه بحبه، والشوق إلى لقائه: إلا كثيف الحجاب، حجري الطباع"(78).

---

(76) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 20).

(77) أمراض القلوب وشفاؤها (ص: 8).

(78) مدارج السالكين (2/ 340).

وفي الصحيحين: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون ".[79]

وللقلب قسوة ولين. قال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [الزمر: 22]. وقال سبحانه: ﴿**لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ [الحج: 53]. وقال جل وعلا: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ [الزمر: 23].

والقلب ـ أيضا ـ له لسان يتكلم به، وربما أصابه مرض فصار أبكم. قال تعالى في وصف الكفار: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة: 171]

قال ابن القيم رحمه الله: "والبكم نوعان. بكم القلب وبكم اللسان، كما أن النطق نطقان: نطق القلب ونطق اللسان. وأشدهما: بكم القلب، كما أن عماه وصممه أشد من عمى العين وصمم الأذن"[80].

وذكر ـ رحمه الله ـ في موطن آخر من عقوبات المعاصي: " منها: جعل القلب أصم لا يسمع الحق، أبكم لا ينطق به، أعمى لا يراه، فتصير النسبة بين القلب وبين الحق الذي لا ينفعه غيره، كالنسبة بين أذن الأصم والأصوات، وعين الأعمى والألوان، ولسان الأخرس والكلام، وبهذا

---

(79) صحيح البخاري (2/ 83)، صحيح مسلم (4/ 1807). واللفظ للبخاري.

(80) التفسير القيم (ص: 129).

يعلم أن العمى والصمم والبكم للقلب بالذات: الحقيقة، وللجوارح بالعرض والتبعية ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ [الحج: 46] ".[81]

فلما كان للقلب تأثير على الجوارح، تتأثر به تأثرًا لازمًا، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، صارت حركات الإنسان كالإناء ينضح بما فيه. لذا قال الناظم:

**هو الإناء ناضحا بما احتوى　　　فاملأه خيرا، ولتجنبه الهوى**

(**هو الإناء**) أي القلب، شبهه بالإناء، حال كونه (**ناضحا**) والنضح: الرش بالماء. (**بما احتوى**) أي بما فيه. وهذا الشطر منتزع من المثل العربي المشهور: "كل إناء ينضح - أو يترشح - بما فيه: يضرب فى إفصاح الرجل بما يطبع به إن خيرا فخير وإن شرا فشر".[82] (**ف**) الفاء الفصيحة: سميت بذلك لأنها أفصحت عن شرط مقدر، تقديره: "إذا علمت أحوال القلوب، فاملأه..". فسميت الفاء هنا فصيحة من باب المجاز العقلي. (**املأه**) الضمير للقلب (**خيرا، ولتجنبه**) أبعده عن (**الهوى**) وهو ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع[83].

والمعنى: إن القلب كالإناء قابل ليتأثر بكل ما تملأه به، فإن صببت فيه خيرا صار قلبا صالحا، وإن صببت فيه شرا صار قلبا خبيثا. وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب ".[84]

---

(81) الجواب الكافي (ص: 117).

(82) المستقصى في أمثال العرب (2/ 224).

(83) التعريفات (ص: 257).

(84) صحيح البخاري (1/ 20) صحيح مسلم (3/ 1219).

قال الإمام النووي رحمه الله: " وفي هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد، واحتج بهذا الحديث على أن العقل في القلب لا في الرأس. وفيه خلاف. مشهور مذهب أصحابنا وجماهير المتكلمين: أنه في القلب. وقال أبو حنيفة: هو في الدماغ. وقد يقال في الرأس". (85)

وقال الشيخ الإمام ابن دقيق العيد رحمه الله: "القلب في الأصل مصدر، وسمي به هذا العضو الذي هو أشرف الأعضاء لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه. وأنشد بعضهم في هذا المعنى:

ما سمي القلب إلى من تقلبه ... فاحذر على القلب من قلب وتحويل

وخص الله تعالى جنس الحيوان بهذا العضو، وأودع فيه تنظيم المصالح المقصودة، فتجد البهائم على اختلاف أنواعها تدرك به مصالحها وتميز به مضارها من منافعها، ثم خص الله نوع الإنسان من سائر الحيوان بالعقل، وأضافه إلى القلب. فقال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ [الحج: 46].

وقد جعل الله الجوارح مسخرة له ومطيعة، فما استقر فيه ظهر عليها، وعملت على معناه: إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. فإذا فهمت هذا ظهر لك قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا إن في الجسد مضغة...". (86)

---

(85) شرح النووي على مسلم (11/ 29).

(86) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: 48).

و عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "القلب ملك وله جنود، فإذا صلح الملك صلحت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده، الأذنان قمع، والعينان مسلحة، واللسان ترجمان، واليدان جناحان، والرجلان بريدان، والكبد رحمة، والطحال والكليتان مكر، والرئة نفس، فإذا صلح الملك صلحت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده".[87]

---

(87) رواه معمر بن راشد في جامعه (11/ 221)، و أبو بكر الملكي في المجالسة وجواهر العلم (2/ 394)، وأبو نعيم الأصفهاني في الطب النبوي (1/ 225)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 257)، ورواه أبو داود في الزهد من موقوفا عن كعب (ص: 382).

# أَنوَاعُ القُلُوبِ

حَيٌّ سليمٌ قلبُ كلِّ مؤمنِ وَأربعٌ مِيْزَاتُهُ فَدَوِّنِ
بُغْضُ المعاصي دائمًا وَرَدُّها وَلا يَرُدُّ طاعةً معْ حُبِّها
وَمَيِّتٌ قاسٍ: لِعَاصٍ كافرِ مِيزاتُهُ ضِدَّ السَّليمِ فَاذْكُرِ
أَمَّا المريضُ مِيْزَتَيْهِ ما احتوى لمسلمٍ عَصِيْ يُحَكِّمُ الهوى

لما كانت القلوب تتفاوت من قلب لآخر، حسب ما تتغذى به، ذكر الناظم أنواعها، فبدأ بقلب المؤمن واصفا له بأنه:

**حي سليم قلب كل مؤمن وأربع ميزاته فدوّن**

(**حي**) غير ميت (**سليم**) نقي من الأمراض. يقول ابن القيم رحمه الله في تعريف القلب السليم: "هو النقي من الغل والدغل، وحقيقته: الذي قد سلم لله تعالى وحده، فخلص من دغل الشرك وغله، ودغل الذنوب والمخالفات، بل هو المستقيم على صدق حبه وحسن معاملته، فهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذابه والفوز بكرامته".[88]

(88) بدائع الفوائد (2/ 133).

فهذه صفات (**قلب كل مؤمن**) كامل الإيمان، وإلا فليس كل المؤمنين سليمي القلوب (**وأربع ميزاته**) أي علاماته أربعة التي يميز بها (**ف**) الفصيحة، إذن (**دون**) أي اكتبه وسجله ورتبه للحفظ. يقال: "دون الشيء: سجله، أثبته بالكتابة حفظا له من الضياع"[89].

والعلامات الأربع لحياة القلب وسلامته هي:

**بغض المعاصي دائما وردها ولا يرد طاعة مع حبها**

الأولى: (**بغض المعاصي**) أي كره ما حرم الله ورسوله ونهى عنه (**دائمًا**) أبدًا.

الثانية: (**وردها**) أي: عدم قبولها أو الانقياذ لها.

الثالثة: (**ولا يرد**) قلبُ المؤمن السليم (**طاعة**) بل يقبلها وينقاذ لها.

الرابعة: (**مع حبها**) وهذا القيد شرط، فإن قبلها وانقاذ لها مع كرهه لها، لم يكن قلبه حينئذ سليما.

فهذه علامات القلب الحي السليم. وفي المقابل يأتي القلب الميت السقيم، وهو ما عبر عنه الناظم بقوله:

**وميت قاس لعاص كافر ميزاته ضد السليم فاذكر**

(**و**) قلب (**ميت**) لا حياة فيه (**قاس**) ضد قلب المؤمن اللين (**لعاص**) متلبس بالمعصية (**كافر**) الكفر المخرج من الملة، إذ لو كانت معصيته غير مخرجة من الملة لم يكن قلبه ميتًا، بل مريضًا.

---

(89) معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 791).

ومذهب أهل السنة والجماعة أن العبد لا يخرج من الملة إلا بالمعصية المكفرة لا بما دونها، خلافًا للخوارج الذين يكفرون بمطلق المعاصي، وخلافًا للمعتزلة الذين يقولون بالمنزلة بين المنزلتين، أي أن أنه فاسق بمعصيته، لا هو مؤمن، ولا هو كافر، لكنه مخلد في النار[90]، وخلافًا للمرجئة القائلين: لا يضر مع الإيمان سيئة، جلّت أو قلّت[91].

**(ميزاته)** علاماته المتميز بها هي **(ضد)** القلب **(السليم)** الذي مر وصفه (فاذكر) أي: اذكر هذا، وتذكره وراجعه للتمييز.

**وأما المريض ميزتيه ما احتوى      لمسلم عصي يحكّم الهوى**

**(وأما)** القلب **(المريض)** فـ**(ميزتيه)** علاماته **(ما احتوى)** اجتمع في قلب **(لمسلم عصي)** يقع في المعصية دون استحلال، ويرتكب ذنوبا دون الشرك، فلا يخرجه ذلك عن دائرة الإسلام، لأن الدافع له لهذه المعاصي أنه **(يحكّم الهوى)** وهو كل ما تستلذه النفس وتميل إليه دون قيد شرعي.

واعلم ـ رحمني الله وإياك ـ أن رأس الخطايا، ومنبع المعاصي: اتباع الهوى. ومن ثم ذم سبحانه وتعالى اتباع الهوى في غير ما موضع فقال: ﴿**يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾ [ص: 26]. وقال سبحانه: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [النساء: 135]. وقال جل وعلا: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ**

(90) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (ص: 22).

(91) الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 155).

نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 175، 176]، وقال أيضًا: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: 28]، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]، وقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 23]. والآيات في ذم الهوى كثيرة.

كما ووعد سبحانه بالجنة لمن خالف هواه، فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: 40، 41].

وزكَّى منطق نبيه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 2 – 4].

وعن مهاجر بن عمير قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة.."[92].

قال أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله: "اعلم: أن الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب، وإلى المنكح ما نكح. وكذلك كل ما يشتهيه فالهوى مستجلب له ما يفيد. كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذي.

---

(92) صفة الصفوة (1/ 120). و أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء 1/ 117. رقم 235.

فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يـذم المفـرط مـن ذلـك، وهـو مـا يزيـد عـلى جلـب المصالح ودفع المضار.

ولما كان الغالب من موافق الهوى أنه لا يقف منه على حد المنتفع، أطلق ذم الهوى والشهوات لعموم غلبة الضرر، لأنه يبعد أن يفهم المقصود من وضع الهوى في النفس. وإذا فُهم تعذر وجود العمل به، وندُر مثاله أن شهوة المطعم إنما خلقت لاجتلاب الغذاء، فيندُر من يتناول بمقتضى مصلحته ولا يتعدى، فإن وُجد ذلك انغمر ذكر الهوى في حق هذا الشخص، وصار مستعملا للمصالح.

وأما الأغلب من الناس فإنهم يوافقون الهوى، فإن حصلت مصلحة حصلت ضمنا وتبعـا. فلما كان هذا هو الغالب ذكرتُ في هذا الباب ذمّ الهـوى والشـهوات مطلقـا، ووسـمت كتـابي بــ **"ذم الهوى"** لذلك المعنى.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: "ما ذكر الله عز وجل الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه". وقال الشعبي: "إنما سمي هوى، لأنه يهوي بصاحبه". (ا.هـ)[93]

وبالجملة: فقد قسم الناظم ـ حفظه الله ـ أنواع القلوب إلى ثلاثة:

حي سليم، وميت، ومريض. ولم يذكر قلبا آخر، وهو الذي تارة يكون مريضا وتارة يكون سليما، وهو الذي ورد ذكره عن حذيفة رضي الله عنه في قوله: "القلوب أربعة، قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح وذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه مثل سراج يزهر، فذلك قلب

---

(93) ذم الهوى (ص: 12).

المؤمن. وقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق كمثل قرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلب"[94].

قال ابن القيم رحمه الله: " فقوله: "قلب أجرد" أي متجرد مما سوى الله ورسوله، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق. و"فيه سراج يزهر" وهو مصباح الإيمان: فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغى، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان. وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر؛ لأنه داخل فى غلافه وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، كما قال تعالى، حاكيا عن اليهود: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ**﴾ [البقرة: 88]، وهو جمع أغلف، وهو الداخل فى غلافه، كقلف وأقلف، وهذه الغشاوة هى الأكنة التى ضربها الله على قلوبهم، عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله. فهى أكنة على القلوب، ووقر فى الأسماع، وعمى فى الأبصار، وهى الحجاب المستور عن العيون فى قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِى آذَانِهِمْ وَقْرا**﴾ [الإسراء: 45-46] . فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة، ولَّى أصحابها على أدبارهم نفورًا.

وأشار بالقلب المنكوس -وهو المكبوب- إلى قلب المنافق، كما قال تعالى: ﴿**فَمَا لَكُمْ فِى الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا**﴾ [النساء: 88] . أى نكسهم وردهم فى الباطل الذى كانوا فيه، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة وهذا شر القلوب وأخبثها، فإنه يعتقد الباطل حقا ويوالى أصحابه، والحق باطلًا ويعادى أهله، فالله المستعان.

---

(94) صحح الشيخ الألباني وقفه عن حذيفة رضي الله عنه. انظر تحقيقه كتاب الإيمان لابن تيمية (ص: 106). وسلسلة الأحاديث الضعيفة (11/ 264).

وأشار بالقلب الذى له مادتان، إلى القلب الذى لم يتمكن فيه الإيمان ولم يزهر فيه سراجه، حيث لم يتجرد للحق المحض الذى بعث الله به رسوله، بل فيه مادة منه ومادة من خلافه، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان، وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر، والحكم للغالب وإليه يرجع". (ا.هـ)[95].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»** الحديث.[96].

لما كان القلب يتعرض لهذه الأقسام، عرض الناظم فصلا بين فيه دواء القلوب، فقال:

---

(95) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 12 ـ 13).

(96) صحيح مسلم (1/ 128).

## دَواءُ القَلبِ، وَزَادُهُ، وَلِبَاسُهُ

**وَالقلبُ إنْ يمرضْ يُدَاوَى بالتُّقى ... أيضًا لباسُهُ وَزادُهُ التُّقى**

**فَتَحْمِهِ التَّقوى مِنَ المَضَرَّةِ ... كَدَفْعِ شهوةٍ وَردِّ شُبْهَةِ**

**صارتْ لهُ كالثَّوبِ أو كَحُلَّةِ ... لعورةٍ وَحِمْيَةٍ وَزِيْنَةِ**

**عوراتُهُ: ظلمٌ وَشُحٌّ وَالهوى ... إنَّ التُّقى سِتْرٌ لهُ إذا غوى**

**وَزينةٌ لهُ، كذا التَّقوى التَزِمْ ... كَحُسْنِ أخلاقٍ وَطَيِّبِ الكَلِمْ**

ذكر الناظم هنا ثلاثة أمور:

**دواء القلب**: الذي هو علاج ما طرأ عليه من مرض.

**وزاده**: وهو ما يحتاجه في سفره إلى الدار الآخرة.

**ولباسه**: وهو ما يحتاجه ليواري به سوأته.

فقال ـ لله دره ـ:

**والقلب إن يمرض يداوى بالتقى ... أيضا لباسه وزاده التقى**

(**والقلب إن يمرض**) إن يصب بمرض فيفسُد كما يفسد البدن، ويمرض كما يمرض الجسد. فإن أمراض القلوب كثيرة، منها: الظلم، والنفاق، والشك، والحسد، والغل، والعجب، وحب الشهوات، والحزن، والهم، والغم، والخوف، والشح، والبخل، والغضب، والهوى، وغير ذلك.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رسالة مستقلة عن أمراض القلوب، أنصح طلبة العلم بقراءتها، فإنها جامعة في بابها. فقد عرّف رحمه الله مرض القلب بقوله: "مرض القلب هو نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره، وإرادته. فتصوره بالشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه. وإرادته بحيث يبغض الحق النافع، ويحب الباطل الضار. فلهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب، كما فسر مجاهد وقتادة، قوله تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**﴾ [البقرة: 10]، أي شك، وتارة يفسر بشهوة الزنا، كما فسر به قوله عز وجل: ﴿**فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾ [الأحزاب: 32]. ولهذا صنف الخرائطي كتاب: **"اعتلال القلوب"** أي مرضها. وأراد به مرضها بالشهوة.

والمريض يؤذيه ما لا يؤذي الصحيح، فيضره يسير الحر والبرد والعمل ونحو ذلك من الأمور التي لا يقوى عليها لضعفه بالمرض.

والمرض ـ في الجملة ـ يُضعف المريض بجعل قوته ضعيفة لا تطيق ما يطيقه القوى.

والصحة تحفظ بالمثل، وتزال بالضد. والمرض يقوى بمثل سببه، ويزول بضده. فإذا حصل للمريض مثل سبب مرضه زاد مرضه، وزاد ضعف قوته، حتى ربما يهلك. وإن حصل له ما يقوي القوة ويزيل المرض كان بالعكس.

ومرض القلب ألم يحصل في القلب، كالغيظ من عدو استولى عليك، فإن ذلك يؤلم القلب. قال الله تعالى: ﴿**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ**﴾الآية [التوبة: 14، 15]. فشفاؤهم بزوال ما حصل في قلوبهم من الألم.

ويقال فلان شفى غيظه. وفي القَود[97] استشفاء أولياء المقتول. ونحو ذلك. فهذا شفاء من الغم والغيظ والحزن، وكل هذه آلام تحصل في النفس.

وكذلك الشك والجهل يؤلم القلب قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاءُ العِيِّ السؤال**»[98].

والشاك في الشيء المرتاب فيه، يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين. ويقال للعالم الذي أجاب بما يبين الحق: "قد شفاني بالجواب".

والمرض دون الموت، فالقلب يموت بالجهل المطلق، ويمرض بنوع من الجهل. فله موت ومرض، وحياة وشفاء. وحياته وموته ومرضه وشفاؤه أعظم من حياة البدن وموته ومرضه وشفائه. فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة أو شهوة قوّت مرضه. وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه. قال تعالى: ﴿**لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ**﴾ الآية [الحج: 53]، لأن ذلك أورث شبهة عندهم. والقاسية قلوبهم ليبسها، فأولئك قلوبهم ضعيفة بالمرض، فصار ما ألقى الشيطان فتنة لهم، وهؤلاء كانت قلوبهم قاسية عن الايمان فصار فتنة لهم".[99] (ا.هـ)

قلت: فإن سألت عن أسباب هذه الأمراض تجدها: المعاصي. يقول العلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله: "فصل: **المعاصي تمرض القلوب:**

---

(97) القَوَد: قتل الرجل بِالرجلِ، قِيد فلَان بفلان قَوَدًا. (جمهرة اللغة (2/ 1060).

(98) صحيح أبي داود للألباني (2/ 159).

(99) أمراض القلوب وشفاؤها (ص: 4 ـ 5).

ومن عقوباتها: أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضا معلولا لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه، فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب وداؤها، ولا دواء لها إلا تركها.

وقد أجمع السائرون إلى الله أن القلوب لا تعطى مناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة، ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها، فيصير نفس دوائها، ولا يصح لها ذلك إلا بمخالفة هواها، فهواها مرضها، وشفاؤها مخالفته، فإن استحكم المرض قتل أو كاد.

وكما أن من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه، فكذا يكون قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة، لا يشبه نعيم أهلها نعيما البتة، بل التفاوت الذي بين النعيمين، كالتفاوت الذي بين نعيم الدنيا والآخرة، وهذا أمر لا يصدق به إلا من باشر قلبه هذا وهذا.

ولا تحسب أن قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ [الانفطار: 13 - 14] مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط، بل في دورهم الثلاثة كذلك - أعني دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار - فهؤلاء في نعيم، وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب؟ وهل العذاب إلا عذاب القلب؟ وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن، وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة، وتعلقه بغير الله، وانقطاعه عن الله، بكل واد منه شعبة؟ وكل شيء تعلق به وأحبه من دون الله فإنه يسومه سوء العذاب". (ا.هـ)[100]

---

(100) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: 76).

فإن كان القلب يمرض فلابد له له من دواء، لقوله صلى الله عليه وسلم: «**لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل**». [101] ومن ثم قال الناظم:

**والقلب إن يمرض يداوى بالتقى** ..........................

(**يداوى**) أي القلب المريض يعالج (**بـ**) سبب (**التقى**) والتقى أو التقوى في اللغة: اسم، وموضع التاء واو وأصلها "وقوى"، وهي فُعلى من وقيت، وقيل: التقوى أصلها وقوى من وقيت، فلما فتحت قلبت الواو تاء، ثم تركت التاء في تصريف الفعل على حالها في التقى والتقوى والتقية والتقي والاتقاء. وقال الجوهري: التقوى والتقى: واحد". [102]

فالتقوى معناها الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية، وعند أهل الحقيقة: هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك. قاله الجرجاني رحمه الله. [103]

والتقوى: تقتضي عند إفرادها: فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، وتقتضي عند اقترانها بفعل المأمور: الانتهاء عن المحظور. [104]

---

(101) صحيح مسلم (4/ 1729).

(102) لسان العرب (15/ 404).

(103) التعريفات (ص: 65).

(104) مدارج السالكين (1/ 313).

وعن عاصم الأحول قال: وقعت الفتنة، فقال طلق بن حبيب اتقوا الفتنة بالتقوى، فقال بكر بن عبد الله: "أجمل لنا التقوى في يسير، فقال: التقوى العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله، والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله"[(105)].

## ................................ أيضا لباسه وزاده التقى

(**أيضا**) كذلك مما يداوى به القلب المريض أن يكون (**لباسه**) الذي يستره (**وزاده**) الذي يتزود به في سفره إلى ربه جل وعلا، هو (**التقى**) فقط، وليس إلا.

وقد دل القرآن على هذا العلاج في قوله سبحانه: ﴿**يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: 26]. فهذا علاج القلب بلباس التقوى. يقول سيد قطب رحمه الله: "فهناك تلازم بين شرع الله اللباس لستر العورات والزينة، وبين التقوى.. كلاهما لباس. هذا يستر عورات القلب ويزينه. وذاك يستر عورات الجسم ويزينه. وهما متلازمان. فعن شعور التقوى لله والحياء منه ينبثق الشعور باستقباح عري الجسد والحياء منه. ومن لا يستحي من الله ولا يتقيه لا يهمه أن يتعرى وأن يدعو إلى العري.. العري من الحياء والتقوى، والعري من اللباس وكشف السوأة!". (ا.هـ)[(106)].

وقال تعالى: ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾ [البقرة: 197]، وهذا علاج القلب بزاد التقوى. يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله: " وقوله: (**فإن خير الزاد التقوى**) لما أمرهم بالزاد للسفر في

---

(105) الزهد الكبير للبيهقي (ص: 351).

(106) في ظلال القرآن (3/ 1278).

الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة، وهو استصحاب التقوى إليها، كما قال: ﴿**وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾ [الأعراف: 26] . لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشدا إلى اللباس المعنوي، وهو الخشوع، والطاعة، والتقوى، وذكر أنه خير من هذا، وأنفع.

قال عطاء الخراساني في قوله (**فإن خير الزاد التقوى**) "يعني: زاد الآخرة".(ا.هـ)(107).

فلما كان مدار دواء القلب كامنا في التقوى، قال حفظه الله:

**فتحمه التقوى من المضرة كدفع شهوة ورد شبهة**

(**فتحمه**) تنجيه (**التقوى من المضرة**) مما يضر القلب ويفسده (**كدفع**) ضرر (**شهوة**) كيفما كانت، ولذلك نكّرها. والشهوة لغة: حركة للنفس؛ طلبًا للملائم(108).

وقد تكون شهوة بطن، أو شهوة فرج، أو شهوة سلطة، أو شهوة جاه، أو شهوة سمعة، أو شهوة رئاسة، أو غيرها من ملذات النفس. أعاذنا الله وإياكم منها (**ورد**) رفض وعدم قبول (**شبهة**) الشبهة: الخلط بين الحق والباطل، والحلال والحرام. وسيأتي ذكره وتفصيله قريبا. والمعنى: أن التقوى كما تمنع صاحبها من اتباع الشهوات، تدفع عنه كذلك الشبهات، فيميز بين الحق والباطل.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن القرآن قد تضمن أدوية القلوب، وعلاجها من جميع أمراضها، فقال جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِن ربكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِى الصُّدُورِ**﴾ [يونس: 57] وقال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمؤْمِنِينَ**﴾ [الإسراء: 82].

---

(107) تفسير ابن كثير (1/ 548).

(108) التعريفات (ص: 129).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "وقد تقدم أن جماع أمراض القلب هى: أمراض الشبهات والشهوات. والقرآن شفاء للنوعين. ففيه من البينات والبراهين القطعية ما يبين الحق من الباطل، فتزول أمراض الشبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هى عليه، وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية: من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد والنبوات، ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة، مثل القرآن. فإنه كفيل بذلك كله، متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول وأفصحها بيانا. فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك،..(إلى أن قال):

وأما شفاؤه لمرض الشهوات، فذلك بما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، والتزهيد فى الدنيا، والترغيب فى الآخرة، والأمثال والقصص التى فيها أنواع العبر والاستبصار، فيرغب القلب السليم إذا أبصر ذلك فيما ينفعه فى معاشه ومعاده ويرغب عما يضره، فيصير القلب محبا للرشد، مبغضا للغى.

فالقرآن مزيل للأمراض الموجهة للإرادات الفاسدة، فيصلح القلب، فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التى فطر عليها، فتصلح أفعاله الاختيارية الكسبية، كما يعود البدن بصحته وصلاحه إلى الحال الطبيعى، فيصير بحيث لا يقبل إلا الحق، كما أن الطفل ليس بقابل إلا اللبن.

**وَعَادَ الْفَتَى كَالطِّفْلِ، لَيْسَ بِقَابِلٍ سِوَى الْمَحْضِ شَيْئًا، وَاسْتَرَاحَتْ عَوَاذِلُهْ**. (ا.هـ)[109]

فإذا التزم العبد بالتقوى، صارت له لباسًا لقلبه، وحمية، وزينة. لذا قال:

**صارت له كالثوب أو كحلة لعورة وحمية وزينة**

(**صارت**) أي التقوى (**له**) للقلب (**كالثوب**) من الثياب (**أو حلة**) الحلة: تطلق على ثوبين فأكثر.[110] (**لـ**) أجل ستر (**عورة**) والعورة لغة: الخلل في الثغر وغيره، وقد يوصف به منكورا فيكون

(109) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 44 إلى 46).

للواحد والجمع بلفظ واحد، وفي التنزيل العزيز: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: 13] [111] أي منكشفة للعدو، وقيل أراد خالية للسراق، ويقال أعور المنزل إذا انكشف. [112].

(وحمية) الحمية: المحافظة على المحرم والدين من التهمة. [113] (وزينة) اسم جامع لكل شيء يتزين به.

والمعنى: أن التقوى للقلب كالثوب أو الحلة، اللذين بهما يستر الإنسان عورته، ويحمي جسده من حر الشمس، وقر البرد، ويتجمل به.

فإن سأل سائل: وهل للقلب عورة كي يحتاج لسترها؟

الجواب: أجل، ولهذا أشار الناظم بقوله:

**عوراته: ظلم وشح والهوى ... إن التقى ستر له إذا غوى**

(**عوراته**) الضمير يعود إلى القلب، هي (**ظلم**) وهو: وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد. [114] (**وشح**) عطف على ظلم. والشح هو: بخل الرجل من مال غيره [115]. وفي الحديث

---

(110) لسان العرب (11/ 172).

(111) المصدر نفسه (4/ 616).

(112) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 374).

(113) التعريفات (ص: 93).

(114) التعريفات (ص: 144).

(115) التعريفات (ص: 42).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا".[116]

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم، وحملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**».[117]

(**والهوى**) كذلك عورة. وقد مر تعريفه، وهو ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع.

فهذه ثلاث عورات للقلب: الظلم، والشح، والهوى.

**إن التقى ستر له إذا غوى** ...............................

(**إن التقى ستر**) غطاء وحجاب ولباس (**له**) للقلب (**إذا غوى**) إذا ضل عن الصراط المستقيم. والغي: الضلال والخيبة. يقال: غوى،غيا، وغوي غواية[118]، وهو ضد الرشاد، كما في قوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [البقرة: 256]، وقوله سبحانه: ﴿**وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا**﴾ [الأعراف: 146].

**وزينة له، كذا التقى التزم** **كحسن أخلاق وطيب الكلم**

(**و**) التقى (**زينة**) كذلك (**له**) للقلب. لأن اللباس يكون سترا للعورة، وحمية من الحر أو القر، وزينة يتجمل به المؤمن دون إسراف ولا مخيلة. فكذلك التقوى هي لباس القلب، وستره،

---

(116) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (5/ 181).

(117) صحيح الأدب المفرد (ص: 181)

(118) لسان العرب (15/ 140).

وحميته، وزينته. قال تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أخبر سبحانه أن لباس التقوى خير من هذا اللباس، كما قال لما أمرهم بالزاد فقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: 197]. فهما لباسان وزادان، ثم قال: ﴿يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ [الاعراف: 27 ]، فنهى بني آدم أن يفتتنوا بفتنة الشيطان كما فتن أبويهما، وذلك بمعصية الله، وطاعة الشيطان في خلاف أمر الله ونهيه. وأنه لما نزع عن الأبوين لباسهم، فكذلك قد ينزع عن الذرية لباس التقوى ولباس البدن ليريها سوءاتهما".(119)

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في الآية: "جمع بين الزينتين: زينة البدن باللباس، وزينة القلب بالتقوى، زينة الظاهر والباطن".(120)

**(كذا التقى التزم)** فيه تقديم وتأخير، والأصل: كذا التزم التقى. أي: لا تفارق التقوى في كل أحوالك، سكناتك وحركاتك، ظاهرك وباطنك.

**...................... كحسن أخلاق وطيب الكلم**

والتقوى تجعل صاحبها يتصف بأوصاف طيبة، منها **(كحسن أخلاق)** فإنها إذا كانت مع التقى، أدخلت صاحبها الجنة، وقد ورد في حسن الخلق آثار كثيرة صحيحة، منها قوله صلى الله عليه

---

(119) الاستقامة (2/ 170).

(120) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 58).

وسلم: «**أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق، وأكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج**».[121]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**».[122]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول: «**خياركم أحاسنكم أخلاقا**».[123]

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**أخبركم بأحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة؟**»، **فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثا. قال القوم: نعم يا رسول الله! قال: «أحسنكم خلقا**».[124]

وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلاة**».[125]

قوله (**وطيب الكلم**) أي والتزم الكلام الطيب مع التقوى، كما في الحديث الصحيح: «**والكلمة الطيبة صدقة**»[126]، وفي حديث عدي بن حاتم مرفوعا: «**فليتق أحدكم النار ـ ولو بشق تمرة ـ فإن لم يجد فبكلمة طيبة**». الحديث[127].

---

(121) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 669).

(122) رواه الترمذي عن أبي الدرداء. انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 998).

(123) رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي في سننه، وغيرهما، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 577).

(124) صحيح الأدب المفرد (ص: 118).

(125) سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 120).

(126) صحيح البخاري (4/ 56) و(8/ 11)، وصحيح مسلم (2/ 699).

واعلم ـ رحمك الله ـ أن أعظم كلمة طيبة، وأثقل كلمة طيبة في الميزان يوم القيامة هي، كلمة التوحيد: لا إله إلا الله. قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: 24 – 27]. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والكلمة: أصل العقيدة. فإن الاعتقاد هو الكلمة التي يعتقدها المرء وأطيب الكلام والعقائد: كلمة التوحيد واعتقاد أن لا إله إلا الله. وأخبث الكلام والعقائد: كلمة الشرك وهو اتخاذ إله مع الله. فإن ذلك باطل لا حقيقة له".(128)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب فيقول: أفلك عذر؟ قال لا يا رب فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ ! فيقول: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء**».(129)

---

(127) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (10/ 375).

(128) مجموع الفتاوى (4/ 74).

(129) رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (3/ 1542)، سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 262).

وكل ذكر لله تعالى فهو: كلمة طيبة، فالتسبيح كلمة طيبة، والحمدلة كلمة طيبة، والتكبير كلمة طيبة، والتهليل كلمة طيبة، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلمة طيبة، والحوقلة كلمة طيبة، والاسترجاع عند المصائب كلمة طيبة، والإصلاح بين الناس عمل صالح وكلمة طيبة، والدعوة إلى الله تعالى كلمة طيبة، والأذان كلمة طيبة. . . إلخ.

وللإمام النووي رحمه الله، كتاب مشهور بعنوان: "الأذكار"، ذكر فيها الحض على ذكر الله وفضله، وساق عدة أذكار تقال في مناسبات تعبدية أو عادية جبلية. وكذلك كتابه: " رياض الصالحين". وكذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة بعنوان: "الكلم الطيب"، وصنف تلميذه العلامة ابن القيم رحمه الله، كتابا بعنوان: "الوابل الصيب من الكلم الطيب". ذكر فيه فضل الذكر ومائة فائدة من فوائده.

وهذه المؤلفات ـ ولله الحمد ـ قد حققت تحقيقا جيدا، فعلى طالب العلم أن يكون له حظ من الاطلاع عليها، وحفظ ما فيها، فإنها مفيدة في باب ذكر الله عز وجل.

## تَعرِيفُ التَّقوى

**وَجاءَ في التَّقوى عنِ ابنِ تيميهْ أنْ نحتمي باللهِ منهُ، قلْ: هِيَهْ**
**لأَنَّهُ بالضُّرِّ وَالنَّفعِ انفردْ بِنَفْسِهِ وَفِعْلِهِ إلى الأبَدْ**

**وَحَدَّها ابنُ القيِّمِ بما اجتمعْ مِنْ صالحِ الأعمالِ معْ علمٍ نَفَعْ**

**وجاء في التقوى عن ابن تيميه أن نحتمي بالله منه، قل هيه**

(**وجاء**) في معنى (**التقوى عن**) شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم (**ابن تيمية**) رحمه الله أن التقوى: هي (**أن نحتمي بالله منه**) وهذا التعريف ذكره رحمه الله في الفتاوى فقال: " و " التقوى " هي الاحتماء عما يضره بفعل ما ينفعه؛ فإن الاحتماء عن الضار يستلزم استعمال النافع، وأما استعمال النافع فقد يكون معه أيضا استعمال لضار فلا يكون صاحبه من المتقين. وأما ترك استعمال الضار والنافع فهذا لا يكون فإن العبد إذا عجز عن تناول الغذاء كان مغتذيا بما معه من المواد التي تضره حتى يهلك ولهذا كانت العاقبة للتقوى وللمتقين؛ لأنهم المحتمون عما يضرهم فعاقبتهم الإسلام والكرامة وإن وجدوا ألما في الابتداء لتناول الدواء والاحتماء كفعل الأعمال الصالحة المكروهة. كما قال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 216]. ولكثرة الأعمال الباطلة المشتهاة، كما قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ [النازعات: 40، 41] . وكما قال: ﴿**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ**﴾ [الأنفال: 7].

فأما من لم يحتم، فإن ذلك سبب لضرره في العاقبة. ومن تناول ما ينفعه مع يسير من التخليط فهو أصلح ممن احتمى حمية كاملة ولم يتناول الأشياء سرا؛ فإن الحمية التامة بلا اغتذاء تمرض. فهكذا من ترك السيئات ولم يفعل الحسنات.

وقد قدمنا في " قاعدة كبيرة " أن جنس الحسنات أنفع من جنس ترك السيئات، كما أن جنس الاغتذاء من جنس الاحتماء. وبينا أن هذا مقصود لنفسه وذلك مقصود لغيره بالانضمام إلى

غيره. وكما أن الواجب الاحتماء عن سبب المرض قبل حصوله وإزالته بعد حصوله فهكذا أمراض القلب يحتاج فيها إلى حفظ الصحة ابتداء وإلى إعادتها - بأن عرض له المرض - دواما. والصحة تحفظ بالمثل والمرض يزول بالضد. فصحة القلب تحفظ باستعمال أمثال ما فيها أو هو ما يقوي العلم والإيمان، من الذكر والتفكر والعبادات المشروعة، وتزول بالضد. فتزال الشبهات بالبينات، وتزال محبة الباطل ببغضه ومحبة الحق". انتهى.[130]

(**قل**) أنت أيها المعرّف لمعنى التقوى (**هيه**) الهاء دخلت للوقف لبيان حركة الياء، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ**﴾ [القارعة: 10]. وجملة (**قل هيه**) محلها التقديم، إذ الأصل: "قل في تعريف التقوى هي: ما قاله ابن تيمية". وإنما أخرها لضرورة النظم.

**لأنه بالضر والنفع انفرد بنفسه وفعله إلى الأبد**

(**لأنه**) أي نحتمي بالله منه سبحانه لأجل أنه (**بالضر والنفع انفرد بنفسه**) سبحانه (**وفعله**) فلا يشرك معه أحدا. وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (**إلى الأبد**).

وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ**»[131].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: " فتأمل ذكر استعاذته صلى الله عليه وسلم بصفة الرضا من صفة السخط وبفعل المعافاة من فعل العقوبة، فالأول للصفة، والثاني لأثرها المترتب عليها، ثم ربط

---

(130) مجموع الفتاوى (10/ 144ـ 145).

(131) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة/ باب ما يقال في الركوع والسجود (1/ 352) برقم 486.

ذلك كله بذاته سبحانه، وأن ذلك كله راجع إليه وحده، لا إلى غيره، فما أعوذ منه واقع بمشيئتك وإرادتك، وما أعوذ به من رضاك ومعافاتك هو بمشيئتك وإرادتك، إن شئت أن ترضى عن عبدك وتعافيه، وإن شئت أن تغضب عليه وتعاقبه، فإعاذتي مما أكره وأحذر، ومنعه أن يحل بي هو بمشيئتك أيضا، فالمحبوب والمكروه كله بقضائك ومشيئتك، فعياذي بك منك، عياذي بحولك وقوتك وقدرتك ورحمتك وإحسانك مما يكون بحولك وقوتك وقدرتك وعدلك وحكمتك، فلا أستعيذ بغيرك من غيرك، ولا أستعيذ إلا بك من شيء هو صادر عن مشيئتك وخلقك، بل هو منك، ولا أستعيذ بغيرك من شيء هو صادر عن مشيئتك وقضائك، بل أنت الذي تعيذني بمشيئتك مما هو كائن بمشيئتك، فأعوذ بك منك".[132]

واعلم رحمك الله، أن هذين الاسمين (**الضار والنافع**) من الأسماء التي لا ينبغي الثناء على الله بها إلا مع ذكر الاسم الآخر والوصف الآخر، كاسم العطاء والمنع، والقبض والبسط.

يقول أبو إسحاق الزجاج رحمه الله: "الضار النافع: هذا كما كنا قدمنا من الاسمين اللذين ضممنا بينهما وذكرنا أن الجمع بينهما أدل على القدرة وتمام الحكمة، وكذلك كل اسمين يؤديان بمجموعهما عن معنى واحد. والله تعالى ذكره، يضر وينفع، ويعطي ويمنع، ودلالة مجموعهما أن الخير والشر بيده، وأنه مسبب كل خير، ودافع كل شر، وأن الخلق تحت لطفه يرجون كرمه".[133]

ويقول ابن القيم رحمه الله: " إن أسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفردا ومقترنا بغيره، وهو غالب الأسماء: فالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم وهذا يسوغ أن يدعى به مفردا ومقترنا بغيره فتقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم. وأن يفرد كل اسم.

---

(132) مدارج السالكين (1/ 267).

(133) تفسير أسماء الله الحسنى (ص: 63).

وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوغ، لك الإفراد والجمع. ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده بل مقرونا بمقابله: كالمانع، والضار، والمنتقم، فلا يجوز أن يفرد هذا عن مقابله فإنه مقرون بالمعطي والنافع والعفو. فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذل. لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله، لأنه يراد به أنه المنفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم، عطاء ومنعا ونفعا وضرا وعفوا وانتقاما.

وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ، فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت، جارية مجرى الاسم الواحد. ولذلك لم تجيء مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة، فاعلمه. فلو قلتَ: "يا مذل، يا ضار، يا مانع". وأخبرت بذلك، لم تكن مثنيا عليه، ولا حامدا له، حتى تذكر مقابلها". ا.هـ[134]

## وحدّها ابن القيم بما اجتمع من صالح الأعمال معْ علم نفع

**(وحدّها)** الضمير يعود على التقوى، أي: وعرّفها العلامة أبو عبد الله **(ابن القيم)** تلميذ ابن تيمية **(بما)** الذي **(اجتمع من صالح الأعمال)** القولية والفعلية، فيدخل فيها قول اللسان والقلب، وفعل الجوارح وعمل القلب **(مع علم نفع)** لأن العلم علمان: نافع وضار. فلابد لحصول التقوى من علم نافع وعمل صالح، وهو ما عبر عنه ابن القيم بقوله: "وأما التقوى: فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، أمرًا ونهيًا، فيفعل ما أمر الله به إيمانا بالأمر وتصديقا بوعده، ويترك ما نهى الله عنه إيمانًا بالنهي وخوفًا من وعيده، كما قال طلق بن حبيب: "إذا وقعت الفتنة فاطفئوها بالتقوى" قالوا:

---

(134) بدائع الفوائد (1/ 167).

وما التقوى؟ قال: " أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجوا ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله"[135] وهذا أحسن ما قيل في حد التقوى.

فان كل عمل لابد له من مبدإ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك، بل لابد أن يكون مبدأه محض الإيمان، وغايته ثواب الله، وابتغاء مرضاته، وهو الاحتساب".انتهى.[136]

وللتقوى تعريفات كثيرة، منها:

قول أبي عثمان: التقوى هي الوقوف مع الحدود لا يقصر فيها ولا يتعداها، وقال: مَن آثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء، ابتلاه الله بموت القلب[137].

---

(135) عن بكر بن عبد الله قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق: اتقوها بالتقوى ، قال بكر: أجمل لنا التقوى، قال: "التقوى، عمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء رحمة الله، والتقوى ترك معصية الله على نور من الله، خيفة عقاب الله". الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (1/ 473).

(136) الرسالة التبوكية (ص: 13).

(137) الرسالة القشيرية (1/ 144).

## أَقسَامُ العِلْمِ؛ مِن حيثُ ارتِبَاطُه بِالنَّفعِ وَالضّر

العلمُ قسمٌ مِنْهُ نافعٌ يَسُرْ وَمنهُ زائلٌ، وَمنهُ ما يَضُرْ
فالعلمُ نافعٌ إذا بهِ حصلْ للهِ قُرْبَةٌ بِنَاتِجِ العملْ
كالعلمِ بالصِّفاتِ وَالأسماءِ وَعلمِنا بالخَلْقِ وَالآلاءِ
أو علمِ فقهِ مَنْ عليهِ قدْ حصلْ يعرفْ بهِ الدِّينَ وَللهِ وَصَلْ
وَعلمُ شَهوةٍ مِنَ العلمِ الـمُضِرْ مِنْ أجلها على المعاصي قدْ نُصِرْ
وَعلمُ شُبْهَةٍ غدا أقوالَ حقْ وَالقصدُ معنىً باطلٌ مِمَّنْ نَطَقْ
أمَّا الَّذي يزولُ معْ موتِ البَشَرْ فَثَمَّ لا نفعٌ لهُ وَلا ضررْ
إنْ لمْ يكنْ لِفِعْلِ مُنْكَرٍ سببْ أو تركِ طاعةٍ مباحٌ يُحْتَسَبْ

**العلم قسم منه نافع يسر ومنه زائل، ومنه ما يضر**

**(العلم)** ضد الجهل، ولغة: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع[138]، وهو أقسام **(قسم منه)** علم **(نافع)** وسيأتي بيانه، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أسألك علما نافعا، وأعوذ بك من علم لا ينفع"[139]. **(يسر)** يُفرح صاحبه عند لقائه ربه. **(ومنه)** علم **(زائل)** غير ثابت، **(ومنه ما)** الذي **(يضر)** صاحبه ولا ينفعه.

ثم أخذ الناظم في بيان قل قسم من هذه العلوم الثلاثة، فقال:

**فالعلم نافع إذا به حصل لله قربة بناتج العمل**

**(فالعلم نافع)** في حالة ما **(إذا به حصل)** أي حصل به، فيه تقديم وتأخير. **(لله قربة)** أي العلم النافع هو ما يحصل به العبد على ما يقربه إلى ربه تعالى **(بناتج)** أي بما يترتب عنه من **(العمل)** لا مجرد العلم. وقد مر بنا الحديث عن اقتضاء العلم العمل. وهذا لا يكون إلا بعلوم خاصة، منها:

**كالعلم بالصفات والأسماء وعلمنا بالخلق والآلاء**

---

(138) التعريفات (ص: 155).

(139) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (1/ 200).

**(كالعلم بالصفات)** اللائقة بالله جل وعلا، **(والأسماء)** أي أسمائه سبحانه. فإن العلم بأسماء الله تعالى وصفاته من أجل العلوم النافعة، وهل ضلت فرق الأهواء إلا بجهلها لهذا العلم، وتحريفها لأسمائه سبحانه وصفاته؟؟

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: " فالعلم بأسمائه، وإحصاؤها، أصل لسائر العلوم. فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم، إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصاء كل معلوم؛ لأن المعلومات هي من مقتضاها ومرتبطة بها". (140)

وقال أيضا: "وأفضل العلم والعمل والحال: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعمل بمرضاته وانجذاب القلب إليه بالحب والخوف والرجاء. فهذا أشرف ما في الدنيا، وجزاؤه أشرف ما في الاخرة، وأجل المقاصد معرفة الله ومحبته والأنس بقربه والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره. وهذا أجل سعادة الدنيا والآخرة، وهذا هو الغاية التى تطلب لذاتها". (141)

واعلم - رحمك الله - أن الخوض في الأسماء والصفات من البدع المنهي عنها، فقد سئل ابن خزيمة رحمه الله عن الكلام في الأسماء والصفات فقال: "بدعة ابتدعوها، ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمة الدين - مثل مالك وسفيان والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق ويحيى بن يحيى وابن المبارك ومحمد بن يحيى وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأبي يوسف - يتكلمون في ذلك، وينهون عن الخوض فيه، ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة، فإياك والخوض فيه والنظر في كتبهم بحال". (142)

---

(140) بدائع الفوائد (1/ 163) فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى (ص: 28).

(141) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: 114).

(142) الاستقامة (1/ 108).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن مذهب السلف في الأسماء والصفات: " فالذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل. فإنه قد علم بالشرع مع العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله كما قال الله تعالى: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى: 11.]، وقال تعالى: (**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم: 65.]قال تعالى: (**فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْداداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة، الآية: 22.]".[143]

**وعلمنا بالخلق والآلاء** ........................

(**و**) كذلك (**علمنا بالخلق**) أي المخلوقات، لأن العلم بها يدلك على العلم بعظمة خالقها. وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " إنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك واعتبرتها بفكرك، وجدته كالبيت المبني المعد، فيه جميع ما يحتاج إليه ساكنه من آلة وعتاد. فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدوة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر، وضروب النبات مهيئة للمطاعم والملابس والمشارب، وصنوف الحيوان مسخرة للمراكب، مستعملة في المرافق، والإنسان كالمُمَلّك للبيت المخول ما فيه. وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق، بتدبير وتقدير ونظام، وأن له صانعًا حكيمًا، تام القدرة بالغ الحكمة، وقد نبه كتاب الله عز وجل على هذا النوع من الاستدلال، فقال تعالى: ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: 21] إشارة إلى أثارة الصنعة الموجودة في الإنسان، من يدين يبطش بهما، ورجلين يمشي بهما، وعين مبصرة، وأذن يسمع، ولسان يتكلم به، وأضراس تحدث له عند غناه عن الرضاع وحاجته إلى

---

(143) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: 41).

الغذاء، ومعدة بيان أعدت لطبخ الغذاء، وكبد يسلك إليها صفوه، وعروق ومعابر ينفذ منها إلى الأطراف، وأمعاء يرسب إليها ثقل الغذاء، ويبرز عن أسفل البدن". انتهى.[144]

والآيات في هذا الباب كثيرة.

(و) علمنا بـ(**الآلاء**) وهي النعم جمع: إلي بكسر الهمزة وسكون اللام، وألي بفتح الهمزة وسكون اللام وياء في آخره. ويقال ألو بواو عوض الياء وهو النعمة.[145] كما في قوله تعالى: ﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ [الرحمن: 13]، فقد روى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: «**لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد**».[146]

فالتدبر في آلاء الله تعالى من أنفع العلوم.

**أو علم فقه مَن عليه قد حصل**      **يعرف به الدين ولله وصل**

(**أو علم فقه**) فهو من العلوم النافعة، إذ به تعرف الأحكام الشرعية عن طريق الاجتهاد. قال الشيخ ماء العينين رحمه الله في تعريف الفقه:

---

(144) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (1/ 506- 507).

(145) التحرير والتنوير (27/ 243).

(146) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (1/ 272)، و في الصحيحة (5/ 183).

**والفقه معرفة الأحكام إذا شرعا طريقها اجتهاد أخذا.** [147]

وكذلك علم أصول الفقه، فقد قال قال العلامة ابن خلدون رحمه الله: "اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا وأكثرها فائدة، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام أوالتكاليف". ا.هـ. [148]

لذا قال الناظم: (**أو علم فقه من عليه قد حصل**) أي حصل عليه ودرسه وتمكن فيه (**يعرف به**) بالفقه وأصول (**الدين**) الإسلامي الذي ارتضاه لنا ربنا (**ولله**) لمعرفته بالله ومرضاته (**وصل**) أي يصل إليه بقلبه فيزداد عملا وطاعة وخشية وتقى. وليس الوصل - هنا - كما زعم أهل الزندقة، حيث شبهوا الوصول إلى الله تعالى كالوصول إلى بيت من البيوت فانقطعوا عن العبادة، وقالوا: قد وصلنا، فلا حاجة لنا في الطاعة !

وقد رد العلامة ابن القيم رحمه الله عليهم هذه المزاعم فقال: "إن الوصول إلى البيت هو غاية الطريق، فإذا وصل فقد انقطعت طريقه، وانتهى سفره، وليس كذلك الوصول إلى الله، فإن العبد إذا وصل إلى الله جذبه سيره، وقوي سفره، فعلامة الوصول إلى الله: الجد في السير، والاجتهاد في السفر، وهذا الموضع هو مفرق الطريقين بين الموحدين والملحدين، فالملحد يقول: السفر وسيلة، والاشتغال بالوسيلة بعد الوصول إلى الغاية بطالة، ومتى وصل العبد سقطت عنه أحكام السفر، وصار كما قيل:

**فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر**

ودعي بعض هؤلاء إلى الصلاة، وقد أقيمت، فقال:

**يطالب بالأوراد من كان غافلا فكيف بقلب كل أوقاته ورد**

---

(147) الأقدس على الأنفس: 43.

(148) تاريخ ابن خلدون (1/ 573)

وقيل لملحد آخر منهم: ألا تصلي؟ فقال: "أنتم مع أورادكم، ونحن مع وارداتنا" ! وهؤلاء هم الذين صاح بهم أئمة الطريق، وأخرجوهم من دائرة الإسلام، وقال بعضهم: نعم وصلوا، ولكن إلى الشيطان لا إلى الرحمن، وقال آخر: وصلوا ولكن إلى سقر(149).

فكل واصل إلى الله: فهو طالب له، وسالك في طريق مرضاته".(150).

## علم الشهوة

**وعلـــم شـــهوة مـــن العلـــم المضرـــ مـــن أجلهـــا عـــلى المعـــاصي قـــد نُصرـــ**

(**وعلم شهوة**) أي تعلم ما يحرك النفس طلبا لما يلائمها (**من**) أقسام (**العلم المضر**) فلا ينتفع به صاحبه، وإنما يضره، عاجلا أو آجلا. (**من أجلها**) أي من أجل الشهوة (**على**) اقتراف (**المعاصي**) وهي كل ما نهى عنه الشارع من قول أو عمل أو اعتقاد. وتنقسم إلى كبائر وصغائر.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "المعاصي ثلاثة أنواع: نوع فيه الحد ولا كفارة فيه، ونوع فيه الكفارة ولا حد فيه، ونوع لا حد فيه ولا كفارة؛ فالأول - كالسرقة والشرب والزنا والقذف، والثاني: - كالوطء في نهار رمضان والوطء في الإحرام، والثالث - كوطء الأمة المشتركة بينه وبين غيره وقبلة الأجنبية والخلوة بها ودخول الحمام بغير مئزر وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، ونحو ذلك؛ فأما النوع الأول: فالحد فيه مغن عن التعزير، وأما النوع الثاني: فهل يجب مع الكفارة فيه

---

(149) القائل هو أبو علي الروذباري رحمه الله. (انظر الرسالة القشيرية (1/ 119).

(150) مدارج السالكين (3/ 297).

تعزير أم لا؟ على قولين: وهما في مذهب أحمد، وأما النوع الثالث: ففيه التعزير قولا واحدا، ولكن هل هو كالحد؛ فلا يجوز للإمام تركه، أو هو راجع إلى اجتهاد الإمام في إقامته، وتركه كما يرجع إلى اجتهاده في قدره؟ على قولين للعلماء، الثاني قول الشافعي، والأول قول الجمهور". [151]

وقال أيضا: "المعاصي تفسد العقل، فإن للعقل نورا، والمعصية تطفئ نور العقل ولابد، وإذا طفئ نوره ضعف ونقص.

وقال بعض السلف: "ما عصى الله أحدٌ حتى يغيب عقله". وهذا ظاهر، فإنه لو حضر عقله لحجزه عن المعصية وهو في قبضة الرب تعالى، أو تحت قهره، وهو مطلع عليه، وفي داره على بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون إليه، وواعظ القرآن ينهاه، وواعظ الموت ينهاه، وواعظ النار ينهاه، والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها، فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله، والاستخفاف به ذو عقل سليم؟!". ا.هـ [152]

وقوله: (**قد نصر**) مبني بناء ما لم يسم فاعله ، أي قد أعين وأعطي. لأنه تسبب في المعاصي بتعلم ما يفضي إليها من الشهوات.

## علم الشبهة

| | |
|---|---|
| **وعلم شبهة غدا أقوال حق** | **والقصد معنى باطل ممن نطق** |

(151) إعلام الموقعين عن رب العالمين (2/ 130).

(152) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: 59).

(**و**) قسم آخر من العلوم الضارة، وهو (**علم شبهة**) الشبهة: هو ما لم يتيقن كونه حرامًا أو حلالًا.[153] كما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير، قال: سمعته يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: - وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه - «**إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس..**».[154]

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ [**آل عمران: 7**] إلى قوله: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**».[155]

(**غدا**) في اللغة: ذهب غدوة، وذهب وانطلق. يقال: اغد عني وعليه غدوا. ويأتي بمعنى: صار[156]. وهو المقصود هنا، أن علم الشبهة صار (**أقوال**) قالها أصحابها، ظاهرها (**حق**) للأدلة العقلية والمنطقية (**و**) لكن (**القصد**) الذي قصده صاحب الشبهة له (**معنى باطل ممن نطق**) به واحتج به.

واعلم ـ وفقني الله وإياك لاتقاء الشبه ـ أن أخطر ما يرد على القلب: مرض الشبهة، ومرض الشهوة. أما مرض الشبهة فعلاجه بالعلم النافع، وأما مرض الشهوة فعلاجه بالصبر.

---

(153) التعريفات (ص: 124).

(154) متفق عليه واللفظ هنا لمسلم. وقد تقدم.

(155) متفق عليه واللفظ للبخاري.

(156) انظر المعجم الوسيط (2/ 646).

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "والفتن التى تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد"[157].

وقد تقدم أن علاج هذين المرضين: الشبهات والشهوات، إنما يكون بالقرآن الذي فيه العلوم النافعة، وبالصبر.

## العلم الزائل

**أمـا الـذي يـزول مـع مـوت البشرـ فـثم لا نفـع لـه ولا ضرر**

(**أما**) العلم (**الذي يزول**) فيضمحل ويبيد ولا يترك أثرا (**مع**) عند (**موت البشر**) (**فـ**) إن ثوابه (**ثم**) بفتح الثاء، ظرف بمعنى: هنالك يوم الحساب (**لا نفع**) أجر (**له**) لصاحبه (و) كذلك (**لا ضرر**) وزر. لكن هذا بشرط:

**إن لم يكن لفعل منكر سبب أو ترك طاعة مباح يحتسب**

(**إن لم يكن لفعل منكر سبب**) أي إن لم يكن هذا العلم قد تسبب لصاحبه في فعل منكر، أو دعا إليه (**أو ترك طاعة**) مفروضة فحينئذ (**مباح يحتسب**) أي يكون حكمه مباحا.

---

(157) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 12).

وهكذا علمنا أن العلوم ثلاثة لا رابع لها:

**علم نافع**: وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وآلائه، وعلم الفقه وأصوله، وكل علم يوصل إلى طاعة الله تعالى.

**علم ضار**: وهو العلم بالشبهات والشهوات، لأنهما يفضيان إلى معصية الله تعالى.

**علم زائل**: وهو ما لا ينفع ولا يضر، إلا إن تسبب في معصية فيكون ضارًّا، أو لا يُخل بطاعة، ولا يَدفع إلى معصية فيكون حينئذ مباحا. وسيأتي تعريف المباح قريبا.

# أَجزَاءُ العَمَلِ الصَّالِحِ

**وَاحفظْ أخي أجزاءَ صالحِ العملْ ثلاثةٌ صلاحُهُ بها حصلْ**
**فاحرصْ على أسبابهِ الشَّرعيَّةِ معْ عملِ القلبِ معَ الكونيَّةِ**
**وَعندَ نقصِها: زِدِ الشَّرعيَّةَ وَزدْ كذا أعمالَكَ القلبيَّةَ**

**واحفظ أخي أجزاء صالح العمل ثلاثة صلاحه بها حصل**

(**واحفظ**) اضبط يا (**أخي**) المؤمن (**أجزاء**) جمع جزء، وهو ما يتركب الشيء منه ومن غيره[158] (**صالح العمل**) فإنها (**ثلاثة**) أي ثلاثة أجزاء (**صلاحه**) الضمير يعود على العمل (**بها**) أي بتلك الأجزاء (**حصل**) ثبت. أي: يثبت. لأن الفعل الماضي قد يأتي لفظا، والمراد به المستقبل.

ثم أرشد حفظه الله إلى كيفية حفظ الأعمال فقال:

**فاحرص على أسبابه الشرعية ..........................**

(**فاحرص**) الحرص: طلب شيء باجتهاد في إصابته[159]. أي فاجتهد، والفاء: الفصيحة (**على**) فعل (**أسبابه الشرعية**) الشرع: في اللغة: عبارة عن البيان، والإظهار، يقال: شرع الله كذا، أي

(158) التعريفات (ص: 75).

(159) التعريفات (ص: 86).

جعله طريقًا ومذهبًا، ومنه المشرعة[160]. والمراد به هنا: الشرائع التي شرعها الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

## ................................... مع عمل القلب مع الكونية

قوله: (**مع عمل القلب**) أدغمت هنا عين (**مع**) مع عين (**عمل**) ويسمى هذا الإدغام: إدغام المتماثلين: وهو أن يكون الحرفان المتتاليان متحدين في المخرج من الفم، ومتحدين أيضا في الصفة، سواء أوقعا في كلمة واحدة أم في كلمتين متتاليتين، مثال ذلك: ﴿**يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ**﴾ [النساء: 78] ﴿**وَقَدْ دَخَلُوا**﴾ [المائدة: 61 ] ﴿**فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ**﴾ [البقرة: 16].

والمراد بعمل القلب: إخلاص النية لله تعالى، فإن العمل لا يقبل إلا بشرطين: أن يكون وفق شريعة الله، وابتغاء مرضاته. فهذا بالنسبة لقبول العمل. وأيضا يطالب العبد في توكله على الله باتخاذ الأسباب الكونية، لذا قال: (**مع الكونية**) أي مع الأخذ بالأسباب الكونية.

وبمناسبة إخلاص العمل والمتابعة، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: " قال بعض السلف: ما من فعلة وإن صغرت إلا ينشر لها ديوانان: لم؟ وكيف؟ أي لم فعلت؟ وكيف فعلت؟

**فالأول**: سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه؛ هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل، وغرض من أغراض الدنيا فى محبة المدح من الناس أو خوف ذمهم، أو استجلاب محبوب عاجل، أو دفع مكروه عاجل؟ أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية، وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه وتعالى، وابتغاء الوسيلة إليه؟.

---

(160) التعريفات (ص: 126).

ومحل هذا السؤال: أنه، هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاك، أم فعلته لحظك وهواك؟.

**والثانى**: سؤال عن متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام فى ذلك التعبد، أي هل كان ذلك العمل مما شرعته لك على لسان رسولى، أم كان عملا لم أشرعه ولم أرضه؟.

**فالأول:** سؤال عن الإخلاص، و**الثاني:** عن المتابعة، فإن الله سبحانه لا يقبل عملا إلا بهما". [161].

فأجزاء العمل الصالح الثلاثة هي:

**أولا:** الأحكام الشرعية، بحيث يكون العمل موافقا للشرع، وإلا فهو بدعة، مردود على صاحبه. قال البخاري: باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم، فأخطأ خلاف الرسول من غير علم، فحكمه مردود، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:«**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**». [162]

**ثانيا:** إخلاص العمل لله تعالى، لقوله صلى الله عليه وسلم: «**قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**». [163]

**ثالثا:** الأخذ بالأسباب الكونية، وهذا من تمام التوكل على الله. قال العلامة ابن القيم عن اتخاذ الأسباب الكونية: " من نفاها فتوكله مدخول". (ا.هـ). [164] وسيأتي الكلام عن التوكل والتواكل.

---

(161) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 8).

(162) صحيح البخاري (9/ 107) صحيح مسلم (3/ 1343).

(163) صحيح مسلم (4/ 2289).

(164) مدارج السالكين (2/ 119).

**وعند نقصها زد الشرعية وزد كذا أعمالك القلبية**

(**وعند نقصها**) أي نقص الأسباب الكونية، فحينها (**زد**) من الأعمال الشرعية المرضية لله تعالى، من نوافل الطاعات، كقيام الليل، وصلاة الضحى، والذكر، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والصدقات. (**وزد كذا**) أيضا (**أعمالك القلبية**) كالتضرع لله، والإنابة، والخوف، والرجاء، والحب، والتعظيم، والشوق، والإخبات، وقصر الأمل، والتجافي عن الدنيا. فهذه الأمور تقوي العبد على النشاط للعمل الصالح. والله الموفق لكل خير.

## الرَّبطُ بينَ تعريفَي الشَّيخَينِ للتَّقوَى

كي نحتمي باللهِ منهُ نحتمي بصالحِ الأعمالِ خوفَ المُؤْثِمِ
وَنحتمي بنافعِ العلومِ مِنْ علمٍ يَضُرُّ ذا التُّقى، فَكُنْ فَطِنْ

قد مر بنا تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله للتقوى، حيث عرفها ابن تيمية بأنها هي: الاحتماء عما يضره بفعل ما ينفعه. وعرفها ابن القيم بأنها: العمل بطاعة الله إيمانًا واحتسابًا، أمرًا ونهيًا.

وهنا أراد الناظم أن يربط ويجمع بين التعريفين السابقين للتقوى فقال:

### كي نحتمي بالله منه نحتمي بصالح الأعمال خوف المؤثم

(**كي نحتمي بالله**) ونتقيه علينا (**منه**) أن (**نحتمي**) أي علينا أن نحتمي به سبحانه منه، وذلك (**بصالح الأعمال**) التي مرّ ذكر أجزائها (**خوف**) مخافة (**المؤثم**) الوقوع فيما يأثم به العبد. والاحتماء به منه سبحانه، يبينه دعاء أعرف الخلق بالله تعالى، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث

قال: «**وأعوذ بك منك**»[165]. فسبحانه يعيذ بنفسه من نفسه. وكذلك نستعيذ برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته،لا نحصي ثناء عليه.

**ونحتمي بنافع العلوم من        علم يضر ذا التُّقى فكن فطن**

(**و**) التقوى كذلك هي أن (**نحتمي**) نتقي سخط الله وعقابه (**بنافع العلوم**) باتخاذ نافع العلوم، كالعلم بالله وأسمائه وصفاته، والفقه، والتفسير، والحديث (**من علم يضر ذا**) أي علم يضر هذا (**التقى**) لأن التقوى لها علاقة بالعلوم النافعة والضارة. وذلك أن العلوم النافعة تزيد صاحبها تقى وصلاحا، وأما العلوم الضارة فتؤثر في صاحبها، فيضعف إيمانه، وتستولي عليه شهواته، وشبهاته. لذا حذر الناظم من هذا قائلا: (**فكن**) أيها العبد التقي (**فطن**) الفطن: الذكي، واللبيب، ذو رجاحة عقل، وفهم. والأصل "فطنا" لأنه خبر (فكن)، فحذف الألف للضرورة الشعرية.

---

(165) عن عائشة، قالت: فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». صحيح مسلم (1/ 352).

## لِمَاذَا خَلَقَنا اللهُ؟

**خلافةُ الأرضِ الأمانةُ الَّتي مِنْ أجلها قدْ تمَّ خَلْقُ أمَّتي**
**لِفَرْضِ توحيدٍ معَ التَّحاكُمِ فقطْ لِشَرْعِ ربِّنا في العالَمِ**

لماذا خلقنا الله؟

هذا سؤال لابد للعبد أن يعرف جوابه، فإن الله تعالى لم يخلقنا عبثا، ولم يتركنا سدى ولا هملا، إنما خلقنا لتوحيده، وإخلاص العبادة له، كما هو جلي في قوله جل وعز: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56]

قال الشيخ حافظ حكمي رحمه الله:

**اعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدًى وَهَمَلَا**
**بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ وَبِالْإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ.**[166]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56].

وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿ **اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: 59]. وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم.

(166) معارج القبول بشرح سلم الوصول (1/ 28).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: 36]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]. كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 51 -52].

وجعل ذلك لازما لرسوله إلى الموت كما قال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: 19- 20]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: 206].

وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى: ﴿**عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا**﴾ [الإنسان:6]. وقال: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ [الفرقان: 63-77] الآيات".(167)

والأدلة في هذا كثيرة، واللبيب تكفيه الإشارة.

وأما صاحب النظم ـ حفظه الله ـ فجمع علة خلقنا في إقام الخلافة، لأن بها تصلح العبادة، وينتظم شأن الناس، فقال:

**خلافة الأرض الأمانة التي          من أجلها قد تم خلق أمتي**

(**خلافة الأرض**) أي خلقنا الله تعالى للخلافة في الأرض، حيث يخلف بعضنا بعضا في إقامة شرعه عز وجل، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: 30].

قال العلامة الأمين الشنقيطي صاحب الأضواء رحمه الله: "ومعلوم أن آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ليس ممن يفسد فيها ولا ممن يسفك الدماء، وكقوله: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ**﴾ الآية [فاطر: 39]، وقوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ**﴾ الآية [الأنعام: 165]، وقوله: ﴿**وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ**﴾ الآية [النمل: 62]. ونحو ذلك من الآيات.

---

(167) انظر كتاب العبودية لابن تيمية (ص: 44ـ45).

ويمكن الجواب عن هذا بأن المراد بالخليفة آدم، وأن الله أعلم الملائكة أنه يكون من ذريته من يفعل ذلك الفساد، وسفك الدماء. فقالوا ما قالوا، وأن المراد بخلافة آدم: الخلافة الشرعية. وبخلافة ذريته: أعم من ذلك، وهو أنهم يذهب منهم قرن ويخلفه قرن آخر.

## مسألة الخلافة

قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة، يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة، ولا بين الأئمة إلا ما روي عن الأصم؛ حيث كان عن الشريعة أصم. إلى أن قال: ودليلنا قول الله تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة: 30].

وقوله تعالى: ﴿ **يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ**﴾ [ص: 26]. وقال: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾ [النور: 55] أي: يجعل منهم خلفاء إلى غير ذلك من الآي.

وأجمعت الصحابة على تقديم الصِّديق بعد اختلاف وقع بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة في التعيين حتى قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فدفعهم أبو بكر وعمر والمهاجرون عن ذلك، وقالوا لهم: إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش، ورووا لهم الخبر في ذلك فرجعوا وأطاعوا لقريش. فلو كان فرض الإمامة غير واجب لا في قريش ولا في غيرهم، لما ساغت هذه المناظرة والمحاورة عليها.

ولقال قائل: إنها غير واجبة لا في قريش ولا في غيرهم. فما لتنازعكم وجه ولا فائدة في أمر ليس بواجب، ثم إن الصديق - رضي الله عنه - لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر في الإمامة، ولم يقل له

أحد: هذا أمر غير واجب علينا ولا عليك. فدل على وجوبها، وأنها ركن من أركان الدين الذي به قوام المسلمين والحمد لله رب العالمين. انتهى من تفسير القرطبي.(168)

قال مقيده ـ القائل الشنقيطي ـ عفا الله عنه: من الواضح المعلوم من ضرورة الدين أن المسلمين يجب عليهم نصب إمام تجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الله في أرضه، ولم يخالف في هذا إلا من لا يعتد به كأبي بكر الأصم المعتزلي، الذي تقدم في كلام القرطبي، وكضرار وهشام الفوطي ونحوهم.

وأكثر العلماء على أن وجوب الإمامة الكبرى بطريق الشرع كما دلت عليه الآية المتقدمة وأشباهها وإجماع الصحابة – رضي الله عنهم – ولأن الله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ [الحديد: 25]، لأن قوله: ﴿**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾ فيه إشارة إلى إعمال السيف عند الإباء بعد إقامة الحجة". انتهى من الأضواء.(169)

قلت: وهكذا قال الإمام ابن حزم رحمه الله: " اتفق جميع أهل السنة، وجميع المرجئة(170)، وجميع الشيعة(171)، وجميع الخوارج(172)، على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام

---

(168) تفسير القرطبي (1/ 264).

(169) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (1/ 21).

(170) المرجئة ثلاثة أصناف: صنف منهم قالوا بالارجاء فى الايمان وما يقدر على مذاهب القدرية المعتزلة، وهؤلاء داخلون فى مضمون الخبر الوارد فى لعن القدرية والمرجئة يستحقون اللعنة من وجهين، وصنف منهم: قالوا بالارجاء بالايمان وبالخبر فى الأعمال على مذهب جهم ابن صفوان، والصنف الثالث منهم: خارجون عن الخبر والقدرية. (الفرق بين الفرق (ص: 190).

(171) سيأتي تعريفهم في الشرح قريبا ـ إن شاء الله.

عادل يقيم فيهم أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاشا النجدات من الخوارج، فإنهم قالوا: "لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يشاطوا الحق بينهم". وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد، وهم المنسوبون إلى نجدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة.

(قال أبو محمد): وقول هذه الفرقة ساقط يكفي من الرد عليه وإبطاله إجماع كل من ذكرنا على بطلانه. والقرآن والسنة قد ورد بإيجاب الإمام. من ذلك قول الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: 59]. مع أحاديث كثيرة صحاح في طاعة الأئمة، وإيجاب الإمامة.

وأيضا فإن الله عز وجل يقول: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: 286]. فوجب اليقين بأن الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس في بنيتهم واحتمالهم. وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته، أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم - في الأموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الأحكام كلها، ومنع الظالم وإنصاف المظلوم، وأخذ القصاص على تباعد أقطارهم وشواغلهم، واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى في كل ذلك - ممتنع غير ممكن. إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان، ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم. إما لأنها ترى في اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء، وإما خلافا مجردا عليهم. وهذا الذي لابد منه ضرورة وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها، فإنه لا يقام هناك حكم حق، ولا حدّ، حتى قد ذهب الدين في أكثرها.

فلا تصح إقامة الدين إلا بالإسناد إلى واحد أو إلى أكثر من واحد. فإذ لابد من أحد هذين الوجهين، فإن الاثنين فصاعدا بينهما ما ذكرنا، فلا يتم أمر البتة. فلم يبق وجه تتم به الأمور إلا

---

(172) التمسك بالسنن والتحذير من البدع (ص: 101).

لإسناد إلى واحد، فاضل، عالم، حسن السياسة، قوي على الإنفاذ. إلا أنه وإن كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم والإهمال معه أقل منه مع الاثنين فصاعدا".[173]

قلت: تمعّن وتدبر - أيها المؤمن - كلام هذا العالم، وتفصيله في مسألة الإمامة، ثم انظر إلى النابتة العاجزة التي نبتت في هذا الزمان، والتي تلبس عليها الأمر، فرمت إمارة المؤمنين، وخليفة المسلمين أبي بكر البغدادي - حفظه الله - بشتى الأوصاف، وافترت على جند الدولة الإسلامية افتراءات، هم منها بَراء، كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام. حيث قذفوهم بكونهم: جهالا، خوارج، كلاب أهل النار، مرتزقة !!

ومما يؤسف له، أن مَن كنا نحسبهم دعاة الجهاد والصدع بالحق، حيث ابتلوا بالسجن، وكانوا على الجادة، والمنهج القويم، والصراط المستقيم، قد لوثوا ألسنتهم بالطعن في جنود الدولة الإسلامية، ورموهم بقذائف من الشتائم والزور والبهتان، فغدت ردوداتهم وطعوناتهم وفتاواهم المشؤومة مستند ومرجع طواغيت العرب، فضلا عن طواغيت الغرب، لاستئصال شأفة عودة الخلافة !

لكن، هيهات هيهات، إن شاء الله، وبإذن الله، باقية وستبقى بعون الله عز وجل كذلك، إلى أن ينزل الروم بالأعماق أو بدابق. وقد أوشكوا.. !

قوله: (**الأمانة التي**) أي الخلافة أمانة يجب الوفاء بها، وقد جاء في معنى الأمانة، أنها: "ما يؤتمن عليه ويطالب بحفظه والوفاء دون إضاعة ولا إجحاف، وقد اختلف فيها المفسرون على عشرين قولا، وبعضها متداخل في بعض، ولنبتدىء بالإلمام بها ثم نعطف إلى تمحيصها وبيانها.

فقيل: الأمانة الطاعة، وقيل: الصلاة، وقيل: مجموع الصلاة والصوم والاغتسال، وقيل: جميع الفرائض، وقيل: الانقياد إلى الدين، وقيل: حفظ الفرج، وقيل: الأمانة التوحيد، أو دلائل

(173) الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 72).

الوحدانية، أو تجليات الله بأسمائه، وقيل: ما يؤتمن عليه، ومنه الوفاء بالعهد، ومنه انتفاء الغش في العمل، وقيل: الأمانة العقل، وقيل: الخلافة، أي خلافة الله في الأرض التي أودعها الإنسان كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة: 30] الآية.

وهذه الأقوال ترجع إلى أصناف: صنف الطاعات والشرائع، وصنف العقائد، وصنف ضد الخيانة، وصنف العقل، وصنف خلافة الأرض.

ويجب أن يطرح منها صنف الشرائع لأنها ليست لازمة لفطرة الإنسان، فطالما خلت أمم عن التكليف بالشرائع ـ وهم أهل الفترـ فتسقط ستة أقوال، وهي ما في الصنف الأول.

ويبقى سائر الأصناف لأنها مرتكزة في طبع الإنسان وفطرته". [174]

**من أجلها قد تم خلق أمتي** ..............................

(**من أجلها**) من أجل أمانة الخلافة (**قد تم**) قضى (**خلق**) الخالق تعالى (**أمتي**) ياء النسبة، لأمة النبي صلى الله عليه وسلم. والمعنى: أن العلة من خلق الخلق هي إقامة خلافة على منهاج النبوة، ليدين الناس بدين الله جل وعلا، وهذه من أعلى مقامات العبودية، التي قال عنها سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56] ، إذ فيها إخضاع الناس لعبادة خالقهم دون غيره، كما قال ربعي بن عامر لما سأله ترجمان رستم: ما جاء بكم؟ قال ربعي: "الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا

(174) التحرير والتنوير (22/ 126ـ127).

بدينه إلى خلقه، فمن قبله قبلنا منه، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر".[175]

## لفرض توحيد مع التحاكم فقط لشرع ربنا في العالم

**(لفرض توحيد)** أي لأجل وجوب توحيد العباد لربهم، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56] ، قال ابن مقاتل: " يعنى إلا ليوحدون".[176]

وفي الصحيحين عن معاذ رضي الله عنه، قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير، فقال: "يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟"، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا"، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: "لا تبشرهم، فيتكلوا".[177]

ولا يتم هذا التوحيد إلا **(مع)** مصاحبا بـ **(التحاكم)** عند النزاع **(فقط لشرع ربنا في العالم)** لأن التحاكم لغير شرع الله مناف للتوحيد. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: " قوله: ﴿**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ**﴾ [النساء: 59] نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون، من مسائل الدين دقه

---

(175) تاريخ الطبري (3/ 520) الكامل في التاريخ (2/ 298).

(176) تفسير مقاتل بن سليمان (4/ 133).

(177) صحيح البخاري (4/ 29) صحيح مسلم (1/ 58).

وجله، جليه وخفيه، ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافيا لم يأمر بالرد إليه؛ إذ من الممتنع أن يأمر تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع.

ومنها: أن الناس أجمعوا أن الرد إلى الله سبحانه هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو الرد إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته.

ومنها: أنه جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان؛ ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه، ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين، وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر، ثم أخبرهم أن هذا الرد خير لهم، وأن عاقبته أحسن عاقبة، ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه.

والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته. وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة – وهم الصحابة ومن تبعهم – ولا قصدوا قصدهم، بل خالفوهم في الطريق والقصد معا.

ثم أخبر تعالى عن هؤلاء بأنهم إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أعرضوا عن ذلك، ولم يستجيبوا للداعي، ورضوا بحكم غيره، ثم توعدهم بأنهم إذا أصابتهم مصيبة في عقولهم وأديانهم وبصائرهم وأبدانهم وأموالهم بسبب إعراضهم عما جاء به الرسول وتحكيم غيره والتحاكم إليه كما قال تعالى: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ**﴾ [المائدة: 49] اعتذروا بأنهم إنما قصدوا الإحسان والتوفيق، أي بفعل ما يرضي الفريقين ويوفق بينهما كما يفعله من يروم التوفيق بين ما جاء به الرسول وبين ما خالفه، ويزعم أنه بذلك محسن قاصد الإصلاح والتوفيق،

والإيمان إنما يقتضي إلقاء الحرب بين ما جاء به الرسول وبين كل ما خالفه من طريقة وحقيقة وعقيدة وسياسة ورأي؛ فرخص الإيمان في هذا الحرب لا في التوفيق، وبالله التوفيق.

ثم أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما، وينقادوا انقيادا". (انتهى من إعلام الموقعين).[178]

ومجمل القصد في هذين البيتين، أن الله تعالى خلقنا لعبادته، وأن أساس هذه العبادة تتمثل في ثلاثة أمور:

**أولا:** وجوب نشر التوحيد الخالص، ودعوة الناس إليه.

**ثانيا:** إقامة خلافة على منهاج النبوة، ليقوم الخليفة بتوحيد أمة النبي صلى الله عليه وسلم ويقودها بشرع الله جل وعلا، القائم على الكتاب والسنة. وإلا ظل الدين يمارس على مستوى الأفراد لا على مستوى الأمة الإسلامية.

**ثالثا:** التحاكم إلى شرع الله، والكفر بكل قانون أو شريعة تخالفه. وهذا أيضا لا يتأتى إلا في ظل وجود خليفة للمسلمين.

والحمد لله، قد تمت هذه الأمور الثلاثة وتوفرت منذ أن أعلنت الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة، في شهر رمضان لعام 1435هـ.

وإياك أن تظن أن هذه الأمور الثلاثة: التوحيد، والخلافة، والتحاكم إلى شرع الله، هي كل العبادة التي خلقنا الله من أجلها، أو أن أمر الخلافة ليس من العبادة. فإن العبادة شاملة لكل هذا،

---

(178) إعلام الموقعين عن رب العالمين (1/ 39ـ 40).

وإنما ذكر الناظم أسها الذي هو التوحيد، وأضاف الخلافة والتحاكم إلى شرع الله لأنهما طرأ عليهما تصور فاسد عند كثير من طلبة العلم فضلا عن العوام.

وإلا فالعبادة ـ كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ هي: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله.

وذلك أن العبادة لله: هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]". [179]

(179) العبودية (ص: 44).

## بِماذَا مَيّزَنَا اللهُ لِتَحَمُّلِ هَذِهِ الأَمَانَة؟

وَمُيِّزَ الإنسانُ للأمانةِ ... بِقُوَّةِ الإدراكِ وَالإرادةِ
فَقُوَّةُ الإدراكِ في عقلِ البشرْ ... وَالسَّمعُ آلةٌ لها معَ البَصَرْ
نُمَيِّزُ الحقَّ بها وَالباطلا ... وَالنَّفعُ وَالضُّرُّ بها قدِ انْجَلَى
وَقوَّةُ الإرادةُ الَّتي بها ... أعمالُنا وَالقلبُ مركزٌ لها
وَآلةٌ لها جوارحُ الجسدْ ... لِكَسْبِ خيرٍ أو لِدَفْعِ ما فَسَدْ

لما كلف الله تعالى الإنسان بتحمل الأمانة، دل ذلك على أنه تميز عن سائر المخلوقات بميزة ـ أو مميزات ـ هي التي جعلته أهلا لها. فذكر الناظم ـ حفظه الله ـ تلك المميزات بقوله:

**ومُيز الإنسان للأمانة ... بقوة الإدراك والإرادة**

**(ومُيز)** مبني بناء ما لم يسم فاعله، والميز: التمييز بين الأشياء، تقول: مزت الشيء أميزه ميزا، وقد انماز بعضه من بعض، وميزته. وامتاز القوم: تنحى بعضهم عن بعض. قاله الخليل.[180] ومنه في التنزيل: ﴿**وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ**﴾ [يس: 59]. قال العلامة ابن عطية رحمه الله: "معناه: انفصلوا وانحازوا، لأن العالم في الموقف إنما هم مختلطون"[181]. **(الإنسان للأمانة)** تقدم

(180) العين (7/ 394).

(181) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 459).

معنى الأمانة، فجدد به عهدا (**بقوة الإدراك**) الإدراك: إحاطة الشيء بكماله. وهو أيضا: تمثيل حقيقة الشيء وحده من غير حكم عليه بنفي أو إثبات، ويسمى تصورا، ومع الحكم بأحدهما يسمى تصديقا.[182]. (**والإرادة**) وهي: صفة توجب للحي حالًا يقع منه الفعل على وجهٍ دون وجه، وفي الحقيقة: هي ما لا يتعلق دائمًا إلا بالمعدوم، فإنها صفة تخصص أمرًا لحصوله ووجوده. (قاله الجرجاني)[183]. فإذا حصل جزمٌ في الإرادة بلا تردد سمي: عزما.

والمعنى: أن الله تعالى ميز الإنسان عن سائر المخلوقات بنعمة الإدراك، وابتلاه بقوة الإرادة ليتحمل الأمانة العظمى. كما قال جل وعلا: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾ [الأحزاب: 72]. قال القاضي أبو بكر رحمه الله في تعريف الأمانة هنا: " وفيها اختلاف كثير من القول، لبابه في عشرة أقوال:

**الأول:** أنها الأمر والنهي؛ قاله أبو العالية.

**الثاني:** أنها الفرائض؛ روي عن ابن عباس وغيره.

**الثالث:** أنها أمانة الفرج عند المرأة؛ قاله أبي.

**الرابع:** أن الله وضع الرحم عند آدم أمانة.

**الخامس:** أنها الخلافة.

**السادس:** أنها الجنابة والصلاة والصوم؛ قاله زيد بن أسلم.

---

(182) التعريفات (ص: 14).

(183) التعريفات (ص: 16).

**السابع:** أنها أمانة آدم قابيل على أهله وولده، فقتل قابيل هابيل.

**الثامن:** أنها ودائع الناس.

**التاسع:** أنها الطاعة.

**العاشر:** أنها التوحيد.

فهذه الأقوال كلها متقاربة، ترجع إلى قسمين:

**أحدهما:** التوحيد، فإنه أمانة عند العبد، وخفي في القلب، لا يعلمه إلا الله؛ ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس**»[184].

**ثانيهما:** قسم العمل: وهو في جميع أنواع الشريعة، وكلها أمانة تختص بتأكيد الاسم فيها. والمعنى ما كان خفيا لا يطلع عليه الناس، فأخفاه أحقه بالحفظ، وأخفاه ألزمه بالرعاية وأولاه".

(ا.هـ)[185]

وتمييز الإنسان على سائر المخلوقات، وتفضيله عليهم، يظهر جليا من قوله تعالى في شأن آدم عليه السلام: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة: 31]. قال القاضي أبو بكر رحمه الله: "فلم يبق شيء إلا وعلم الله سبحانه آدم اسمه بكل لغة، وذكره آدم للملائكة كما علمه، وبذلك ظهر فضله، وعظم قدره، وتبين علمه، وثبتت نبوته، وقامت حجة الله على الملائكة، وحجته، وامتثلت الملائكة لما رأت من شرف الحال، ورأت من جلال القدرة، وسمعت من عظيم الأمر، ثم توارثت ذلك ذريته خلفا بعد سلف، وتناقلوه قوما عن قوم، تحفظه أمة وتضيعه أخرى، والبارئ سبحانه يضبط على الخلق بالوحي منه ما شاء على من شاء من الأمم على مقاديرها ومجرى حكمه فيها، حتى جاء

---

(184) صحيح البخاري (5/ 164)، و صحيح مسلم (2/ 742).

(185) أحكام القرآن لابن العربي (3/ 628).

إسماعيل بن إبراهيم – عليهما السلام – وتعلم العربية من جيرته جرهما، وزوجوه فيهم، واستقر بالحرم، فنزل عليه جبريل فعلمه العربية غضة طرية، وألقاها إليه صحيحة فصيحة سوية، واستطرب على الأعقاب في الأحقاب إلى أن وصلنا إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – فشرف وشرفت بالقرآن العظيم، وأوتي جوامع الكلام، وظهرت حكمته وحكمه، وأشرق على الآفاق فهمه وعلمه، والحمد لله". (ا.هـ). [186]

## فقوة الإدراك في عقل البشر والسمعُ آلة لها مع البصر

(**فـ**) إن سألت عن (**قوة الإدراك**) أين تكمن فـ: (**في عقل البشر**) الكائن في القلب. (**و**) بواسطة جارحة (**السمع**) التي هي الأذن (**آلة لها**) لقوة الإدراك (**مع البصر**) عن طريق نعمة العينين.

**نميز الحق بها والباطلا والنفعُ والضر بها قد انجلى**

(**نميز الحق بها**) المعنى: أننا ـ نحن البشر ـ أكرمنا الله تعالى بنعمة العقل والسمع والبصر ـ والجوارح لنفصل ونميز بها الحق (**والباطلا**) الألف للإطلاق. والباطل ضد الحق.

(**والنفع**) الواو استئنافية، وليست عطفا (**والضر**) ضد النفع، فيه مطابقة، كالذي سبق بين الحق والباطل. (**بها**) الضمير يعود إلى قوة الإدراك (**قد**) تحقق و(**انجلى**) ظهر وانكشف. والعبارة فيها تقديم وتأخير، والأصل: قد انجلى النفع والضر بها. أي بقوة الإدراك ينجلي لنا النفع من الضر. ويتميز لنا الحق من الباطل.

---

(186) المصدر نفسه (4/ 421).

**تنبيه:**

كون العقل يميز بين الحق والباطل، وبين النفع والضر، هذا ما يسمى عند العلماء بالتحسين والتقبيح. وقد ذهب المعتزلة إلى أن الأفعال يعرف قبحها وحسنها بالعقل، وأن الرسل يجب بعثهم حتى يبينوا وجه المصلحة والمفسدة في الأفعال، وإن كان قد تقرر في العقل حسنها وقبحها فيأتي الرسل بتفضيل ما تقرر في العقل.

وذهب الأشاعرة ومن وافقهم من أهل السنة، أن الحسن والقبيح لا يعرف إلا بالشرع.

وأهل السنة وسط بين المعتزلة والأشاعرة. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " كان للناس في الشرك والظلم والكذب والفواحش ونحو ذلك " ثلاثة أقوال": قيل: إن قبحهما معلوم بالعقل وأنهم يستحقون العذاب على ذلك في الآخرة وإن لم يأتهم الرسول كما يقوله المعتزلة وكثير من أصحاب أبي حنيفة، وحكوه عن أبي حنيفة نفسه وهو قول أبي الخطاب وغيره.

وقيل: لا قبح ولا حسن ولا شر فيهما قبل الخطاب، وإنما القبيح ما قيل فيه لا تفعل؛ والحسن ما قيل فيه افعل، أو ما أذن في فعله. كما تقوله الأشعرية ومن وافقهم من الطوائف الثلاثة.

وقيل: إن ذلك سيء وشر وقبيح قبل مجيء الرسول؛ لكن العقوبة إنما تستحق بمجيء الرسول. وعلى هذا عامة السلف وأكثر المسلمين وعليه يدل الكتاب والسنة. فإن فيهما بيان أن ما عليه الكفار هو شر وقبيح وسيء قبل الرسل، وإن كانوا لا يستحقون العقوبة إلا بالرسول. وفي الصحيح: أن حذيفة قال: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا

الخير من شر؟ قال: «**نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**». الحديث[187]، ثم ذكر – رحمه الله – الأدلة على ذلك من القرآن والسنة.[188]

**وقوة الإرادة التي بها أعمالنا والقلب مركز لها**

لما بين ما تحصل به قوة الإدراك، انتقل إلى ما تحصل به قوة الإرادة، فقال: (**وقوة الإرادة التي بها**) أي بسببها (**أعمالنا**) تظهر بحركة جوارحنا (**والقلب**) الذي في الصدر (**مركز**) موطن (**لها**) الضمير يعود إلى الإرادة. فإن صحت الإرادة ظهر ذلك على الجوارح، ولابد. خلافا للجهمية غلاة المرجئة الذين زعموا أن الإيمان يكفي فيه تصديق القلب وإن لم ينطق بالشهادتين ! قال شيخ الإسلام رحمه الله: " ولهذا ظن طوائف من الناس أن الإيمان إنما هو في القلب خاصة وما على الجوارح ليس داخلا في مسماه ولكن هو من ثمراته ونتائجه الدالة عليه حتى آل الأمر بغلاتهم – كجهم وأتباعه – إلى أن قالوا: يمكن أن يصدق بقلبه ولا يظهر بلسانه إلا كلمة الكفر مع قدرته على إظهارها فيكون الذي في القلب إيمانا نافعا له في الآخرة".[189]

لذا قال الناظم:

**وآلة لها جوارح الجسد لكسب خير أو لدفع ما فسد**

---

(187) صحيح البخاري (9/ 52)،(4/ 199)، وصحيح مسلم (3/ 1475).

(188) مجموع الفتاوى (11/ 677).

(189) مجموع الفتاوى (7/ 644).

**(وآلة لها)** أي آلة الإرادة **(جوارح الجسد)** جمع جارحة، وجوارح الإنسان: أعضاؤه وعوامل جسده كيديه ورجليه. لأنهن يجرحن الخير والشر: أي يكسبنه[190]. **(لكسب)** ربح **(خير)** وهو كل ما أذن الله فيه **(أو دفع ما)** موصولة بمعنى: الذي **(فسد)** ضد صلح، وهو كل ما نهى الله عنه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " إذا تحقق القلب بالتصديق والمحبة التامة المتضمنة للإرادة لزم وجود الأفعال الظاهرة، فإن الإرادة الجازمة إذا اقترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعا. وإنما ينتفي وجود الفعل لعدم كمال القدرة أو لعدم كمال الإرادة، وإلا فمع كمالها يجب وجود الفعل الاختياري. فإذا أقر القلب إقرارا تاما بأن محمدا رسول الله وأحبه محبة تامة امتنع مع ذلك أن لا يتكلم بالشهادتين مع قدرته على ذلك. لكن إن كان عاجزا لخرس ونحوه، أو لخوف ونحوه، لم يكن قادرا على النطق بهما"[191].

---

(190) لسان العرب (2/ 423).

(191) مجموع الفتاوى (10/ 272).

## لِلإِنسَانِ نقصَان: نَقص خَلْقٍ، وَنَقص فِطرَة

| | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| لكلِّنا | عنْ | نقصِ | خَلْقٍ | عُذْرُهُ | | وَنَقْصُ | فطرةٍ | عليهِ | جَبْرُهُ |
| فَسُدَّ | نَقْصَ | فطرةٍ | بما | يلي | | بِنَافِعِ | العلومِ، | وَالهدى | سَلِ |
| وَنقصَ | إدراكٍ | بصالحِ | العملْ | | | كذا | إعانةً | مِنَ | الرَّحمنِ | سَلْ |
| فَذِي | حقيقةُ | التُّقى، | فَقُمْ | بها | | وَجاءَ | في | أُمِّ | الكتابِ | نَصُّها |

**لكلنا عن نقص خلق عذرهُ ونقص فطرة عليه جبرهُ**

(**لكلنا**) نحن البشر (**عن نقص**) ضد الكمال (**خلق عذره**) أي ما دام الله تعالى قد خلقنا غير كاملين في الخلقة، فنحن معذورون، إذ لا دخل لنا في خِلقتنا، فالمشيئة المطلقة في الخلق هي لله تعالى، كما في قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران: 6]، وقال أيضا: ﴿**وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: 28].

(**ونقص فطرة**) الفطرة: هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين.[192] قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [الروم: 30-32].

(192) التعريفات (ص: 168).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿**وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ [الأعراف: 172]، وفي الحديث: «**إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**»[193]. وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة، كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية".(ا.هـ)[194].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الروم: 30] الآية[195].

فالفطرة ـ إذا ـ هي الإسلام، والإسلام هو الاستسلام لله تعالى، لا لغيره، وهي معنى: لا إله إلا الله. ولما كان الاستسلام لله قد يطرأ عليه ضعف إيمان، أشار الناظم إلى إمكان تقويته، وذلك بجبره. فقال: (**ونقص فطرة**) أي نقص التوحيد، (**عليه**) على صاحبه (**جبره**) الجبر خلاف الكسر.. وكأن التوحيد بناء متماسك تكسره الذنوب، ويهدمه الكفر. ومن ثم على المذنب أن يجبره ويلمه

---

(193) صحيح مسلم (4/ 2197).

(194) تفسير ابن كثير (6/ 313ـ 314).

(195) صحيح البخاري (2/ 95) حديث رقم: (1358ـ1359ـ1385ـ4775ـ6599). صحيح مسلم (4/ 2047) رقم الحديث:(2658).

بالتوبة والعمل الصالح. فإن أهل السنة عندهم الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. [196]

**فسُدّ نقصَ فطرة بما يلي بنافع العلوم والهدي سل**

(**فسُـد**) الفاء الفصيحة، لأنها أفصحت عن شرط مقدّر، والتقدير: إن ضعف إيمانك، ونقصت فطرتك (**فسُدّ**) السد: إغلاق الخلل وردم الثلم[197]. و(**سد**) فعل أمر مبني على السكون، والفتح عارض لالتقاء الساكنين، وفاعله ضمير مستتر تقديره: أنت (**سُـدّ**) أغلق وأصلح (**نقص فطرة**) ما نقص من فطرتك، أي من توحيدك بضعف الإيمان. وذلك (**بما يلي**)

**........................ بنافع العلوم والهدى سل**

**أولا: (بنافع العلوم)** مثل العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته. وقد مر بيان العلوم النافعة.

---

(196) العقيدة رواية أبي بكر الخلال (ص: 117)، رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب الأشعري(ص: 155)، الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص: 181)، لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي(ص: 26)، العقيدة الواسطية ابن تيمية(ص: 113).

(197) لسان العرب (3/ 207).

**ثانيا: (والهدى سل)** الهدى: مفعول به مقدم، وإنما قدم المفعول للحصر ـ والاهتمام، أي لا تهتم في دعائك إلا بالهداية أولا و آخرا، لأن من هداه الله تعالى فقد أعطاه الخير كله. و**(سل)** سل فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت. أي اسأل الله تعالى الهداية.

**ونقص إدراك بصالح العمل    كذا إعانة من الرحمن سل**

لما ذكر علاج نقص الفطرة ـ الذي هو التوحيد ـ ثنّى بذكر علاج ما يطرأ على آلة الإدراك ـ العقل والسمع والبصر ـ فقال:

**(و)** سُدّ **(نقصَ)** ضُعفَ، مفعول به وهو مضاف **(إدراك)** مضاف إليه، أي: سد ضعف إحاطة وكمال الخلقة **(بصالح العمل)** الذي يحبه الله تعالى، وأمر به النبي صلى الله عليه وسلم. فإن الله تعالى لا يزن العبد بكمال الخِلقة، ولكن بتقواه، كما في قوله: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: 13]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(198). **(كذا)** أيضا سُدّ هذا النقص بـ **(إعانة من الرحمن سل)** إعانة مفعول به مقدم، أي سل إعانة من الرحمن جل وعلا. فيه تقديم وتأخير للحصر ـ والقصر ـ. لأن الإعانة لا تطلب إلا من الله تعالى، وأيضا لأن السؤال لا يكون إلا لله تعالى، كما في حديث ابن عباس رضي عنهما مرفوعًا: «**وإذا سألت فاسأل الله**». الحديث.(199).

---

(198) صحيح مسلم (4/ 1987).

(199) رواه الترمذي وأحمد والحاكم، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (3/ 1459)، و صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 1317ـ 1318).

**فذي حقيقة التقى فقم بها وجاء في أم الكتاب نصها**

(**فذي**) إشارة إلى ما سبق ذكره (**حقيقة التقى فقم**) التزم بالعمل (**بها**)، (**و**) قد (**جاء في أم الكتاب**) المراد بأم الكتاب هنا: سورة الفاتحة. قال البخاري: باب ما جاء في سورة الفاتحة. وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة[200].(**نصها**) النص: ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى.[201].والمراد به هنا: أن حقيقة التقوى جاء ذكرها وبيانها مجملا في سورة الفاتحة. وقد أشار إلى ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله: " فكمال الإنسان وسعادته لا تتم إلا بمجموع هذه الأمور ـ أي: استكمال القوة العلمية والقوة الإرادية ـ وقد تضمنتها سورة الفاتحة وانتظمتها أكمل انتظام.

فإن قوله: ﴿ **الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4)** ﴾ يتضمن الأصل الأول وهو معرفة الرب تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله. والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنى، وهي اسم الله، والرب، والرحمن. فاسم الله متضمن لصفات الألوهية، واسم الرب متضمن الربوبية، واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبر، ومعاني أسمائه تدور على هذا.

وقوله: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)** ﴾ يتضمن معرفة الطريق الموصلة إليه، وأنها ليست إلا عبادته وحده بما يحبه ويرضاه واستعانته على عبادته.

---

(200) صحيح البخاري (6/ 17).

(201) التعريفات (ص: 241).

وقوله: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)**﴾ يتضمن بيان أن العبد لا سبيل لـه إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له، كما لا سبيل لـه إلى عبادته بمعونته، فلا سبيل له إلى الاستقامة على الصراط إلا بهدايته.

وقوله: ﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾ يتضمن بيان طرفي الانحراف عن الصراط المستقيم، وأن الانحراف إلى أحد الطرفين انحراف إلى الضلال، الذي هو فساد العلم والاعتقاد. والانحراف إلى الطرف الآخر، انحراف إلى الغضب الذي سببه فساد القصد والعمل.

فأول السورة رحمة، وأوسطها هداية، وآخرها نعمة. وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية، وحظه منها على قدر حظه من الرحمة. فعاد الأمر كله إلى نعمته ورحمته. والنعمة والرحمة من لوازم ربوبيته، فلا يكون إلا رحيما منعما، وذلك من موجبات الهيته، فهو الإله الحق، وإن جحده الجاحدون، وعدل به المشركون.

فمن تحقق بمعاني الفاتحة علما ومعرفة وعملا وحالا، فقد فاز من كماله بأوفر نصيب، وصارت عبوديته عبودية الخاصة، الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين، والله المستعان".

(ا.هـ)[202].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وعلمُ القرآن جُمع في الفاتحة، وعلم الفاتحة في هذين الأصلين: عبادة الله، والتوكل عليه".[203] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾.

ومن يسر الله تعالى له قراءة مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم رحمه الله، تبين له عظمة هذه السورة وقيمتها. وحسبك قوله صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بيده**

---

(202) الفوائد لابن القيم (ص: 19- 20).

(203) جامع الرسائل لابن تيمية (1/ 91).

**ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها – يعني أم القرآن – وإنها لسبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته»**.[204]

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم، سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: «**هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته**».[205]

فعلى طالب العلم أن يعكف على فهم سورة الفاتحة وتدبرها والعمل بها، فإنها أصل كل خير وهدى. والله الموفق والهادي إلى صراطه المستقيم.

---

(204) رواه أحمد والترمذي وأبو داود من حديث أبي هريرة. انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 1191).

(205) صحيح مسلم (1/ 554).

# شُرُوطُ : لاَ إِلَهَ إِلَّا الله

إيمانُنا أركانُهُ بها ارتُبِطْ كلُّ الَّذي لِكِلْمَةِ الحقِّ اشْتُرِطْ

فأوَّلُ الأركانِ: تصديقٌ بها وَهوَ قولُ القلبِ؛ أي: إقرارُها

فَنُطْقُها فَعَمَلٌ بالمُضْغَةِ مُعَرَّفٌ بالهَمِّ وَالإرادةِ

وَالرَّابعُ: الأعمالُ بالجوارحِ أقلُّهُ الإيماءُ مِنْ مُمَازِحِ

اعلم ـ علمني الله وإياك ـ : أن الشرط ينقسم إلى أربعة أقسام: عقلي، شرعي، لغوي، عادي. والمقصود به هنا الشرعي، وهو: "ما يتوقف وجود الحكم على وجوده ويلزم من عدمه عدم الحكم. والمراد وجوده الشرعي الذي يترتب عليه أثره. فالشرط أمر خارج عن حقيقة المشروط يلزم من عدمه عدم المشروط، ولا يلزم من وجوده وجوده".[206]

فهذه الكلمة: " لا إله إلا الله " لها شروط، بينها الناظم بقوله:

**إيمانا أركانه بها ارتبط كل الذي لكلمة الحق اشترط**

(**إيماننا**) أي الإيمان عندنا نحن أهل السنة والجماعة (**أركانه بها**) الضمير يعود إلى كلمة التوحيد " لا إله إلا الله ". (**ارتُبط**) من الربط، حيث لا ينفك عنه (**كل الذي لكلمة الحق**) وهي

(206) علم أصول الفقه (ص: 118).

التوحيد (**اشترط**) المعنى: أن كلمة التوحيد لها شروط مرتبطة بها، تنفك فانفكاكها، ولا ينتفع الناطق بها.

وهذه الأركان هي:

## فأول الأركان: تصديق بها وهو قول القلب،أي إقرارها

(**فأول الأركان**) الأركان جمع ركن، وهو الناحية القوية وما تقوى به من ملك وجند وغيره.[207] والفرق بين الركن والشرط، أن الركن يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم، مع دخوله في ماهية الشيء. بخلاف الشرط فإنه خارج عن ماهية الشيء، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم.

## .............: تصديق بها وهو قول القلب،أي إقرارها

(**تصديق بها**) هذا أول ركن يتحقق في كلمة التوحيد، وتقبل من الناطق بها، ومعنى التصديق بها (**وهو قول القلب**) فإن قال قائل: القول يحتاج إلى لسان، فهل للقلب لسان؟ وكيف يتكلم بكلمة التوحيد؟! الجواب بينه الناظم بقوله: (**أي إقرارها**). فقول القلب الذي هو التصديق، معناه: الإقرار.

---

(207) لسان العرب (13/ 185).

**فنطقها فعمل بالمضغة          معرّف بالهم والإرادة**

(**فنطقها**) الفاء للترتيب والتعقيب، أي الركن الثاني هو: النطق باللسان بكلمة التوحيد، المترجم لقول القلب، ويكون عقب التصديق مباشرة دون تريث. (**فعمل**) أيضا الفاء للترتيب والتعقيب، أو هي الفصيحة، أي إن سألت عن الركن الثالث (**فـ**) هو (**عمل بالمضغة**) التي هي القلب، كما في الحديث: " إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي والقلب". (**معرّف**) أي يعرّف عمل القلب (**بالهم**) والهم هو عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل، من خير أو شر.[208] (**والإرادة**) مر بيانها، وهي صفة توجب للحي حالًا يقع منه الفعل على وجهٍ دون وجه.

فأثبت هنا: قول اللسان الذي هو النطق بالشهادتين، وقول القلب وعمله، أما قوله فهو الإقرار، وأما عمله، فالهم بالفعل والإرادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " قال " الجنيد بن محمد ": التوحيد: قول القلب. والتوكل: عمل القلب فلا بد فيه من قول القلب وعمله؛ ثم قول البدن وعمله ولا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله وإخلاص العمل لله وحده وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان".[209]

---

(208) التعريفات (ص: 257).

(209) مجموع الفتاوى (7/ 186).

(**و**) الركن (الرابع) هو (**الأعمال بالجوارح**) وقد مر معنا تعريف الجوارح. والمعنى: أن من أركان كلمة التوحيد: الأعمال بالجوارح، خلافا للمرجئة. الذين عندهم الإيمان: اعتقاد ونطق فقط، والكرامية قالوا: هو نطق فقط.[210] وقد أنكر عليهم السلف.

يقول الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي: " والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان: قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان. وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم.

وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان إنكارا شديدا. وممن أنكر ذلك على قائله، وجعله قولا محدثا: سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيوب السختياني، وإبراهيم النخعي، والزهري، ويحيى بن أبي كثير، وغيرهم. وقال الثوري: هو رأي محدث، أدركنا الناس على غيره.

وقال الأوزاعي: كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الأمصار: أما بعد، فإن الإيمان فرائض وشرائع وحدود وسنن، فمن استكملها، استكمل الإيمان. ومن لم يستكملها، لم يستكمل الإيمان، ذكره البخاري في " صحيحه ". قيل الأمر على ما ذكره، وقد دل على دخول الأعمال في الإيمان قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ**

(210) لوامع الأنوار البهية (1/ 405).

وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: 2 – 4] .". انتهى.[211]

وقال الإمام الآجري رحمه الله: "فالأعمال ـ رحمكم الله ـ بالجوارح: تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان، فمن لم يصدق الإيمان بعمله وبجوارحه: مثل الطهارة، والصلاة والزكاة، والصيام والحج والجهاد، وأشباه لهذه ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمنا، ولم ينفعه المعرفة والقول، وكان تركه للعمل تكذيبا منه لإيمانه، وكان العمل بما ذكرناه تصديقا منه لإيمانه، وبالله التوفيق وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44] فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم لأمته شرائع الإيمان أنها على هذا النعت في أحاديث كثيرة، وقد قال تعالى في كتابه، وبين في غير موضع أن الإيمان لا يكون إلا بعمل، وبينه النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ما قالت المرجئة، الذين لعب بهم الشيطان قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177]".[212]

قال العلامة حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله: " وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: أما بعد، فإن الإيمان فرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. وهذا المعنى هو الذي أراد البخاري إثباته في كتاب الإيمان وعليه بوب أبوابه كلها، فقال: "باب أمور الإيمان" و"باب الصلاة من الإيمان" و"باب الزكاة من الإيمان" و"باب الجهاد من

---

(211) جامع العلوم والحكم (1/ 104).

(212) الشريعة للآجري (2/ 614).

الإيمان" و"باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان" و"باب الحياء من الإيمان" و"باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان" و"باب اتباع الجنائز من الإيمان" و"باب أداء الخمس من الإيمان" وسائر أبوابه. وكذلك صنع النسائي في المجتبى، وبوب الترمذي على حديث وفد عبد القيس "باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الإيمان" وكلام أئمة الحديث وتراجمهم في كتبهم يطول ذكره وهو معلوم مشهور، ومما قصدوه بذلك الرد على أهل البدع ممن قالوا: هو مجرد التصديق فقط؛ كابن الراوندي ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم، إذ على هذا القول يكون اليهود الذين أقروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك، وقد نفى الله الإيمان عنهم.

وقال جهم بن صفوان[213] وأتباعه: هو المعرفة بالله فقط. وعلى هذا القول ليس على وجه الأرض كافر بالكلية، إذ لا يجهل الخالق سبحانه أحد، وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في نونيته الكافية الشافية:

قالوا: وإقرار العباد بأنه ... خلاقهم هو منتهى الإيمان
والناس من الإيمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... والاهمو من عابدي الأوثان
وسل اليهود وكل أقلف مشرك ... عبد المسيح مقبل الصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم ... أعداء نوح أمة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف ال ... خلاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل شرار الخلق واقبح أمة ... لوطية هم ناكحو الذكران

---

(213) الجعد بن درهم، أول من ابتدع القول بأن الله لم يكلم موسى تكليما، ولم يتخذ إبراهيم خليلا، وقال بخلق القرآن، كان معلما لآخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد، فنسب إليه وقيل له مروان الجعدي. قتله خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى لمقالته في كلام الله، سنة 124هـ. انظر:(الذهبي: ميزان الاعتدال 1/ 399، وابن كثير: البداية والنهاية 9/ 364).

واسأل كذاك إمام كل معطل فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق ال رب العظيم مكون الأكوان
فليبشروا ما فيهمو من كافر هم عند جهم كاملو الإيمان

وقالت المرجئة والكرامية: الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب، فيكون المنافقون على هذا مؤمنين، وقد قال تعالى فيهم: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (84) وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾ [التوبة: 84، 85] وغير ذلك من الآيات، وهم قد نطقوا بالشهادتين بألسنتهم فقط وكذبهم الله -عز وجل- في دعواهم في غير موضع من القرآن.

وقال آخرون: التصديق بالجنان والإقرار باللسان. وهذا القول مخرج لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة في حديث جبريل، وهو ظاهر البطلان.

وذهب الخوارج، والعلاّف[(214)] ومن وافقهم إلى أنه الطاعة بأسرها فرضا كانت أو نفلا، وهذا القول مصادم لتعليم النبي - صلى الله عليه وسلم- لوفود العرب السائلين عن الإسلام والإيمان. وكل ما يقول له السائل في فريضة: هل علي غيرها؟ قال: «**لا إلا أن تطوع شيئا**».

وذهب الجُبّائي[(215)] وأكثر المعتزلة البصرية إلى أنه الطاعات المفروضة من الأفعال والتروك دون النوافل، وهذا أيضا يدخل المنافقين في الإيمان وقد نفاه الله عنهم. وقال الباقون منهم: العمل

(214) هو محمد بن الهذيل العبدي، كان يلقب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت في العلافين، وكان فصيحا جدلًا كان شيخ البصريين في الاعتزال ومن أكبر علمائهم (134-235هـ) . انظر: طبقات المعتزلة 54-59، وفيات الأعيان: 4/ 265.

والنطق والاعتقاد، والفرق بين هذا وبين قول السلف الصالح أن السلف لم يجعلوا كل الأعمال شرطا في الصحة، بل جعلوا كثيرا منها شرطا في الكمال، كما قال عمر بن عبد العزيز فيها: من استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، والمعتزلة جعلوها كلها شرطا في الصحة، والله أعلم". انتهى(216)

## أقله الإيماء من ممازرح ..............................

**(أقله)** الضمير يعود على الشرط الرابع من شروط الإيمان ـ وهو العمل بالجوارح ـ، فأقل ما يعبر به العبد عن إيمانه أن يشير ولو بإصبعه، أو يده، أو أي جارحة من جوارحه، وهو ما عبر عنه بـ **(الإيماء)** و الإيماء: الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب.(217) **(من ممازح)** المزاح: الدعابة والفكاهة، وهو ضد الجد.(218) واختيار الناظم صفة المزاح من العبد دون الجد، لكون المازح يؤخذ بذنبه في مسمى الإيمان فيخرج من الملة. فليحذر العبد من المزاح في الدين. فقد قال تعالى: ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [التوبة: 65 – 66]

---

(215) هو محمّد بن عبد الوهّاب الجبائي، أبو عليّ من معتزلة البصرة، وكان رأسًا في علم الكلام. وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري علم الكلام. ولد سنة: 235هـ وتوفي سنة: 303هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان 4/ 607، والمنتظم

(216) معارج القبول بشرح سلم الوصول (2/ 600ـ 602).

(217) لسان العرب (15/ 415).

(218) جمهرة اللغة (1/ 529).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: " فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب وهو (باب حكم المرتد) وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، حتى ذكروا فيه أنواعا كثيرة كل نوع منها يُكَفِّر الإنسان، ويحل دمه وماله، حتى ذكروا أشياء يسيرة مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المَزْح واللعب، والذين قال الله فيهم: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ**﴾ [التوبة: 74]. أسمعت! الله كفَّرَهم بكلمة مع كونهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يجاهدون معه، ويصلون، ويزكون، ويصومون، ويحجون، ويوحدون الله سبحانه. وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [التوبة: 65 – 66]، قالوا كلمة على وجه المزح واللعب، فصرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك".[219]

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: " والهازل غير مأذون له في الهزل بكلمة الكفر والعقود؛ فهو متكلم باللفظ مريد له ولم يصرفه عن معناه إكراه ولا خطأ ولا نسيان ولا جهل، والهزل لم يجعله الله ورسوله عذرا صارفا، بل صاحبه أحق بالعقوبة، ألا ترى أن الله تعالى عذر المكره في تكلمه بكلمة الكفر إذا كان قلبه مطمئنا بالإيمان، ولم يعذر الهازل بل قال: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [التوبة: 65] ﴿**لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [التوبة: 66] وكذلك رفع المؤاخذة عن المخطئ والناسي".[220]

---

(219) الجواهر المضية (ص: 44-45).

(220) إعلام الموقعين عن رب العالمين (3/ 56).

## الهَمُّ هَمَّان

هَمٌّ: حديثُ النَّفسِ قولًا قالَهُ بِقَلْبِهِ خيرُ وَشَرٌّ ما لَهُ
وَآخرٌ: إرادةٌ جازمةٌ أعمالُ قلبٍ، وَلَهُ عاقِبَةٌ
فإنْ نوى حسنةً: فَتُسْتَطَرْ واحدةً، إنْ حالَ دونها القَدَرْ
وَعَشْرَةً متى يقمْ بها، وَلا شيئًا لهُ إنْ عزمُهُ تبدَّلا
وَالسِّيئاتُ مثلها لكنَّها واحدةٌ فقطْ بلا تَضْعِيْفِهَا
وَإنْ يَخَفْ مِنْ ربِّهِ وَيَنْثَنِي تُكْتَبْ لهُ حسنةٌ وَتُوْزَنِ

الهم: لغة هو عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل، من خير أو شر.[221] وعرفه الناظم بأنه: همان.

**هم: حديث النفس قولا قاله بقلبه خير وشر ما له**

الهم الأول: (**هم**) هو (**حديث النفس**) ويكون (**قولا قاله بـ**) لسان (**قلبه**) لا بلسان قاله، ولا بلسان حاله (**خير وشر**) كل ذلك (**ما**) نافية، أي ليس (**له**) أي ليس له، ولا عليه. لأنه حديث نفس.

**وآخر: إرادة جازمة أعمال قلب، وله عاقبة**

(**وآخر**) وهو النوع الثاني من الهم (**إرادة جازمة**) وهو ما يسمى: العزم. وهو من أعمال القلب. لذا قال: (**أعمال قلب**) فهذا العمل القلبي الجازم، يؤاخذ به صاحبه، ويجازى عما عزم على فعله، من خير أو شر، لذا قال: (**وله عاقبة**) أي يثاب عنه إما حسنة، أو سيئة، ولو لم يعمل بجوارحه.

**فإن نوى حسنة فتستطر واحدة إن حال دونها القدر**

---

(221) التعريفات (ص: 257).

(**فإن نوى**) النية هنا العزم، وهي من أعمال القلوب (**حسنة**) قولا أو فعلا مما أمر الله به ورضيه وأحبه (**فتستطر**) أي: فتسطر، بمعنى: فتكتب. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**﴾ [القمر: 53] قال العلامة ابن عشير رحمه الله: "والمعنى: وكل شيء حقير أو عظيم مستطر، أي مكتوب مسطور، أي في علم الله تعالى أي كل ذلك يعلمه الله ويحاسب عليه، فمستطر: اسم مفعول من سطر إذا كتب سطورا قال تعالى: (**وكتاب مسطور**) [الطور: 2]".[222]

قوله: (**واحدة**) أي تكتب حسنة واحدة، وذلك (**إن حال دونها**) أي منع من الإتيان بها (**القدر**) المسبوق في علم الله تعالى. كأن ينوي عازما الخروج إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، فيأتيه مرض يمنعه، فهذا قد حال بينه وبين الخروج قدر الله المسبوق في علمه. فيكتب له أجره.

**وعشرة متى يقم بها، ولا    شيئا له إن عزمه تبدلا**

(**و**) تكتب له (**عشرة**) بدل حسنة واحدة (**متى**) إن (**يقم**) يأت (**بها**) أي إن يأت بالنية قولا أو فعلا (**ولا**) تكتب (**شيئا له**) فيه تقديم وتأخير، والأصل "**له شيئا**" أي: لا تكتب له شيئا (**إن عزمه**) عمله القلبي (**تبدلا**) أي تغير، من العزم على الفعل إلى الترك. والألف في (**تبدلا**) للإطلاق.

**والسيئات مثلها لكنها    واحدة فقط بلا تضعيفها**

(222) التحرير والتنوير (27/ 224).

(**والسيئات**) أحوالها (**مثلها**) أي مثل الحسنات عند العزم، والفعل، أي يجزى بها (**لكنها واحدة فقط**) في الجزاء (**بلا تضعيفها**) بلا الزيادة فيها، فلا يجزى المسيء أضعاف إساءته، مثل المحسن. بل يجزى السيئة بمثلها. كما في قوله تعالى: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [الأنعام: 160]، وقال سبحانه: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [القصص: 84].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قال الله عز وجل: إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا**».[223]

وقال صلى الله عليه وسلم: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعمل لله فيه بحقه فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية ويقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يتخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل فيه بحق فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته ووزرهما سواء**». الحديث.[224]

---

(223) صحيح مسلم (1/ 117).

(224) رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح. صححه الألباني في مشكاة المصابيح (3/ 1454)، وصحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 580).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فرق بين الهم والإرادة: فالهم: قد لا يقترن به شيء من الأعمال الظاهرة، فهذا لا عقوبة فيه بحال، بل إن تركه لله كما ترك يوسف همه أثيب على ذلك، كما أثيب يوسف. ولهذا قال أحمد: "الهم همان: هم خطرات، وهمّ إصرار". ولهذا كان الذي دل عليه القرآن أن يوسف لم يكن له في هذه القضية ذنب أصلا، بل صرف الله عنه السوء والفحشاء إنه من عباده المخلصين؛ مع ما حصل من المراودة والكذب والاستعانة عليه بالنسوة وحبسه، وغير ذلك من الأسباب التي لا يكاد بشر يصبر معها عن الفاحشة. ولكن يوسف اتقى الله وصبر فأثابه الله برحمته في الدنيا. ﴿**وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يوسف: 57].

وأما الإرادة الجازمة: فلا بد أن يقترن بها مع القدرة فعل المقدور ولو بنظرة أو حركة رأس أو لفظة أو خطوة أو تحريك بدن؛ وبهذا يظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»[225].

فإن المقتول أراد قتل صاحبه فعمل ما يقدر عليه من القتال وعجز عن حصول المراد وكذلك الذي قال: "لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان". فإنه أراد فعل ما يقدر عليه، وهو الكلام. ولم يقدر على غير ذلك ، ولهذا كان من دعا إلى ضلالة كان عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، لأنه أراد ضلالهم ففعل ما يقدر عليه من دعائهم إذ لا يقدر إلا على ذلك". (ا.هـ)[226].

---

(225) متفق عليه، وتمامه: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار"، فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال: "إنه كان حريصا على قتل صاحبه". الحديث. قلت: فهذا الحرص هو العزم، وهو من العمل القلبي. ولا يمنع من تنفيذه بالجوارح إلا العجز.

(226) مجموع الفتاوى (7/ 527).

## وإن يخف من ربه وينثني    تكتب له حسنة وتوزن

**(وإن يخف)** العبد **(من ربه وينثني)** يحجم، ويرجع، ويبتعد عن ارتكاب المعصية. يقال انثنى عن عزمه، أي ابتعد وارتد عنه[227] **(تكتب)** جواب الشرط **(له حسنة)** تامة، كأنه عملها **(وتوزن)** له يوم القيامة. وهذا من فضل الله تعالى وكرمه ورحمته بعباده المؤمنين. فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله قال: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها مثلها فإن تركها من أجلي فاكتبوها حسنة فإن أراد أن يعمل حسنة فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له عشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف".[228]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قالت الملائكة: رب، ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة، وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جراي**».[229]

---

(227) معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 331).

(228) التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (1/ 400).

(229) صحيح مسلم (1/ 117) من حديث أبي هريرة، ومسند أحمد (13/ 531)، ومستخرج أبي عوانة (1/ 81).

# رَبطُ الشُّرُوطِ بِالأَرْكَانِ

وَأَوَّلُ الشُّروطِ: عِلْمٌ نافعُ … لِنَفْيِ جَهْلٍ بالضَّلالِ مُوقِعُ

وَالجهلُ أنواعٌ ثلاثةٌ شُعَبْ؛ … جهلٌ بسيطٌ فطرةٌ لمْ يُكْتَسَبْ

وَآخَرٌ مُرَكَّبٌ وَمُكْتَسَبْ … علمٌ خلافُ الحقِّ ضلَّ مَنْ طَلَبْ

كذا الجحودُ بِئْسَ جهلُ مَنْ جَهِلْ … مِنْ عالمٍ للحقِّ ضدَّهُ عَمِلْ

وَبعدها اليقينُ: علمٌ استقَرّْ … في القلبِ مِنْ سماعِ صادقِ الخَبَرْ

يكونُ عينُهُ بِرُؤْيَةِ الخبرْ … عنْ ثقةٍ أتى وَعنْ ربِّ البَشَرْ

وَحقُّهُ يكونُ باستعمالنا … لهُ غَدَا مُسْتَوْجِبًا إنشاءَنا

وَلنْ ترى بعدَ النَّبيِّ في البَشَرْ … مِنْ ثقةٍ مَنْ شكَّ فيهِ قدْ كَفَرْ

وَالثَّالثُ: التَّصديقُ ركنٌ ما أتى … بلا اجتماعِ سابِقَيهِ يا فتى

وَالرَّابعُ: القَبولُ؛ أي ألاَّ تُرَدْ … عبادةُ الإلهِ أو حقٌّ وَرَدْ

فتلكَ قولُ القلبِ ثمَّ بعدها … أعمالُهُ وَالنُّطقُ مِنْ أركانها

ركنٌ قيامُهُ على القَبولِ … وَالانقيادِ، فاسْتَمِعْ لِقَولي

فالانقيادُ سادسًا: أن نَلْتَزِمْ … شريعةَ الرَّحمنِ فِعْلًا معْ كَلِمْ

وَبالجِنانِ وَالجوارحِ انْقَسَمْ … أقوالُها أعمالُها فالرَّبطُ تَمْ

وَأَنَّهُ مُسْتَلْزِمٌ أنْ نَتَّبِعْ … أنْ نَقْتَفِيْ الآثارَ لا أنْ نَبْتَدِعْ

وَالاتِّباعُ لازِمٌ للطَّاعةِ … نعني بها تنفيذَ أمرِ الشِّرْعَةِ

وَسابعًا: قلْ عملُ القلبِ وَبالْـ … إخلاصِ بعدَ الانقيادِ يَكْتَمِلْ

فالثَّامنُ: الإخلاصُ؛ أي لا تَنْوِيَنْ … لِغَيرِ وجهِ اللهِ حينَ تَعْمَلَنْ

فعملُ الجوارحِ الملازمُ … للانقيادِ مَعْهُ صدقٌ دائمُ

**فالصِّدقُ: أي كُنْ ظاهرًا مطابِقا لِباطنٍ وَلا تكنْ منافِقا**

**وأول الشروط علم نافع لنفي جهل بالضلال موقع**

قوله: (**وأول الشروط**) يعني شروط " لا إله إلا الله " (**علم نافع**) وهو علم القلب، كما قال الحسن البصري رحمه الله: "العلم علمان: فعلم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم".[230]

**............................... لنفي جهل بالضلال موقع**

(**لنفي جهل**) اللام للتعليل، أي شرط العلم لعلة رفع الجهل بكلمة التوحيد، إذ لا معنى لمن ينطق بها ولا يعلم معناها (**بالضلال**) ضد الهدى (**موقع**) أي واقع على صاحبه. والمعنى: وجوب العلم بكلمة التوحيد لرفع الجهل عن صاحبه، ورفع الضلال عنه، الواقع به.

ودليل شرط العلم بلا إله إلا الله، المراد منه: النفي والإثبات المنافي للجهل بذلك، قال الله عز وجل: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [محمد: 19] وقال تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ**﴾ [الزخرف: 86] أي: شهد بلا إله إلا الله ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم. وقال تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران: 18] وقال تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر:

---

(230) سنن الدارمي (1/ 374). ورواه البيهقي في شعب الإيمان (3/ 294) من قول الفضيل بن عياض.

9] وقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: 28] وقال تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: 43].

وفي الصحيح عن عثمان – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(231).

## والجهل أنواع ثلاثة شعب جهل بسيط فطرة لم يكتسب

لما كان الجهل ينافي العلم، أخذ يبين أقسام الجهل فقال:

(**والجهل**) له (**أنواع ثلاثة**) تنقسم إلى (**شعب**) جمع شعبة، وهي الفريق من الشيء. فأول شعب الجهل وأقسامه:

(**جهل بسيط**)(232) أي صاحبه لا يدعي علما، بل يعترف أنه لا يدري، ولذا بينه بقوله: (**فطرة لم يكتسب**) أي بقي على الفطرة، ولم يكتسبه بالتعلم.

---

(231) رواه مسلم "1/ 55/ ح43" كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.

(232) هذه العبارة: "جهل بسيط" أو " موضوع بسيط" من الأخطاء الشائعة، حيث يعني كاتبها أو قائلها: "جهل يسير" و موضوع سهل". وهذا خطأ فاحش، نبه إليه الشيخ العلامة تقي الدين الهلالي رحمه الله في (تقويم اللسانين) فقال: " إن البسيط في اللغة العربية، هو الواسع، ومن أجل ذلك سميت الأرض البسيطة لسعتها.والبساطة كما تقدم في كلام العرب طلاقة الوجه. وأصل هذا الخطأ آت من اصطلاح الأطباء في تسميتهم الدواء الذي هو من مادة واحدة بسيطا، ويقابله: المركب الذي يتألف من أجزاء، كل جزء من مادة.وقد استعمله الفلاسفة أيضا فقسموا الجهل إلى قسمين: جهل بسيط، وجهل مركب، فالجهل البسيط هو أن يكون الشخص جاهلا، ويعلم أنه جاهل،

**وآخر مركب ومكتسب علم خلاف الحق ضل من طلب**

(**وآخر**) وهو القسم الثاني من أقسام الجهل (**مركب**) ظن فاسد، (**و**) هو (**مكتسب**) حيث يكون صاحبه على علم، لكن علمه هذا (**علم خلاف الحق**) فيظن صاحبه أنه على حق، ويجادل بالباطل في صورة الحق، وهذا أقبح الجهل، لذا قال: (**ضل**) زاغ (**من طلب**). أي من طلبه واتصف به.

وقد بين العلامة ابن القيم رحمه الله هذين النوعين من الجهل فقال:

الجهل قسمان:

**بسيط**: وهو عبارة عن عدم المعرفة مع عدم تلبس بضد.

**ومركب**: وهو جهل أرباب الاعتقادات الباطلة. والقسم الأول هو الذي يطلب صاحبه العلم، أما صاحب الجهل المركب فلا يطلبه".[233]

وقال رحمه الله عن أهل الجهل المركب: " الذين يحسبون أنهم على علم وهدى وهم أهل جهل وضلال، فهؤلاء أهل الجهل المركب الذين يجهلون الحق ويعادونه ويعادون أهله، وينصرون الباطل ويوالونه ويوالون أهله وهم يحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون، فهم لاعتقادهم

---

والجهل المركب أن يكون الشخص جاهلا، ويجهل أنه جاهل، فجهله مركب من جهلين. قال بعض الشعراء على لسان حمار الطبيب توما:

| | |
|---|---|
| قال حمار الحكيم توما | لو أنصفوني ما كنت أُركب |
| لأن جهلي غدا بسيطا | وراكبي جهله مركب. |

(233) بدائع الفوائد (4/ 209).

الشيء على خلاف ما هو عليه بمنزلة رائي السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.."[234].

وقال الماوردي رحمه الله: " وقد قسم الخليل بن أحمد أحوال الناس فيما علموه أو جهلوه أربعة أقسام متقابلة لا يخلو الإنسان منها فقال: الرجال أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاسألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك ناس فذكروه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه.

وأنشد أبو القاسم الآمدي:

إذا كنت لا تدري ولم تكن بالذي ... يسائل من يدري فكيف إذا تدري
جهلت ولم تعلم بأنك جاهل ... فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري
إذا كنت من كل الأمور معميا ... فكن هكذا أرضا يطأك الذي يدري
ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري. (ا.هـ)

**كذا الجحود بئس جهل من جهل ... من عالم للحق ضده عمل**

**(كذا)** أيضا مما يدخل في أقسام الجهل الثلاثة **(الجحود)** وهو الإنكار مع العلم **(بئس)** فعل ماض جامد لإنشاء الذم **(جهل)** فاعله **(من جهل)** فهذا من أقبح الجهل أيضا، لكونه يعلم الحق، لكنه ينكر ويعاند، لذا قال: **(من عالم للحق)** لكنه **(ضده)** الضمير يعود للحق المعلوم **(عمل)** أي عمل بضد ما يعلم عن جحود ونكران.

---

(234) اجتماع الجيوش الإسلامية (2/ 55).

(235) أدب الدنيا والدين (ص: 75ـ 76).

واعلم ـ رحمك الله ـ أن الجحود كفر، وهو نوعان، مطلق ومقيد.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: " وكفر الجحود نوعان: كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص.

**فالمطلق**: أن يجحد جملة ما أنزله الله، وإرساله الرسول ـ صلى الله عليه وسلم.

**والخاص المقيد**: أن يجحد فرضا من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خبرا أخبر الله به، عمدا، أو تقديما لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض.

وأما جحد ذلك جهلا، أو تأويلا يعذر فيه صاحبه، فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، ولم يجحد قدرة الله على إعادته عنادا أو تكذيبا".[236]

قلت: ومن هنا نعلم أن أغلب كفر الأمم إنما هو عن جحود وعناد، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**﴾ [البقرة: 89] . وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ [البقرة: 159]. وقال جل وعلا: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [النمل: 14].

**وبعدها: اليقين علم استقر          في القلب من سماع صادق الخبر**

---

(236) مدارج السالكين (1/ 347ـ348).

**(وبعدها)** الضمير يعود على الشروط السابق ذكرها، مما يجب لتحقيق كلمة التوحيد. فبعد العلم المنافي للجهل، يأتي الشرط الثاني وهو **(اليقين)** اليقين: لغة، هو العلم الذي لا شك معه، وفي الاصطلاح: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، مطابقا للواقع غير ممكن الزوال[237]. وعرفه الناظم بأنه **(علم استقر)** تمكن وقرّ **(في القلب)** وتلقاه **(من سماع صادق)** القول و**(الخبر)** وهو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. فإن أصدق الحديث والخبر كلام الله تعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

لذا بين من يتصف بصدق الخبر قائلا:

**يكون عينه برؤية الخبر　　　　عن ثقة أتى وعن رب البشر**

**(يكون عينه)** أي عين اليقين **(برؤية)** رؤية قلبية لـ**(الخبر)** كأنه يراه. لأن اليقين على ثلاثة أقسام: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين. وكلها وردت في القرآن الكريم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "للناس في هذه الأسماء مقالات معروفة. منها: أن يقال: **(علم اليقين)** ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر و**(عين اليقين)** ما شاهده وعاينه بالبصر. و**(حق اليقين)** ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار.

**فالأولى**: مثل من أخبر أن هناك عسلا وصدق المخبر. أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده.

(237) التعريفات (ص: 259).

**والثاني**: مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه وهذا أعلى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "ليس المخبر كالمعاين". [238]

**والثالث**: مثل من ذاق العسل ووجد طعمه وحلاوته ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله". [239]

قوله: (**عن ثقة أتى**) أي رؤية اليقين بنور الإيمان، وعين القلب، أتى عن ثقة صادق عدل. لا عن كذاب، أو مجهول العين والحال. (**و**) أتى أيضا (**عن رب البشر**) سبحانه، والمراد به كلامه المنزل على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم. كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾ [النساء: 87]، وقال: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**﴾ [النساء: 122]. وقال سبحانه عن نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: 3، 4].

**وحقه يكون باستعمالنا له غدا مستوجبا إنشاءنا**

(**وحقه**) أي اليقين (**يكون باستعمالنا له**) أي بكسبنا (**غدا**) أصبح وصار (**مستوجبا**) واجبا (**إنشاءنا**) له وتعلمنا إياه. وذلك أن السلف اختلفوا في اليقين، هل هو كسبي أو موهبي؟

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "قيل: هو العلم المستودع في القلوب. يشير إلى أنه غير كسبي.

وقال سهل: اليقين من زيادة الإيمان، ولا ريب أن الإيمان كسبي.

---

(238) مسند أحمد (3/ 341)، صححه الألباني في التعليقات الحسان (9/ 51)، وانظر: تخريج المشكاة (5738).

(239) مجموع الفتاوى (10/ 645-646).

والتحقيق: أنه كسبي باعتبار أسبابه، موهبي باعتبار نفسه وذاته.

قال سهل: ابتداؤه المكاشفة. كما قال بعض السلف: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. ثم المعاينة والمشاهدة.

وقال ابن خفيف: هو تحقق الأسرار بأحكام المغيبات.

وقال أبو بكر بن ظاهر: العلم تعارضه الشكوك، واليقين لا شك فيه.

وعند القوم: اليقين لا يساكن قلبا فيه سكون إلى غير الله.." (ا.هـ)[(240)].

**ولن ترى بعد النبي في البشر     من ثقة من شك فيه قد كفر**

لما ذكر: أن اليقين يُتلقى من المخبر الثقة، بيّن أن أعظم الثقات، وأصدقهم حديثا، هو النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:

(**ولن ترى**) بعينيك، أو تسمع بأذنيك (**بعد النبي**) محمد صلى الله عليه وسلم (**في البشر**) وكل المخلوقات (**من ثقة**) يوازيه ثقة (**من شك فيه**) أي فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فـ(**قد كفر**).

فبان أن من شروط لا إله إلا الله: اليقين المنافي للشك. وذلك: "بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله عز وجل: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ إلى قوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحجرات: 15] فاشترط في

(240) مدارج السالكين (2/ 375).

صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي: لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين، والعياذ بالله، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**﴾ [التوبة: 45].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة"، وفي رواية: "لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة**»[241].

وفيه عنه - رضي الله عنه- من حديث طويل أن النبي - صلى الله عليه وسلم- بعثه بنعليه فقال: «**من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة**».الحديث[242]، فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنا بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط". (انتهى من المعارج).[243]

**والثالث: التصديق ركن ما أتى بلا اجتماع سابقيه يا فتى**

(241) صحيح مسلم "1/ 55-57/ ح27" كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.

(242) صحيح مسلم "1/ 59، 60/ ح31" كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا.

(243) معارج القبول بشرح سلم الوصول (2/ 419 ـ 420).

(**و**) الشرط (**الثالث**) هو (**التصديق**) المنافي للتكذيب، وهو(**ركن**) فإذا انتفى، حلّ مكانه التكذيب الذي هو كفر.

وكفر التكذيب: هو اعتقاد كذب الرسل. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "وهذا القسم قليل في الكفار، فإن الله تعالى أيد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة، قال الله تعالى عن فرعون وقومه ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ [النمل: 14] وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿**فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾ [الأنعام: 33].

وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح، إذ هو تكذيب باللسان".ا.هـ.[244]

قوله: (**ما أتى**) أي الذي أتى.

**...............................        بلا اجتماع سابقيه يا فتى**

(**بلا اجتماع سابقيه**) يعني بسابقيه: العلم واليقين. أي كل شرط على حدة، فلا يدخل العلم واليقين في التصديق، بل العلم شرط، واليقين شرط، والتصديق ركن. (**يا فتى**) الفتى: الذكر الذي قوي شبابه. ويكون من الناس ومن الإبل. والأنثى: فتاة، وقد يطلقونه صفة مدح دالة على استكمال خصال الرجل المحمودة.[245] ولعل الناظم أراد هذا المعنى الأخير. كما قال بعضهم:

---

(244) مدارج السالكين (1/ 346).

(245) التحرير والتنوير (17/ 99).

**إنَّ الْفَتى من يَقُولُ هأنذا ... لَيْسَ الفَتَى من يَقُولُ كَانَ أبي**[246]

أو أراد به الإشارة إلى الشباب الذين هم طلبة العلم، لأن غالبا ما يكون طالب العلم شابا فتى جلدا قويا. وفي التنزيل: ﴿**قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**﴾ [الأنبياء: 60]، وقال عن أصحاب الكهف: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ [الكهف: 13]

## والرابع القبول:أي ألا تُرد عبادة الإله أو حق ورد

(**و**) الشرط (**الرابع**) هو (**القبول أي**) معناه (**ألا**) أصلها " أن لا " فأدغمت اللام في النون إدغاما خالصا، و"أن" هنا مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن و"لا" ناهية (**ترد**) مجزوم بلا، والجملة خبر أن المخففة.

(**عبادة الإله**) أي القبول: هو أن لا ترد طاعة الإله، بل تمتثل لأوامره، وتجتنب زواجره (**أو**) يُرد (**حق**) لله تعالى (**وَرَد**) في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

فالقبول: المراد به لما اقتضته كلمة التوحيد بالقلب واللسان. وقد قص الله عز وجل علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء مَن قبلها، وانتقامه ممن ردها وأباها، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (24) فَانْتَقَمْنَا**

(246) الجليس الصالح الكافي (ص: 165).

**مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾** [الزخرف: 23-25] . وقال تعالى: **﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [يونس: 103] . وقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الروم: 47]، وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعده لمن ردها من العذاب كما قال تعالى: **﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (23) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾** إلى قوله: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾** [الصافات: 22-36]، فجعل الله تعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول: لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته بل قالوا إنكارا واستكبارا: **﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5) وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (6) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾** [ص: 5-7] ، وقالوا ههنا: **﴿أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾** فكذبهم الله -عز وجل- ورد ذلك عليهم عن رسوله -صلى الله عليه وسلم- فقال: **﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾** [الصافات: 37] إلى آخر الآيات. ثم قال في شأن من قبلها: **﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (40) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (41) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (42) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾** [الصافات: 41] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾** [النحل: 89].

وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت**

**الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»**[247]. (انتهى بتصرف من معارج القبول)[248].

**فتلك قول القلب ثم بعدها أعماله والنطق من أركانها**

(**فتلك**) إشارة إلى الشروط السابق ذكرها هي من (**قول القلب**) أولا (**ثم**) يأتي (**بعدها أعماله**) ولا يكفي هذا بل (**والنطق**) باللسان (**من أركانها**) الضمير يعود على كلمة التوحيد.

**ركن قيامه على القبول والانقياد فاستمع لقولي**

(**ركن**) من أركان كلمة التوحيد (**قيامه**) لا يثبت إلا (**على القبول**) وهو ضد الرد. (**و**) كذلك (**الانقياد**) المنافي للترك والإعراض، قال الله عز وجل: ﴿**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ**﴾ [الزمر: 54]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ [النساء: 125] . وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ [لقمان: 22] أي: بلا إله إلا الله ﴿**وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ ومعنى يسلم وجهه أي: ينقاد وهو محسن موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسنا فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى وهو المعني بقوله عز وجل بعد

---

(247) صحيح البخاري "1/ 175" في العلم، باب فضل من علم وعلم.

(248) معارج القبول بشرح سلم الوصول (2/ 420-421).

ذلك: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (23) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ [لقمان: 23-24]. [249].

(**فاستمع**) يا فتى (**لقولي**) في هذا النظم.

**فالانقياد، سادسا أن نلتزم　　　　شريعة الرحمن فعلا مع كلم**

(**فـ**) الشرط الخامس هو (**الانقياد**).

(**سادسا**) من شروط لا إله إلا الله (**أن نلتزم**) لا نفارق ولا نتعدى (**شريعة**) طريقة (**الرحمن**) سبحانه وتعالى. قال الجرجاني: الشريعة هي الائتمار بالتزام العبودية، وقيل: الشريعة: هي الطريق في الدين[250]. (**فعلا مع كلم**) أي أن نلتزم دين الله تعالى بأفعالنا وكلامنا. لأن الإيمان قول وعمل، كما مر بيانه وتوضيحه من قبل، خلافا للمرجئة. لذلك قال:

**وبالجَنان والجوارح انقسم　　أقوالها أعمالها فالربط تم**

(**وبالجنان**) أي بالقلب. وإنما سمي القلب بالجَنان لاستِتاره فِي الصَّدْرِ، وَقِيلَ: لِوَعْيه الأَشْياء وجَمْعِه لَهَا (**والجوارح**) جمع جارحة (**انقسم**) أي الإيمان والتوحيد (**أقوالها أعمالها**) الضمير

(249) معارج القبول بشرح سلم الوصول (2/ 421 - 422).

(250) التعريفات (ص: 127).

يعود إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، أي انقسمت إلى أقوال وأعمال، وبهذين الشرطين **(فالربط)** أي الجمع بين الأقوال والأعمال **(تم)** كمُل.

## وأنه مستلزم أن نتبع أن نقتفي الآثار لا أن نبتدع

**(وأنه)** كذلك **(مستلزم)** واجب علينا **(أن نتبع)** بالدليل و**(أن نقتفي)** تأكيد للاتباع، لأن الاقتفاء هو الاتباع. يقال: اقتفى أثره، وتقفاه: أي تبعه. وفي التنزيل: ﴿**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾ [الحديد: 27]. قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: "والتقفية: إتباع الرسول برسول آخر، مشتقة من القفا لأنه يأتي بعده فكأنه يمشي عن جهة قفاه".ا.هـ.[251]

**(الآثار)** جمع أثر، والمراد به هنا، ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الصحيحة، وأهل الحديث كلهم يطلقون الأثر على المرفوع والموقوف[252] **(لا أن نبتدع)** نخترع في الدين ما لم يأذن به الله تعالى. قال ابن مسعود قال: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم".[253] وعن شريح أنه قال: "إن السنة سبقت قياسكم فاتبعوا ولا تبتدعوا فإنكم لن تضلوا ما أخذتم بالأثر"[254].

---

(251) التحرير والتنوير (27/ 420).

(252) النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي (1/ 417).

(253) سنن الدارمي (1/ 288)، أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: 56).

(254) جامع بيان العلم وفضله (2/ 1050).

قلت: اعلم ـ رحمك الله ـ أن المراد بالبدعة هنا: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه".[255]

وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنها: **"ما لم يدل عليه دليل شرعي"**.[256]

وقد حذر صلى الله عليه وسلم من الابتداع في الدين. فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو** رد»[257]. وفي لفظ في الصحيحين: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد**».[258]

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أهل السنن عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[259].

---

(255) الاعتصام للشاطبي (1/ 50).

(256) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (2/ 95).

(257) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، الحديث رقم (1718)، (18) من أحاديث الباب (3 / 1343، 1344).

(258) صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، الحديث رقم (2697)، وصحيح مسلم، الحديث بالرقم السابق (1718).

(259) سنن أبي داود، كتاب السنّة، باب لزوم السنّة، الحديث رقم (4607)، (5 / 13)، وسنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنّة، الحديث رقم (2676)، وقال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح " (5 / 44، 45)، وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنّة الخلفاء الراشدين، الحديث رقم (42)، (1 / 15، 16)، ومسند أحمد (4 / 126، 127)، وأخرجه الحاكم في المستدرك من أكثر من طريق، (1 / 95ـ97).

والبدعة قسمان: حقيقية وإضافية.

قال العلامة الشاطبي رحمه الله: "فإن الحقيقية أعظم وزرا، لأنها التي باشرها المنتهي بغير واسطة، ولأنها مخالفة محضة وخروج عن السنة ظاهر، كالقول بالقدر، والتحسين والتقبيح، والقول بإنكار خبر الواحد، وإنكار الإجماع، وإنكار تحريم الخمر، والقول بالإمام المعصوم. . . وما أشبه ذلك.

فإذا فرضت إضافية، فمعنى الإضافية أنها مشروعة من وجه ورأي مجرد من وجه، إذ يدخلها من جهة المخترع رأي في بعض أحوالها، فلم تناف الأدلة من كل وجه".[260]

## والاتباع لازم للطاعة　　　　نعني بها تنفيذ أمر الشرعة

(**والاتباع**) لأوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (**لازم**) غير مفارق (**للطاعة**........**نعني بها**) أي بالطاعة (**تنفيذ**) امتثال وتطبيق (**أمر الشرعة**) أي أمر الشريعة الإسلامية، يقال: شرعة، وشريعة، كما في قوله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ الآية [المائدة:48] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فللتوراة شرعة، وللإنجيل شرعة، وللقرآن شرعة. فمن كان متبعا لشرع التوراة أو الإنجيل الذي لم يبدل ولم ينسخ فهو على دين الإسلام كالذين كانوا على شريعة التوراة بلا تبديل قبل مبعث المسيح عليه السلام والذين كانوا على شريعة الإنجيل بلا تبديل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما من اتبع دينا مبدلا، ما شرعه الله، أو دينا منسوخا. فهذا قد خرج عن دين الإسلام، كاليهود الذين بدلوا التوراة كذبوا المسيح عليه السلام، ثم كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم.

---

(260) الاعتصام للشاطبي (1/ 221).

والنصارى الذين بدلوا الإنجيل وكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم. فهؤلاء ليسوا على دين الإسلام الذي كان عليه الأنبياء، بل هم مخالفون لهم فيما كذبوا به من الحق وابتدعوه من الباطل.

وكذلك كل مبتدع خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذب ببعض ما جاء به من الحق، وابتدع من الباطل ما لم تشرعه الرسل. فالرسول بريء مما ابتدعه وخالفه فيه".[261]

**وسابعا قل: عمل القلب وبالـ إخلاص بعد الانقياد يكتمل**

**(و)** شرطا **(سابعا)** من شروط لا إله إلا الله **(قل)** لمن سأل عنه: إنه **(عمل القلب)** لا عمل الجوارح، وإن كانت لا تنفك عنه **(وبالإخلاص)** الذي هو: "تصفية العمل من كل شوب".[262] **(بعد الانقياد)** أي الاتباع وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي الشرعية **(يكتمل)** يتم حقيقة الإخلاص.

**فالثامن الإخلاص أي لا تنوين لغير وجه الله حين تعملن**

**(فـ)** الشرط **(الثامن)** هو **(الإخلاص)** وقد تنوعت عبارات السلف في تعريفه، منها أنه: " تصفية العمل من كل شوب". كما مر ذكره، أما الناظم فعرفه بقوله: **(أي لا تنوين)** النون هنا نون

---

(261) مجموع الفتاوى (27/ 370 ـ 371).

(262) منازل السائرين لأبي إسماعيل الهروي (ص: 40).

التوكيد الخفيفة، والنية محلها القلب، وهي القصد والعزم (**لغير وجه الله**) خالصا، كما في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص: 88].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: قال مجاهد في قوله: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾، قال: "إلا ما أريد به وجهه". وقال سفيان الثوري: "إلا ما ابتغي به وجهه". كما يقال: "ما يبقى إلا الله والعمل الصالح". وفي الحديث: «**الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالم ومتعلم**»[263].

فأي شيء قصده العبد وتوجه إليه بقلبه، أو رجاه، أو خافه، أو أحبه، أو توكل، عليه، أو والاه، فإن ذلك هالك، ولا ينفعه إلا ما كان لله"[264].

وقال أيضا رحمه الله: "وأما الإخلاص، فهو حقيقة الإسلام إذ الإسلام هو الاستسلام لله لا لغيره، كما قال تعالى: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: 29]. فمن لم يستسلم له فقد استكبر، ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك، وكل من الكبر والشرك ضد الإسلام، والإسلام ضد الشرك والكبر، وذلك في القرآن كثير". (ا.هـ)[265].

فالإخلاص ـ كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله ـ منزل من منازل: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: 5]، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: 5].

---

(263) أخرجه الترمذي (2322) وابن ماجه (4112) عن أبي هريرة. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(264) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس (5/ 264).

(265) التحفة العراقية (ص: 41).

وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (2) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 2 – 3] . وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: 14 – 15] . وقال له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162 – 163] . وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2] . قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصا، ولم يكن صوابا. لم يقبل. وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا: لم يقبل. حتى يكون خالصا صوابا، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110] . وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125] . فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله. والإحسان فيه: متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنته. وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: 23] وهي الأعمال التي كانت على غير السنة. أو أريد بها غير وجه الله. قال النبي صلى الله عليه وسلم ل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا ازْدَدْتَ دَرَجَةً وَرِفْعَةً**»[266] (انتهى من المدارج)[267].

---

(266) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة "باب قول النبي ﷺ اللهم أمض لأصحابي هجرتهم" برقم 3721.

(267) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 88ـ 89).

(**حين تعملن**) أي وقت العمل. والنون نون التوكيد الخفيفة. والمعنى أن الإخلاص هو أنك لا تنو بعملك ـ حين العمل ـ إلا وجه الله. بل على العبد أن تكون نيته خالصة لوجه الله: قبل وحين وبعد العمل.

وأما كون الإخلاص شرطا لقائل: لا إله إلا الله، فدليل ذلك ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه**»[268].

وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل**»[269].

فإذا شاب العملَ شيء غير وجه الله حبط، كما قال بعضهم:

وعـــاشر الآداب: إخــــلاص العمـــــل فلـــيس يبغــــي غـــيره عـــز وجــــل
فالالتفــــــات مبطــــــل الأعـــــمال مُصَـــــيّر الأجــــــور للـــــــزوال

قال الناظم حفظه الله:

**فعمل الجوارح الملازم للانقياد معه صدق دائم**

(268) صحيح البخاري " باب الحرص على الحديث". " باب صفة الجنة والنار".

(269) صحيح البخاري "باب المساجد في البيوت". صحيح مسلم: "باب الرخصة في التخلف عن الجماعة".

(**ف**) عطف على ما سبق، وهو كون الإخلاص، يتبعه (**عمل**) حركة (**الجوارح**) كاليد والرجل والسمع والبصر (**الملازم**) الغير المفارق (**للانقياد**) الاتباع والخضوع (**معه**) حال العمل (**صدق**) مطابق للباطن (**دائم**) غير منقطع. والمعنى: أن الإرادة الجازمة من عمل القلب ـ الذي هو محل الإخلاص ـ لابد أن يقارنه ويلازمه عمل الجوارح الظاهرة، انقيادا مصدقا لما في الباطن. ومن زعم جواز الإيمان في القلب، مع مخالفته على الجوارح، فقد وقع في بدعة الإرجاء الخبيثة. كما قال الحافظ ابن الجوزي رحمه الله: "وقالت المرجئة: إن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النار أصلا. وخالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحدين من النار.

قال ابن عقيل: ما أشبه أن يكون واضع الإرجاء زنديقا، فإن صلاح العالم بإثبات الوعيد واعتقاد الجزاء. فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع ـ لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل ـ أسقطوا فائدة الإثبات، وهي: الخشية والمراقبة. وهدموا سياسة الشرع، فهم شر طائفة على الإسلام".[270]

قال مقيده: صدق ورب الكعبة، فهم شرّ طائفة على الإسلام، كيف لا؟ وبدعتهم محبوبة لدى الطواغيت، وإليها يدعون الناس. من أمثال الفرقة الجامية في عصرنا، والمداخلة أتباع ربيع المدخلي، ومن قبلهم علي حسن حلبي ! فقد روى ابن عساكر رحمه الله، من طريق النَّضْر بن شُمَيْل قال: دخلت على المأمون، فقال: كيف أصبحت يا نضر؟ قلت: بخير يا أمير المؤمنين، فقال: ما الإرجاء؟ فقلت: "دين يوافق الملوك يصيبون به من دنياهم وينقصون به من دينهم".[271]

**فالصدق أي كن ظاهرا مطابقا     لباطن ولا تكن منافقا**

---

(270) تلبيس إبليس (ص: 76).

(271) التفسير من سنن سعيد بن منصور – محققا (المقدمة/ 32ـ 33).

(**فالصدق أي**) معناه (**كن**) أيها العبد في عملك (**ظاهرا**) بارزا جليا (**مطابقا**) موافقا (**لباطن**) خفي ساتر (**ولا تكن**) في أعمالك (**منافقا**) حيث تظهر خلاف ما تبطن.

فالصدق المنافي للكذب شرط من شروط لا إله إلا الله، ومعنى ذلك: "هو أن يقولها صدقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه، قال الله عز وجل: ﴿**الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: 1 -3] إلى آخر الآيات. وقال تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذبا: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [البقرة: 8- 11] ، وكم ذكر الله تعالى من شأنهم، وأبدى وأعاد، وكشف أستارهم وهتكها، وأبدى فضائحهم في غيرما موضع من كتابه: كالبقرة، وآل عمران، والنساء، والأنفال، والتوبة، وسورة كاملة في شأنهم - سورة المنافقون - وغير ذلك.

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار**»[272].

فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقا من قلبه، فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطأة القلب.

وفيهما أيضا من حديث أنس بن مالك وطلحة بن عبيد الله -رضي الله عنهما- من قصة الأعرابي، وهو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر لما سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن

---

(272) صحيح البخاري (1/ 38)، صحيح مسلم (1/ 61).

شرائع الإسلام فأخبره، قال: هل علي غيرها؟ قال: «**لا إلا أن تطوع**» قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أفلح إن صدق**».[273] وفي بعض الروايات: «**إن صدق ليدخلن الجنة**»[274]، فاشترط في فلاحه ودخول الجنة أن يكون صادقا". (انتهى من المعارج)[275].

وأما النفاق، فاعلم ـ رحمك الله ـ: أنه من أخطر ما يبتلى به الرجل، فعلى المؤمن أن يتفقد أحوال قلبه، لعله يكون مصابا به وهو لا يدري.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "وأما النفاق: فالداء العضال الباطن، الذي يكون الرجل ممتلئا منه، وهو لا يشعر، فإنه أمر خفي على الناس، وكثيرا ما يخفى على من تلبس به، فيزعم أنه مصلح وهو مفسد.

وهو نوعان: أكبر، وأصغر.

**فالأكبر**: يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به، لا يؤمن بأن الله تكلم بكلام أنزله على بشر جعله رسولا للناس، يهديهم بإذنه، وينذرهم بأسه، ويخوفهم عقابه.

وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين، وكشف أسرارهم في القرآن، وجلى لعباده أمورهم، ليكونوا منها ومن أهلها على حذر، وذكر طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين، فذكر في المؤمنين أربع آيات، وفي الكفار آيتين، وفي المنافقين ثلاث عشرة آية،

---

(273) صحيح البخاري (1/ 18)،(3/ 24)،(3/ 180)،(9/ 23)، صحيح مسلم (1/ 40).

(274) هذا اللفظ عند مسلم في صحيح (1/ 41) دون البخاري، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (6/ 158)، وأحمد في مسنده (19/ 442)، وغيره.

(275) معارج القبول بشرح سلم الوصول (2/ 422 ـ 423).

لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله، فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا، لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وإصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد.

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟ ! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟ ! وكم من علم له قد طمسوه؟ ! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟ ! وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها؟ ! وكم عموا عيون موارده بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟ !". [276]

فالنفاق الأكبر اعتقادي، وهو نوع من أنواع الكفر الأكبر.

وأما **النفاق الأصغر**: فهو عملي، لا يخرج من الملة، لكن يخشى على صاحبه سوء الخاتمة إذا لم يتب.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: " النفاق نفاقان: نفاق اعتقاد ونفاق عمل، فنفاق الاعتقاد هو الذي أنكره الله على المنافقين في القرآن، وأوجب لهم الدرك الأسفل من النار.

ونفاق العمل: كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»[277]. وفي الصحيح أيضا: «**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا ائتمن خان**»[278].

---

(276) مدارج السالكين (1/ 354 ـ 355).

(277) صحيح البخاري (1/ 16)، صحيح مسلم (1/ 78).

(278) صحيح البخاري (1/ 16)، صحيح مسلم (1/ 78).

فهذا نفاق عمل، قد يجتمع مع أصل الإيمان. ولكن إذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الإسلام بالكلية ـ وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ـ فإن الإيمان ينهى المؤمن عن هذه الخلال، فإذا كملت في العبد ولم يكن له ما ينهاه عن شيء منها، فهذا لايكون إلا منافقا خالصا".[279].

ومن هنا كان السلف يخشون النفاق على أنفسهم، ولا يأمنوه.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: " ومن هنا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم، وكان عمر يسأل حذيفة عن نفسه. وسئل أبو رجاء العطاردي: هل أدركت من أدركت من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخشون النفاق؟ فقال: نعم إني أدركت منهم بحمد الله صدرا حسنا، نعم شديدا، نعم شديدا. وقال البخاري في " صحيحه ": وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – كلهم يخاف النفاق على نفسه. ويذكر عن الحسن قال: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق. انتهى.

وروي عن الحسن أنه حلف: ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، وما مضى منافق قط ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن.

وكان يقول: من لم يخف النفاق، فهو منافق. وسمع رجل أبا الدرداء يتعوذ من النفاق في صلاته، فلما سلم، قال له: ما شأنك وشأن النفاق؟ فقال: اللهم غفرا – ثلاثا – لا تأمن البلاء، والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة، فينقلب عن دينه.

والآثار عن السلف في هذا كثيرة جدا. قال سفيان الثوري: خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث، فذكر منها قال: نحن نقول: نفاق وهم يقولون: لا نفاق.

وقال الأوزاعي: قد خاف عمر النفاق على نفسه، قيل له: إنهم يقولون: إن عمر لم يخف أن يكون يومئذ منافقا حتى سأل حذيفة، ولكن خاف أن يبتلى بذلك قبل أن يموت، قال: هذا قول أهل

---

(279) الصلاة وأحكام تاركها (ص: 60).

البدع. يشير إلى أن عمر كان يخاف النفاق على نفسه في الحال. والظاهر أنه أراد أن عمر كان يخاف على نفسه في الحال من النفاق الأصغر. والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريد الكفر.

وكما يخشى على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت، كذلك يخشى على من أصر على خصال النفاق أن يسلب الإيمان فيصير منافقا خالصا.

وسئل الإمام أحمد: ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ فقال: ومن يأمن على نفسه النفاق؟

وكان الحسن يسمي من ظهرت منه أوصاف النفاق العملي منافقا. وروي نحوه عن حذيفة.

وقال الشعبي: من كذب، فهو منافق. وحكى محمد بن نصر المروزي هذا القول عن فرقة من أهل الحديث، وقد سبق في أوائل الكتاب ذكر الاختلاف عن الإمام أحمد وغيره في مرتكب الكبائر: هل يسمى كافرا كفرا لا ينقل عن الملة أم لا؟ واسم الكفر أعظم من اسم النفاق، ولعل هذا هو الذي أنكره عطاء على الحسن إن صح ذلك عنه.

ومن أعظم خصال النفاق العملي: أن يعمل الإنسان عملا، ويظهر أنه قصد به الخير، وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض له سيئ فيتم له ذلك، ويتوصل بهذه الخديعة إلى غرضه، ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له على ما أظهره، وتوصل به إلى غرضه السيئ الذي أبطنه..".[280].

**تنبيه**: ذكر الناظم ـ حفظه الله ـ ثمانية شروط لكلمة التوحيد، لا تصح إلا بها:

العلم، واليقين، والتصديق أو الصدق، والقبول، والانقياد، والالتزام، وعمل القلب، والإخلاص.

---

(280) جامع العلوم والحكم تحقيق الأرنؤوط (2/ 491 ـ 493).

وبعض أهل العلم جعلها سبعة: العلم، واليقين، والقبول، والانقياد، والصدق، والإخلاص، والمحبة. نظمها العلامة أحمد حافظ حكمي رحمه الله في قوله:

| | |
|---|---|
| وبشـــروط ســـبعة قـــد قيـــدت | وفي نصـــوص الـــوحي حقـــا وردت |
| فإنـــــه لم ينتفـــــع قائلهـــــا | بـــالنطق إلا حيـــث يســـتكملها |
| العلـــم واليقـــين والقبـــول | والانقيـــاد فـــادر مـــا أقـــول |
| والصـــدق والإخـــلاص والمحبـــه | وفقـــك الله لمـــا أحبـــه[281] |

فلم يذكر الناظم شرط المحبة، لكنه أفرد الحديث عنها فيما سيأتي. مما يدل على أنها شرط، ولو لم يذكرها مع الشروط.

وكذلك الكفر بالطاغوت شرط لصحة كلمة التوحيد.

أما شرط المحبة، فنترك الحديث عنها في شرح البيت القادم.

وأما شرط الكفر بالطواغيت المعبودة من دون الله، فدليله من القرآن: قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:256]. فالجملة الأولى شرطية، وجواب الشرط قوله: ﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ ومعلوم أنه إذا انتفى الشرط انتفى مشروطه؛ ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في معنى الآية: "أي: من خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، ووحد الله فعبده وحده وشهد أن لا إله إلا هو

(281) معارج القبول بشرح سلم الوصول (1/ 32).

﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ أي: فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم".[282]

وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: 36]. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "والطاغوت اسم لكل ما عبدوه من دون الله، فكل مشرك إلهه طاغوته".[283]

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "ولو قال رجل: أنا أتبع النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الحق، لكن لا أتعرض للات والعزى، ولا أتعرض لأبي جهل وأمثاله، ما عليَّ منهم؟ لم يصح إسلامه.

وأما مجادلة بعض المشركين بأن هؤلاء الطواغيت ـ يشير إلى حكام عصره ـ ما أمروا الناس بهذا، ولا رضوا به، فهذا لا يقوله إلا مشرك مكابر، فإن هؤلاء ما أكلوا أموال الناس بالباطل ولا ترأسوا عليهم، ولا قربوا ما قربوا إلا بهذا، وإذا رأوا رجلا موحدا منكرا لهذا الشرك سبوه وآذوه، وإذا رأوا مشركا كافرا تابعا للشيطان قربوه وأحبوه وزوجوه بناتهم وعَدُّوا ذلك شرفًا".[284]

وأما الدليل من السنة: فعن أبي مالك، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله**»[285].

---

(282) تفسير ابن كثير (1/ 683).

(283) مدارج السالكين (3/ 447).

(284) الجواهر المضية (ص: 21).

(285) صحيح مسلم (1/ 53).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "وهذا من أعظم ما يبين معنى " لا إله إلا الله "، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله؛ فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه.

فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها! ويا له من بيان ما أوضحه! وحجة ما أقطعها للمنازع!".[286]

وأما الطاغوت، فهو ـ كما قال ابن القيم رحمه الله ـ: " والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين الفائزين من هذه الأمة – وهم الصحابة ومن تبعهم – ولا قصدوا قصدهم، بل خالفوهم في الطريق والقصد معا".[287]

---

(286) التوحيد لابن عبد الوهاب (ص: 26).

(287) إعلام الموقعين عن رب العالمين (1/ 40).

## المحبَّةُ وأَنواعُهَا

وَاذكرْ أهمَّ شرطِ المحبَّةْ تَعَلُّقُ القلوبِ بالأَحِبَّةْ

لما كانت المحبة شرطا في قبول كلمة التوحيد، بيّن الناظم ـ حفظه الله ـ أنها أنواع، ليميز العبد بين المحبة المشروعة، والمحبة المحرمة، والمحبة الطبيعية. فقال:

واذكر أهم شرط المحبة تعلق القلوب بالأحبة

فقال: (**واذكر**) أيها المؤمن الموحد (**أهم شرط**) من شروط كلمة التوحيد، وهي (**المحبة**) من الحب، وهو نقيض البغض، واشتقاقه من أحبه إذا لزمه. والمحب: البعير الذي يحسر فيلزم مكانه. قال:

**جَبَّتْ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بَالسَّبَبْ فَهُنَّ بَعْدُ كُلُّهُنَّ كَالْمُحِبْ** (288)

وقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في معنى المحبة: ثلاثين عبارة لبيان حدّها وآثارها وشواهدها، فقال في الثلاثين: " وهو من أجمع ما قيل فيها، قال أبو بكر الكتاني: جرت مسألة في المحبة بمكة - أعزها الله تعالى - أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها. وكان الجنيد(289) أصغرهم سنا. فقالوا: هات ما عندك يا عراقي. فأطرق رأسه، ودمعت عيناه. ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هيبته. وصفا شربه من كأس وده. وانكشف له الجبار من أستار غيبه. فإن تكلم فبالله. وإن نطق فعن الله. وإن تحرك فبأمر الله. وإن سكن فمع الله. فهو بالله ولله ومع الله.

فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد. جزاك الله يا تاج العارفين". (290)

---

(288) مقاييس اللغة (2/ 26).

(289) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي، القواريري. شيخ الصوفية. لكنه كان على مذهب أهل السنة رحمه الله، (انظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (14/ 66). واستدل شيخ الإسلام ابن تيمية بكلامه على المخالفين في غير موضع من كتبه خاصة كتاب: الاستقامة. ومجموع الفتاوى.

(290) مدارج السالكين (3/ 18).

وعرفها الناظم بقوله: **(تعلق القلوب بالأحبة)** جمع حبيب. والتعلق ـ هنا ـ من العلاقة، وهي: الحبُّ اللازمُ للقلب[291]. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث السبعة الذين يظلهم الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**ورجل معلق قلبه بالمساجد**». الحديث.[292]

أما دليل شرط المحبة: فمنه قوله عز وجل: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾ [البقرة: 165]، وقوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾ [المائدة: 54] ، فأخبرنا الله -عز وجل- أن عباده المؤمنين أشد حبا له؛ وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدا كما فعل مدعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله -صلى الله عليه وسلم- واقتفاء أثره وقبول هداه. وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم وجود شرط منها، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا**﴾ [الفرقان: 43] الآيات. وقال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ**﴾ [الجاثية: 23] ، فكل من عبد مع الله غيره فهو في الحقيقة عبد لهواه، بل كل ما عصى الله به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه على أوامر الله -عز وجل- ونواهيه. وقال تعالى في شأن الموالاة والمعاداة فيه: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ**

---

(291) الغريب المصنف (2/ 411).

(292) هذا لفظ البيهقي في شعب الإيمان (2/ 79)، وأصله في صحيح البخاري (1/ 133)، وصحيح مسلم (2/ 715). بلفظ: "وقلبه معلق في المساجد". شبه قلبه المحب بالقنديل المعلق في المساجد.

**حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾** [الممتحنة: 4] الآيات، وقال تعالى: **﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾** [المجادلة: 22] الآية. وقال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾** [المائدة: 51] الآيات. وقال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [التوبة: 23-24] الآيتين. وقال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾** [الممتحنة: 1] إلى آخر السورة وغير ذلك من الآيات.

وقال تعالى في اشتراط اتباع رسوله، صلى الله عليه وسلم: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾** [آل عمران: 31-32].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**» أخرجاه من حديث أنس رضي الله عنه.

وفيهما عنه وعن أبي هريرة -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**». (ا.هـ من المعارج)[293].

---

(293) معارج القبول بشرح سلم الوصول (2/ 424 ـ 425).

## المحبَّةُ الشرعيَّةُ؛ علاماتها، وأسبابها

شرعيَّةٌ قلْ أوَّلُ التَّقسيمِ محبَّةُ اللهِ معَ التَّعظيمِ
معناهُ أنْ تَلِيْقَ بالجَلالِ جلالِ ربِّنا وَبالكمالِ
وَإنْ سُئِلْتَ: هلْ لها علامةٌ؟ فقلْ: موالاةٌ بَدَتْ وَطاعةٌ
وَربُّنا نحبُّهُ لِذاتهِ مُنَزَّهٌ لا نقصَ في صِفَاتهِ
85وَعَمَّ كلَّ الخَلْقِ بالإحسانِ وَأَنْعُمٍ مِنْ فَضلِهِ المَنَّانِ

لما كانت المحبة أنواعا، بدأ بالمحبة: الشرعية المرضية، وذكر علاماتها وأسبابها. فقال:

**شرعية قل أول التقسيم محبة الله مع التعظيم**
**معناه أن تليق بالجلال جلال ربنا وبالكمال**

(**شرعية**) أي المحبة الشرعية، إن سئلت عنها فـ(**قل**) هي (**أول التقسيم**) من بين أقسامها. وأما صورتُها فهي (**محبة الله**) جل وعلا (**مع التعظيم**) أي حب مقرون بالتعظيم.

و(**معناه**) أي القسم الأول الذي هو: محبة الله مع التعظيم (**أن تليق**) تصلُح وتكون مناسبة (**بالجلال**) والجلال من الصفات: هو ما يتعلق بالقهر والغضب[294]. وجلال الله: عظمته، ولا يقال

(294) التعريفات (ص: 77).

الجلال إلا لله. والجليل: من صفات الله تقدس وتعالى.[295] **(جلال)** بدل من الجلال الأولى **(ربنا)** سبحانه **(و)** تليق كذلك **(بالكمال)** لله تعالى.

## وإن سئلت: هل لها علامة فقل: موالاة بدت وطاعة

**(وإن سئلت)** مبني بناء ما لم يسم فاعله **(هل لها)** المحبة الشرعية **(علامة)** أمارة **(فقل)** أجل: علامة ذلك **(موالاة)** الموالاة على وجوه، قال ابن الأعرابي: الموالاة أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه، ووالى فلان فلانا إذا أحبه، قال الأزهري: وللموالاة معنى ثالث، سمعت العرب تقول: والوا حواشي نعمكم عن جلتها أي: اعزلوا صغارها عن كبارها، وقد واليناها فتوالت إذا تميزت.[296] والمراد بها هنا: مناصرة ومحبة الله ورسوله والمؤمنين **(بدت)** ظهرت على الجوارح **(وطاعة)** لله تعالى، ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

والمعنى: أن المحبة الشرعية تقتضي من المحب موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ولا تكتمل إلا بمعاداة أعداء الله تعالى ورسوله والمؤمنين.

وفي هذا يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: " فلا تصح الموالاة إلا بالمعاداة كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين أنه قال لقومه: ﴿**قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء: 75 - 77].

---

(295) لسان العرب (11/ 116).

(296) لسان العرب (15/ 409).

فلم يصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة، فإنه لا ولاء إلا بالبراءة من كل معبود سواه، قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ [الممتحنة: 4].

وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (26) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (27) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الزخرف: 26 - 28].

أي جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض وهي كلمة: لا إله إلا الله، وهي التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة".[297]

وقال رحمه الله في موضع آخر: " فإن الموالاة أصلها الحب، والمعاداة أصلها البغض، فإنكار صفة المحبة والكراهة، إنكار لحقيقة الموالاة والمعاداة".[298]

وسيأتي ذكر معنى الموالاة في النظم لاحقا.

**وربنا نحبه لذاته　　　　منزه لا نقص في صفاته**

(297) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: 195).

(298) مدارج السالكين (1/ 268).

**(وربنا)** جل جلاله **(نحبه)** سبحانه **(لذاته)** عز وجل، وقد بوب البخاري: باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله. وقال خبيب: "وذلك في ذات الإله فذكر الذات باسمه تعالى"[299].

ولما كانت للمخلوقات ذوات، بيّن أو ذات الله تعالى ليست كذوات مخلوقاته، فهو سبحانه **(منزه)** التنزيه: عبارة عن تبعيد الرب عن أوصاف البشر[300]. **(لا نقص)** أو عيب **(في صفاته)** سبحانه، بل هي على الكمال والجمال والجلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب إثباته له من صفات الكمال، وينفي عنه ما يجب نفيه عنه مما يضادّ هذه الحال. ولا بدّ له في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره، فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته، وعموم مشيئته، ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه، من القول والعمل، ويؤمن بشرعه وقدره إيمانا خاليا من الزلل"[301].

وقال في موضع آخر رحمه الله: " كما أن حقيقة ذات الله ليست مثل ذاتنا، فليس هو مماثلًا لنا: لا لذاتنا، ولا لأرواحنا، وصفاته كذاته"[302].

فمحبة العبد الشرعية لربه تعالى لابد أن تكون على هذا الوجه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وهذه المحبة حق كما نطق بها الكتاب والسنة. والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة والحديث وجميع مشايخ الدين وأئمة التصوف: أن الله محبوب لذاته محبة حقيقية، بل هي

---

(299) صحيح البخاري (9/ 120).

(300) التعريفات (ص: 67).

(301) التدمرية(ص: 4).

(302) الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال (ص: 53).

أكمل محبة. فإنها كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾ [البقرة: 165]. وكذلك هو سبحانه يحب ما يحب عباده المؤمنون، وما هو في الله محبة حقيقية".[303]

وقال في موضع آخر: " والإله: هو المألوه الذي تألهه القلوب، وكونه يستحق الإلهية مستلزم لصفات الكمال، فلا يستحق أن يكون معبودا محبوبا لذاته إلا هو، وكل عمل لا يراد به وجهه فهو باطل، وعبادة غيره وحب غيره يوجب الفساد، كما قال تعالى ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء: 22]".[304]

وقال أيضا: " واسم المحبة فيه إطلاق وعموم، فإن المؤمن يحب الله ويحب رسله وأنبياءه وعباده المؤمنين، وإن كان ذلك من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره. فلهذا جاءت محبة الله مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة والإنابة إليه والتبتل له ونحو ذلك. فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى، ثم إنه كما بين أن محبته أصل الدين، فقد بين أن كمال الدين بكمالها ونقصه بنقصها. فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**».[305] فأخبر أن الجهاد ذورة سنام العمل، وهو أعلاه وأشرفه. وقد قال تعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [التوبة: 19].

---

(303) التحفة العراقية (ص: 68).

(304) اقتضاء الصراط المستقيم (2/ 387).

(305) مسند أحمد (36/ 345)، سنن الترمذي(4/ 308).

والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة، وقد ثبت أنه أفضل ما تطوع به العبد. والجهاد دليل المحبة الكاملة، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: 24].

وقال تعالى في صفة المحبين المحبوبين: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾الآية [المائدة: 54].

فإن المحبة مستلزمة للجهاد، ولأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يوالي محبوبه، ويعادي من يعاديه، ويرض لرضاه ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما نهى عنه، فهو موافق في ذلك".[306]

**وعمّ كل الخلق بالإحسان　　　　وأنعُم من فضله المنان**

(**وعم**) شمل سبحانه (**كل الخلق**) بلا استثناء (**بالإحسان**) إليهم (**و**) بـ (**أنعم**) جمع نعمة ـ بكسر النون ـ وهي ما يقصد به الإحسان والنفي، لا لغرض ولا لعوض. قاله الجرجاني رحمه الله،[307]

---

(306) التحفة العراقية (ص: 63 : 64).

(307) التعريفات (ص: 242).

وهو ضد البأساء والبؤسى[308] **(من فضله)** الفائض وكرمه وعطائه **(المنان)** المعطي ابتداء، ولله المنة على عباده، ولا منة لأحد منهم عليه، تعالى الله علوا كبيرا[309].

## المحبةُ الشِّركيَّة

**وَبعضُها شركيَّةٌ كُنْ عالِمَا كَمَنْ يُحِبُّ غيرَهُ مُعَظِّمَا**
**بِصَرْفِهِ الكمالَ أو صرفِ النِّعَمْ لِغَيرِ ربِّهِ، لِنفسهِ ظَلَمْ**
**فاعرفْهُ مِنْ وَلائهِ وَطاعتِهْ لِغَيرِ ربِّهِ معًا وَنُصْرَتِهِ**

بعدما ذكر ـ الناظم ـ المحبة الشرعية، انتقل إلى بيان المحبة الشركية، فقال:

**وبعضها شركية كن عالما كمن يحب غيره معظما**

**(وبعضها)** أي المحبة **(شركية)** حيث يشرك المحب فيها مع الله غيره **(كن)** أي الموحد حذرا **(عالما)** بها، وذلك **(كمن يحب)** مع الله جل وعلا **(غيره)** من المخلوقات، من الإنس، أو الجن، أو الملائكة، أو الأنهار، أو الجبال، أو النجوم والكواكب، أو غيرها **(معظما)** لها.

---

(308) لسان العرب (12/ 579).

(309) المصدر نفسه (13/ 418).

**بصرفه الكمال أو صرف النعم          لغير ربه لنفسه ظلم**

(**بصرفه الكمال**) الباء سببية، وصرف الشيء: أعمله في غير وجه كأنه يصرفه عن وجه إلى وجه[310] والمعنى: أن المحبة الشركية تكون بسبب صرف صفة الكمال والجلال لله تعالى لغيره من مخلوقاته، فهذا شرك المحبة (**أو**) كذلك (**صرف النعم**) لغير (**ربه**) بأن يعتقد العبد أن نعمة من النعم أتته من مخلوق سوى الله المنعم، فهذا (**لنفسه**) متعلق بـ(**ظلم**) أي نفسَه ظلم، وتقديم المعمول يفيد الحصر. كقوله تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [البقرة: 57].

**فاعرفه من ولائه وطاعته   لغير ربه معا ونصرته**

(**فاعرفه**) الضمير يعود إلى شرك المحبة، أي: اعرف أيها الموحد شرك المحبة، واحذر أن تقع فيه، فيمكنك أن تعرف صاحبه (**من**) خلال (**ولائه**) حبه (**وطاعته**) إذعانه وخضوعه وتسليمه وتعظيمه (**لغير ربه**) المستحق لذلك (**معا**) حيث يجمع بين الولاء والطاعة لغير ربه (**و**) يزيد عليهما (**نصرته**) لغير الله تعالى.

فمن اتصف بهذه الأوصاف، وصرف ولاءه وطاعته ونصرته لغير الله تعالى فقد وقع في شرك المحبة.

وقد فصل العلامة ابن القيم رحمه الله أنواع المحبة فقال: "وهاهنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها.

---

(310) لسان العرب (9/ 189).

**أحدها:** محبة الله، ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

**الثاني:** محبة ما يحب الله، وهذه هي التي تدخله في الإسلام، وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.

**الثالث:** الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحب، ولا تستقيم محبة ما يحب إلا فيه وله.

**الرابع:** المحبة مع الله، وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئا مع الله لا لله، ولا من أجله، ولا فيه، فقد اتخذه ندا من دون الله، وهذه محبة المشركين.

وبقي قسم خامس ليس مما نحن فيه: وهي المحبة الطبيعية، وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد، فتلك لا تذم إلا إذا ألهت عن ذكر الله، وشغلت عن محبته، كما قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [المنافقون: 9] .

وقال تعالى ﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [النور: 37]". [311]

(311) الجواب الكافي (ص: 189- 190).

## المحبّةُ في اللهِ تَعَالَى

وَثالثًا: في اللهِ صارَ قُرْبَةً لِمَنْ أحبَّ المؤمنِينَ ذِلَّةً
معناهُ: أخذُ الحقِّ مِنْ صغيرِهِمْ أو مِنْ كبيرِهِمْ وَيُعْطِهِ لَهُمْ
وَاسْتَلْزَمَتْ بُغْضًا لكلِّ كافرِ فاللهُ لا يُحِبُّ كلَّ فاجرِ
وَالمؤمنونَ حُبُّهمْ معًا وَجَبْ وَحُبُّهمْ على الخصوصِ مُسْتَحَبْ

**وثالثا: في الله صار قربة لمن أحب المؤمنين ذلة**

**(وثالثا)** من أقسام المحبة: المحبة **(في الله)** جل وعلا ولله، وهي تستلزم محبة ما أحب الله، وتستلزم محبة الله ورسوله[312]. وفي الحديث: «**المرء مع من أحب ولك ما احتسبت**»[313].

وعن أبي وائل، قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المرء مع من أحب**»[314].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وهذا الحديث حق فإن كون المحب مع المحبوب أمر فطري لا يكون غير ذلك وكونه معه هو على محبته إياه فإن كانت المحبة متوسطة أو قريبا من

---

(312) الطب النبوي لابن القيم (ص: 203).

(313) سلسلة الأحاديث الصحيحة (7/ 764).

(314) صحيح البخاري (8/ 39) صحيح مسلم (4/ 2034).

ذلك كان معه بحسب ذلك وإن كانت المحبة كاملة كان معه كذلك والمحبة الكاملة تجب معها الموافقة للمحبوب في محابه إذا كان المحب قادرا عليها فحيث تخلفت الموافقة مع القدرة يكون قد نقص من المحبة بقدر ذلك وإن كانت موجودة. وحب الشيء وإرادته يستلزم بغض ضده وكراهته مع العلم بالتضاد؛ ولهذا قال تعالى﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [المجادلة: 22]، والموادة من أعمال القلوب. فإن الإيمان بالله يستلزم مودته ومودة رسوله، وذلك يناقض موادة من حاد الله ورسوله. وما ناقض الإيمان فإنه يستلزم العزم والعقاب؛ لأجل عدم الإيمان". [315].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يقول يوم القيامة: «**أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**». [316]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الشهداء والأنبياء يوم القيامة؛ لقربهم من الله تعالى ومجلسهم منه**». فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله**!** صفهم لنا، وجلهم لنا؟**!** قال: «**قوم من أفناء الناس؛ من نزاع القبائل، تصادقوا في الله، وتحابوا فيه، يضع الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور، يخاف الناس ولا يخافون، هم أولياء الله عز وجل الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**». [317]

---

(315) مجموع الفتاوى (10/ 752 ـ 753).

(316) صحيح مسلم (4/ 1988).

(317) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (7/ 1368).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**قال الله تعالى: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**».[318]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فمحبة ما يحبه الله لله، من الأعيان والأعمال من تمام محبة الله، وهو الحب في الله ولله. وإن كان كثير من الناس يغلط في معرفة كثير من ذلك، أو وجوده. فيظن في أنواع من المحبة أنها محبة الله، ولا تكون لله. ويظن وجود المحبة لله في أمور،، ولا تكون المحبة لله موجودة بل قد يعتقد وجود المحبة لله وتكون معدومة. وقد يعتقد في بعض الحب أنه لله ولا يكون لله. كما يعتقد وجود العلم أو العبادة أو غير ذلك من الصفات في بعض الأشخاص والأحوال ولا يكون ثابتا. وقد يعتقد في كثير من الأعمال أنه معمول لله ولا يكون لله.

فمحبة ما يحبه الله من الأعمال الباطنة والظاهرة ـ وهي الواجبات والمستحبات ـ إذا أحببت لله كان ذلك من محبة الله، ولهذا يوجب ذلك محبة الله لعبده".[319]

هذا الحب في الله (**صار قربة**) يتقرب بها العبد إلى ربه (**لمن أحب المؤمنين**) الموحدين، وحاله (**ذلة**) كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: 54].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: " فقد ذكر لهم أربع علامات أحدها: أنهم أذلة على المؤمنين قيل: معناه أرقاء، رحماء مشفقون عليهم. عاطفون عليهم. فلما ضمن أذلة هذا المعنى عداه بأداة "

---

(318) صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 795).

(319) قاعدة في المحبة (ص: 70ـ 71).

على ". قال عطاء: للمؤمنين كالولد لوالده، والعبد لسيده. وعلى الكافرين كالأسد على فريسته[320] ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29].

**العلامة الثالثة**: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد، واللسان والمال، وذلك تحقيق دعوى المحبة.

**العلامة الرابعة**: أنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم. وهذا علامة صحة المحبة فكل محب يأخذه اللوم عن محبوبه فليس بمحب على الحقيقة. كما قيل:

**لا كان من لسواك فيه بقية ... يجد السبيل بها إليه اللوم"**. (ا.هـ)[321]

**معناه: أخذ الحق من صغيرهم أو من كبيرهم ويعطه لهم**

**(معناه)** أي الحب في الله **(أخذ الحق من صغيرهم)** في السن أو المكانة **(أو من كبيرهم)** كذلك، من المؤمنين لا فرق بينهم **(ويعطه)** الحاكم **(لهم)** لمن يستحقه منهم.

**واستلزمت بغضا لكل كافر فالله لا يحب كل فاجر**

---

(320) لم يذكر رحمه الله العلامة الثانية: فإما أن تكون هذه هي العلامة الثانية. وإما المراد بها قوله تعالى: (يحبهم ويحبونه). والله أعلم.

(321) مدارج السالكين (3/ 22 ـ 23).

**(واستلزمت)** المحبة في الله **(بغضا)** وكرها **(لكل كافر)** بالله جل وعلا **(فالله)** تعالى **(لا يحب)** بل يبغض **(كل فاجر)** منبعث في المعاصي، يقال: أفجر الرجل، أي عصى وكفر.[322]

قال ابن القيم رحمه الله: "فالولاية أصلها الحب، فلا موالاة إلا بحب، كما أن العداوة أصلها البغض، والله ولي الذين آمنوا وهم أولياؤه، فهم يوالونه بمحبتهم له، وهو يواليهم بمحبته لهم، فالله يوالي عبده المؤمن بحسب محبته له.

ولهذا أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه أولياء، بخلاف من والى أولياءه، فإنه لم يتخذهم من دونه، بل موالاته لهم من تمام موالاته.

وقد أنكر على من سوى بينه وبين غيره في المحبة، وأخبر أن من فعل ذلك فقد اتخذ من دونه أندادا يحبهم كحب الله، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾ [البقرة: 165].

وأخبر عمن سوى بينه وبين الأنداد في الحب، أنهم يقولون في النار لمعبوديهم: ﴿**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء: 97 - 98].

وبهذا التوحيد في الحب أرسل الله سبحانه جميع رسله، وأنزل جميع كتبه، وأطبقت عليه دعوة جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، ولأجله خلقت السماوات والأرض والجنة والنار، فجعل الجنة لأهله، والنار للمشركين به فيه.

وقد أقسم النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه: «**لا يؤمن عبد حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[323]، فكيف بمحبة الرب جل جلاله؟

---

(322) لسان العرب (5/ 46).

وقال لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «**لا، حتى أكون أحب إليك من نفسك**». أي لا تؤمن حتى تصل محبتك إلى هذه الغاية".[324]

وقال أيضا: " فمحب الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته وإجلاله، وإذا خلا قلبه من الغيرة لله ولرسوله فهو من المحبة أخلى وإن زعم أنه من المحبين، فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غيره ينتهك حرمة محبوبه، ويسعى في أذاه ومساخطه، ويستهين بحقه ويستخف بأمره، وهو لا يغار لذلك، بل قلبه بارد. فكيف يصح لعبد أن يدعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه إذا انتهكت، ولا لحقوقه إذا ضيعت !؟ وأقل الأقسام أن يغار له من نفسه وهواه وشيطانه، فيغار لمحبوبه من تفريطه في حقه وارتكابه لمعصيته.

وإذا ترحلت هذه الغيرة من القلب ترحلت منه المحبة، بل ترحّل منه الدين، وإن بقيت فيه آثاره. وهذه الغيرة هي أصل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الحاملة على ذلك. فإن خلت من القلب لم يجاهد ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر".[325]

وقال ابن الحاج المالكي رحمه الله: "واجب على كل مسلم أن يبغض في الله من يكفر به".[326]

وقال الشيخ عليش المالكي رحمه الله: "نفوس المسلمين مجبولة على بغض الكافرين".[327]

---

(323) رواه الحاكم، وصححه الألباني انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (2/ 66).

(324) الجواب الكافي (ص: 229).

(325) روضة المحبين (ص: 274).

(326) المدخل، لابن الحاج:2/ 47.

(327) منح الجليل:3/ 150.

## والمؤمنون حبهم معا وجب وحبهم على الخصوص مستحب

**(والمؤمنون حبهم معا)** فيما بينهم على العموم **(وجب)** علينا، فإنه من صحة الإيمان، ومستلزم للولاء **(وحبهم على الخصوص)** بالتعيين **(مستحب)** غير واجب.

واعلم ـ فتح الله لي ولك ـ: أن حب المؤمنين يتفاوت حسب إيمانهم، وجهادهم. وفي هذا يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: "ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان".[328]

(328) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: 81 ـ 81).

## المحبةُ الفاسِدَةُ

وَاذكرْ محبَّةَ الحرامِ الفاسدهْ أوِ القبيحِ، ما لها مِنْ فائدهْ
وَمِنْ فسادِ فطرةٍ أتتْ وَهلْ فسادُها إلَّا مِنَ المحيطِ حَلْ؟
وَإنْ خَلا مِنِ اعتقادِ ما بَطَلْ قلبٌ إذًا صلاحُ فطرةٍ حَصَلْ
وَقلْ قبيحٌ كلُّ ما قدْ حُرِّما وَالعكسُ ليسَ بالصَّحيحِ دائما

النوع الرابع من أنواع المحبة: المحبة الفاسدة. وقد بينها الناظم بقوله:

**واذكر محبة الحرام الفاسده أو القبيح ما لها من فائده**

(**واذكر**) أيها الموحد، أن من أنواع المحبة (**محبة**) ارتكاب (**الحرام**) الذي حرمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (**الفاسدة**) ضد المحبة الشرعية الصالحة والمرضية (**أو**) محبة فعل أو قول (**القبيح**) وهو ما يكون متعلق الذم في العاجل، والعقاب في الآجل[329].

يقول ابن القيم رحمه الله: " أصل كل خير وسعادة للعبد، بل لكل حى ناطق: كمال حياته ونوره. فالحياة والنور مادة الخير كله، قال الله تعالى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ كَمن مَثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بخَارِجٍ مِنْهَا**﴾ [الأنعام: 122].

(329) التعريفات (ص: 172).

فجمع بين الأصلين: الحياة، والنور، فبالحياة تكون قوته، وسمعه وبصره، وحياؤه وعفته، وشجاعته وصبره، وسائر أخلاقه الفاضلة، ومحبته للحسن، وبغضه للقبيح. فكلما قويت حياته قويت فيه هذه الصفات، وإذا ضعفت حياته ضعفت فيه هذه الصفات، وحياؤه من القبائح هو بحسب حياته فى نفسه، فالقلب الصحيح الحى إذا عرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه: "هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف وينكر به المنكر".[330]

**(ما لها)** ليس لها أي هذه المحبة **(من)** أدنى **(فائدة)** نفع في الدنيا ولا في الآخرة.

## ومن فساد فطرة أتت وهل فسادها إلا من المحيط حل؟

(و) هذه المحبة الفاسدة **(من)** سببية، كقوله تعالى: ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾ [البقرة: 19] أي: يجعلون أصابعهم في آذانهم بسبب الصواعق. فهذه المحبة تأتي بسبب **(فساد)** الفساد نقيض الصلاح **(فطرة)** خلقة **(أتت)** أي المحبة الفاسدة. والمعنى: أن محبة الحرام والقبيح، إنما أتت بسبب فطرة العبد التي فسدت، وانتكست، وإلا فإن الفطرة التي فطرنا الله تعالى عليها فطرة سليمة طيبة. هي الإسلام. كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من**

---

(330) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1/ 20).

**جدعاء»**، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿**فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الروم: 30] الآية.[331]

**(وهل)** استفهامية بمعنى النفي، والتقدير: وليس **(فسادها)** أي الفطرة **(إلا من)** سببية، أي بسبب **(المحيط)** الوسط **(حل)** نزل. والمعنى: أن سبب فساد الفطرة إنما أتى من المحيط والوسط الذي يعيش فيه المرء، فإنه يتأثر به، فيؤثر في الفطرة سلبا وإيجابا. ولذا جاء في حديث الذي قتل توبة مائة نفس، أن العالم قال له: " انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء". الحديث.[332]

**وإن خلا من اعتقاد ما بطل قلب إذا صلاح فطرة حصل**

**(وإن خلا من اعتقاد ما بطل قلب)** جملة شرطية، فيها تقديم وتأخير. والأصل: وإن خلا قلب من اعقاد ما بطل من الاعتقادات الضالة والفاسدة، فلم يكن فيه شيء منها **(إذا)** حرف جزاء وجواب **(صلاح فطرة حصل)** أي: حصل للقلب صلاح الفطرة السليمة.

**وقل قبيح كل ما قد حرما      والعكس ليس بالصحيح دائما**

(331) صحيح البخاري (2/ 95) صحيح مسلم (4/ 2047).

(332) صحيح البخاري (4/ 174)، وصحيح مسلم واللفظ له (4/ 2118).

**(وقل)** لمن سأل عن **(قبيح)** إنه **(كل ما قد حرما)** الألف للإطلاق. أي: القبيح هو كل ما حرمه الله تعالى أو رسوله صله صلى الله عليه وسلم **(والعكس)** كل حرام قبيح **(ليس بالصحيح دائما)** على الإطلاق. أي: ليس كل ما حرمه الله يكون قبيحا، بل قد يحرمه عبادة أو عقوبة، أو يحرم تحريم الوسائل فيحرم في وقت، ويباح في وقت.

فأما العبادة: فكتحريم الأكل والشرب والجماع نهار رمضان.

وأما العقوبة: فكقوله تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ**﴾ [النساء: 160]. إلا أن العقوبة بتحريم الطيبات لم يكتبها الله جل وعلا على أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلا وشرعا، أما الشرع فما ذكرنا من هذه الأحاديث وغيرها، وأما العقل، فهو أن الله سبحانه إنما حرمه لخبثه، فإنه لم يحرم على هذه الأمة طيبا عقوبة لها، كما حرمه على بني إسرائيل بقوله: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ**﴾ [النساء: 160]. وإنما حرم على هذه الأمة ما حرم لخبثه، وتحريمه له حمية لهم، وصيانة عن تناوله، فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل، فإنه وإن أثر في إزالتها، لكنه يعقب سقما أعظم منه في القلب بقوة الخبث الذي فيه، فيكون المداوى به قد سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب".[333]

وأما ما يحرم تحريم الوسائل: فيقول ابن القيم رحمه الله: " ولما كان النظر من أقرب الوسائل إلى المحرم، اقتضت الشريعة تحريمه وأباحته في موضع الحاجة. وهذا شأن كل ما حرم تحريم الوسائل، فإنه يباح للمصلحة الراجحة. كما حرمت الصلاة في أوقات النهي لئلا تكون وسيلة إلى

---

(333) الطب النبوي لابن القيم (ص: 115).

التشبه بالكفار في سجودهم للشمس، أبيحت للمصلحة الراجحة: كقضاء الفوائت وصلاة الجنازة وفعل ذوات الأسباب".[334]

---

(334) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: 95).

# المحبةُ الطَّبيعيَّة

وَاذكرْ محبَّةً مِنَ الطَّبيعةِ عندَ الورى مَجْبُولَةً بالفِطْرَةِ
ليستْ لتعظيمٍ وَلا لِذِلَّةٍ وَلا فسادٍ، إنَّما لِحاجةِ
بِقَدْرِ حاجةٍ يكونُ حجمُها وَحكمُ علمٍ زائلٍ كَحُكْمِها

النوع الخامس من أنواع المحبة: المحبة الطبييعية. وعرفها الناظم بقوله:

**واذكر محبة من الطبيعة عند الورى مجبولة بالفطرة**

(**واذكر**) أيها الموحد (**محبة من**) أنواع المحبة (**الطبيعة**) الخليقة والسجية (**عند الورى**) الخلق (**مجبولة**) مخلوقة (**بالفطرة**) بالخلقة. أي: هذه المحبة متمكنة في نفوس الخلائق بالسجية، فلا محيد عنها. لذا قال:

**ليست لتعظيم ولا لذلة ولا فساد إنما لحاجة**

(**ليست**) هذه المحبة الطبيعية (**لتعظيم**) محبوب (**ولا لـ**) أجل (**ذلة**) هوان (**ولا**) لدافع (**فساد**) قبح (**وإنما لـ**) أجل (**حاجة**) في نفس المحب.

**بقدر حاجة يكون حجمها وحكم علم زائل كحكمها**

ولذلك (**بقدر حاجة**) هذا الحب الطبيعي (**يكون حجمها**) أي المحبة الطبيعية، فإنها تختلف باختلاف حجمها، أي على حسب قدرها. فمحبة الوالدين ـ مثلا ـ ليست في حجم وقدر محبة الزوج لزوجته، وكذلك حجم محبة الأولاد، ليس في حجم محبة البلد مسقط الرأس، وهكذا في كل محبوب بالفطرة (**وحكم علم زائل**) ذاهب ومنته (**كـ**) شبيها في (**حكمها**) حكم المحبة الطبيعية. والمعنى: أن الحكم الشرعي فيما يتعلق بالعلم الزائل، الذي يزول وينتهي، هو نفسه الحكم الشرعي للمحبة الطبيعية، وهو: الإباحة. لأنه أمر جبلي، كالرغبة في الطعام والشراب والنوم، فيدخل في حكم المباح، إلا إن صاحبته نية الطاعة والقرب إلى الله تعالى، فحينها يكون أجرا وثوابا، كمن أكل بنية التقوي على الجهاد، أو قال[335] بنية قيام الليل، أو فرق شعره عند تمشيطه تشبها بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهذه أمور جبلية من العادة البشرية، تنقلب عبادة بالنية الصادقة الصالحة. وكذلك الحب الطبيعي، قد ينقلب قربة حين تصاحبه نية التقرب إلى الله تعالى.

ثم قد يحب الشخص شخصا لإحسانه، فإذا انقطع إحسانه زال حبه، أو يحبه لحسن مظهره، فإذا ساء أعرض عنه.

والسبب في ذلك: أن المحبة الطبيعية متوقفة على ما تحبه النفس البشرية من المظاهر، فإذا زالت توقفت المحبة. ولذا يستوى في هذه المحبة كل من المسلم والكافر، واليهودي والنصراني، والمجوسي والملحد، لا فرق بين أحد من هؤلاء في هذه المحبة. إلا أن تصاحبها نية المؤمن الموحد فتغيرها، كما سبق ذكره.

وأيضا: إذا كانت المحبة الطبيعية وسيلة لغضب الله تعالى، أو الوقوع في معاصيه، فإنها تصبح محبة فاسدة أو محبة شركية، حسب المآل، والآثار المترتبة عليها.

---

(335) قال يقيل قيلا وقيلولة، وهي القائلة: وهو النوم في الظهيرة.

## مَحبَّةُ التّعظِيم

**وَقدِّرِ الرَّحمنَ تقديرًا كما يريدُ إنْ تكنْ لهُ مُعَظِّما**
**أي حقَّ قَدْرِهِ كما يريدُ، لا كما تظنُّ أنتَ ظنًّا جاهِلا**
**وَينشأُ التَّعظيمُ مِنْ تَفكُّرِ في آيِ ربِّنا، وَمِنْ تَدَبُّرِ**
**تَفَكُّرٍ في آيِهِ الكونيَّةِ تَدَبُّرٍ لآيِهِ الشَّرعيَّةِ**
**وَإنْ عبدتَ اللهَ ذاكِرًا كما يريدُ: كنتَ عبدَهُ المُعَظِّما**

النوع السادس من أنواع المحبة: محبة التعظيم. وهي:

**وقدر الرحمن تقديرا كما يريد إن تكن له معظما**

(**وقدر**) عظم أيها المؤمن ربك (**الرحمن**) سبحانه (**تقديرا**) تعظيما وإجلالا (**كما يريد**) سبحانه (**إن تكن**) أيها الموحد (**له**) وحده سبحانه (**معظما**) مجلا.

**أي: حق قدره كما يريد لا كما تظن أنت ظنا جاهلا**

(**أي**) بمعنى (**حق قدره**) جل وعلا (**كما يريد**) هو سبحانه (**لا كما تظن أنت**) بقصورك (**ظنا جاهلا**) بلا علم. إذ لا يعلم عظمة الله تعالى إلا هو سبحانه، لذا قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ**

**قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [الزمر: 67]. وقال نوح عليه السلام لقومه: **﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾** [نوح: 13]. أي: ما لكم لا ترون لله عظمة؟![336]

ثم بين كيف يحصل هذا التعظيم، فقال:

**وينشأ التعظيم من تفكر في آي ربنا ومن تدبر**

(**وينشأ**) يحصل هذا (**التعظيم**) في قلب المؤمن (**من**) بسبب (**تفكر في آي**) جمع آية (**ربنا**) سبحانه، (**و**) كذلك (**من**) بسبب (**تدبر**) في آي ربنا.

واعلم ـ وفقني الله وإياك للفهم ـ: أنك لن تحضرك عظمة الخالق جل وعلا ما لم تتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله. فإذا حضر ببالك العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلمت أن المتكلم هو الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته، إن أنعم فبفضله، وإن عاقب فبعدله، وأنه الذي يقول: "هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي"[337] . وصرتَ كأنك تشاهده سبحانه وتنظر إليه فوق سماواته على عرشه يكلم ملائكته ويدبر أمر مملكته، ويسمع أصوات خلقه، ويرى أفعالهم وحركاتهم، ويشاهد بواطنهم كما يشاهد ظواهرهم، يأمر

---

(336) جامع البيان (23/ 634).

(337) رواه أحمد والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي. وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة: 1\113.

وينهى، ويرضى ويغضب، ويحب ويسخط، ويضحك من قنوطهم وَقُرْبِ غِيَرِهِ[338]، ويجيب دعوة مضطرهم ويغيث ملهوفهم، ويعين محتاجهم ويجبر كسيرهم، ويغني فقيرهم ويميت ويحيي، ويمنع ويعطي، يؤتي الحكمة من يشاء، مالك الملك يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كل يوم هو في شأن، يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويفك عانيا، وينصر مظلوما، ويقصم ظالما، ويرحم مسكينا، ويغيث ملهوفا، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخيره، فأزمة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه[339]...إلخ.

**تفكر في آيه الكونية** **تدبر لآيه الشرعية**

(**تفكر**) يكون (**في آيه الكونية**) المرئية في الكون. و(**تدبر لآيه الشرعية**) المقروءة والمستنبطة من آي القرآن.

وههنا مسألة، وهي:

أن التفكر شيء، والتدبر شيء.

**أما التفكر**: فقال الجرجاني رحمه الله: "التفكر: تصرف القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب".[340]

---

(338) بمعنى: فقير الحال.

(339) نقلا عن الإحياء بتصرف 1\281. ونقلا عن كلام ابن القيم رحمه الله مدراج السالكين 3\384ـ385.

(340) التعريفات (ص: 63).

**وأما التدبر**: فقال الجرجاني في التعريفات: "التدبر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب"[341].

وقال الحسن البصري رحمه الله: "نزل القرآن ليتدبر ويعمل به فاتخذوا تلاوته عملا". فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته، من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما،...وبالجملة: تعرفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول اليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان والطريق الموصلة إليه وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه، فهذه ستة أمور ضرورية للعبد معرفتها ومشاهدتها ومطالعتها.." .انتهى.[342]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله:"وتدبُّر الكلام: أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة، ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع، والتفهم والتبين. وسمي استبصارا وهو استفعال من التبصر، وهو تبين الأمر وانكشافه وتجليه للبصيرة. وكل من التذكر والتفكر، له فائدة غير فائدة الآخر.

فالتذكر يفيد تكرار القلب على ما علمه وعرفه ليرسخ فيه ويثبت ولا ينمحي فيذهب أثره من القلب جملة.

---

(341) المصدر نفسه (ص: 54).

(342) مدارج السالكين (1/ 445- 446).

والتفكر يفيد تكثير العلم واستجلاب ما ليس حاصلا عند القلب، فالتفكر يُحصله، والتذكر يحفظه". [343]

**وإن عبدت الله ذاكرا كما يريد، كنت عبده المعظما**

(**وإن عبدت الله**) تعالى، وحالك (**ذاكرا**) له بقلبك ولسانك وجوارحك (**كما يريد**) سبحانه، وكما أمر (**كنت عبده**) حقا (**المعظما**) نعت، بكسر الظاء. والألف في (**المعظما**) للإطلاق. والمعنى: إن عبدت ربك أيها المؤمن، وأطعته كما يريد سبحانه، بذكره وطاعته، فستكون حينئذ قد عبدته حقا، وأحببته تعظيما له كما يريد.

(343) مفتاح دار السعادة (1 / 183).

# الطَّاعَةُ

وَالطَّاعةُ: التَّنفيذُ للأوامرِ     فعلٌ وَتركٌ باطنٍ وَظاهرِ
وَأُطْلِقَتْ للهِ وَالرَّسولِ     فَعَنْهُ نلقى الأمرَ بالقَبولِ
فلا تَردَّ، لا تجادلْ، لا تَسَلْ     عنْ أمرِ ربِّنا لماذا قدْ فعلْ
وَاحذرْ؛ فطاعةُ الوُلاةِ قُيِّدَتْ     بما يوافقُ الَّتي قدْ أُطلِقتْ
همْ قائدٌ وَعالمٌ بِشَرْعِنا     فَذا يَدُلُّنا، وَذا يقودنا

الطاعة: موافقة الارادة الحادثة إلى الفعل برغبته، أو رهبته.[344]

وقد عرفها الناظم من قبل في قوله:

**والاتباع لازم للطاعة     نعني بها تنفيذ أمر الشرعة**

وأما هنا فعرفها بقوله:

**والطاعة التنفيذ للأوامر     فعل وترك باطن وظاهر**

---

(344) معجم الفروق اللغوية (ص: 334).

(**والطاعة**) هي (**التنفيذ**) مصدر نفذ، وهو قضاء الأمر وإجراؤه، وعمله (**للأوامر**) الربانية والنبوية على السواء.

وتنفيذ أوامر الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم، يدخل فيها: الفعل والترك. **أما الفعل**: فهو الذي يأتي بصيغة الأمر. **وأما الترك**: فيأتي بصيغة النهي. وههنا قاعدة أصولية، وهي: " الأمر بالشيء نهي عن أضداده، والنهي عن الشيء أمر بأحد أضداده" [345]. وكلاهما طاعة. لذا قال عن تنفيذ الأوامر: إنها (**فعل وترك**) من (**باطن**) العبد (**وظاهر**) منه أيضا.

**وأطلقت لله والرسول فعنه نلقى الأمر بالقبول**

(**وأطلقت**) الطاعة (**لله**) جل وعلا (**و**) لـ (**الرسول**) نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فتارة تأتي الطاعة جامعة لله ورسوله، كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: 32]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: 69]، وقوله سبحانه: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [النور: 52]، وغيرها من الآيات.

---

(345) "وقيل: إن الأمر بالشيء ليس عين النهي عن ضده ولكن يتضمنه. وقيل: ليس عينه ولا يتضمنه، وعزاه صاحب جمع الجوامع للمصنف ـ أي لصاحب الورقات ـ". ( انظر قرة العين (ص: 21).وهذا صحيح فقد قال في البرهان بعد رده على المخالفين: "وإذا لاح سقوط المذهبين انبنى عليه ما هوالحق المبين عندنا وهو أن الأمر بالشيء لا يقتضي النهي عن أضداده..". (البرهان في أصول الفقه (1/ 83).

وتارة تأتي منفصلة، مؤكدة كل طاعة على حدة، مثل قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ الآية[النساء: 59]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ [النور: 54]. وقوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**﴾ [محمد: 33].

وتارة مضافة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بمفرده، نحو قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [النور: 56]. وذلك لأن طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعالى، كما في قوله: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ [النساء: 80]. وقوله تعالى: (**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر: 7]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني**».[346]

**........................ فعنه نلقى الأمر بالقبول**

(346) صحيح البخاري (9/ 62)، صحيح مسلم (3/ 1466).

**(فعنه)** أي عن الله تعالى، وأيضا عن رسوله صلى الله عليه، لأن كلا من القرآن والسنة وحي، كما في قوله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**». الحديث[347] **(نلقى)** نتلقى **(الأمر)** والنهي **(بالقبول)** الإذعان والسمع والطاعة والرضا.

**فلا ترد لا تجادل لا تسل عن أمر ربنا لماذا قد فعل**

**(فلا ترد)** أمر ربك، أو أمر رسوله صلى الله عليه متعمدا، و**(لا تجادل)** أي لا تخاصم وتعاند. والجدال لغة: " مأخوذ من الجدل وهو الفتل، كأن كل مجادل يفاتل صاحبه في الكلام". قاله ابن عطية رحمه الله.[348]

والجدال إن كان لإظهار الحق فمحمود، وإن كان للمراء والعناد والخصومة عن الباطل فمذموم، كما قال القرطبي رحمه الله: "والجدل في الدين محمود، ولهذا جادل نوح والأنبياء قومهم حتى يظهر الحق، فمن قبله أنجح وأفلح، ومن رده خاب وخسر. وأما الجدال لغير الحق حتى يظهر الباطل في صورة الحق فمذموم، وصاحبه في الدارين ملوم".[349]

و**(لا تسل)** لا تسأل سؤال تعنت واستبعاد للحكمة الشرعية **(عن أمر ربنا)** كأن تسأل عن قضائه وقدره ومخلوقاته وأوامره ونواهيه، فتقول على وجه الاستبعاد أو السخرية **(لماذا)** ربنا **(قد فعل)** هذا الأمر؟ أما أن تسأل عن الحكمة من الأمر أو النهي، فلا بأس، مع ترك التكلف والتعمق.

---

(347) سنن أبي داود (4/ 200)، صححه الألباني في مشكاة المصابيح (1/ 57).

(348) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 273).

(349) تفسير القرطبي (9/ 28).

(**واحذر**) انتبه أيها العبد المؤمن عند طاعتك (**فطاعة الولاة**) جمع ولي، والمراد بهم هنا: ولاة أمور المسلمين، فإن طاعتهم (**قُيدت**) حُصرت (**بما يوافق**) يطابق الطاعة (**التي قد أطلقت**) في الجمع بين: (**قيدت**) و(**أطلقت**) محَسِّن بديع الطباق. والمعنى: أن طاعة ولاة المسملين ليست على إطلاقها، بل قيدت بشرط موافقة طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأولو الأم: أصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام، فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء، والأمراء، فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه للأحمسية لما سألته: ما بقاؤنا على هذا الأمر؟ قال: ما استقامت لكم أئمتكم، ويدخل فيهم الملوك والمشايخ وأهل الديوان، وكل من كان متبوعا فإنه من أولي الأمر، وعلى كل واحد من هؤلاء أن يأمر بما أمر الله به، وينهى عما نهى عنه، وعلى كل واحد ممن عليه طاعته أن يطيعه في طاعة الله، ولا يطيعه في معصية الله، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين تولى أمر المسلمين وخطبهم، فقال في خطبته: أيها الناس: القوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق، والضعيف فيكم القوي عندي حتى آخذ له الحق، أطيعوني ما أطعت الله! فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم".[350]

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾ [النساء: 59] فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل

(350) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (ص: 53).

إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه، ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالا، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول؛ إيذانا بأنهم إنما يطاعون تبعا لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[351]. وقال: «**إنما الطاعة في المعروف**»[352] وقال في ولاة الأمور ـ من أمركم منهم بمعصية الله ـ: «**فلا سمع له ولا طاعة**»[353]. انتهى.[354].

**هم قائد وعالم بشرعنا    فذا يدلنا وذا يقودنا**

(**هم**) أي الولاة (**قائد**) أمير يسوس البلاد (**وعالم بشرعنا**) أي عالم بشرع الله تعالى. وذلك لأن أولي الأمر في الآية: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ الآية[النساء: 59] فسرت بكونهم: الأمراء والعلماء. كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقالوا في قوله تعالى ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ أقوالا تجمع العلماء والأمراء. ولهذا نص الإمام أحمد وغيره على دخول الصنفين في هذه الآية. إذ كل منهما تجب طاعته

---

(351) صحيح الجامع الصغير (2/ 1250)، السلسلة الصحيحة 179، المشكاة 3696 للشيخ الألباني.

(352) صحيح البخاري (9/ 63)، صحيح مسلم (3/ 1469).

(353) لفظ الحديث: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" صحيح البخاري (9/ 63)، و صحيح مسلم (3/ 1469).

(354) إعلام الموقعين عن رب العالمين (1/ 38).

فيما يقوم به من طاعة الله، وكان نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ـ كعلي ومعاذ وأبي موسى وعتّاب بن أسيد وعثمان بن أبي العاص وأمثالهم ـ يجمعون الصنفين.

وكذلك خلفاؤه من بعده كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ونوابهم. ولهذا كانت السنة أن الذي يصلي بالناس صاحب الكتاب، والذي يقوم بالجهاد صاحب الحديد".[355].

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله: "والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون إذا أمروا بمقتضى العلم؛ فطاعتهم تبع لطاعة العلماء؛ فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء، ولما كان قيام الإسلام بطائفتي العلماء والأمراء، وكان الناس كلهم لهم تبعا، كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين، وفساده بفسادهما، كما قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، قيل: من هم؟ قال: الملوك، والعلماء كما قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها".(ا.هـ)[356]

(355) مجموع الفتاوى (18/ 158).

(356) إعلام الموقعين عن رب العالمين (1/ 8).

# الـمُوَالَاةُ

وَإنْ سُئِلْتَ: ما الموالاةُ؟ أجبْ    قلْ: هيَ فعلُ ما يُحِبُّ مَنْ أُحِبْ
مِنْ غيرها ظلَّ الفسادُ يَكْبُرُ    وَفتنةٌ في الأرضِ شِرْكٌ يَظْهَرُ
وَإنَّها على النُّفوسِ صعبةٌ    عنْ حبِّ ربِّنا غَدَتْ علامةٌ
وَاسْتَلْزَمَتْ لِلْمُؤمنينَ حُبَّنا    وَاستلزمتْ للكافرينَ بُغْضَنا
وَاستلزمتْ عداوةً لِمَنْ كفرْ    عمومُهمْ ليسَ الخصوصُ فالحذرْ
فلمْ تَجِبْ لأهلِ ذِمَّةٍ، وَلا    مُسْتَأْمَنٍ، وَلا مُعَاهَدٍ خَلا
وَمَنْ يوالِنا: يكنْ بِقُرْبِنا    في سِلْمِنا، وَناصرًا في حربنا
إنَّ الولاءَ وَالبراءَ دينُنا    مِنْ غيرهِ لا لنْ تكونَ مؤمنا

قد مر معنا معنى المولاة عند قول الناظم:

**وإن سئلت: هل لها علامة فقل: موالاة بدت وطاعة**

أما هنا، فعرفها بقوله:

**(وإن سئلت)** أي الموحد، فقال لك السائل: **(ما)** معنى **(الموالاة)**؟ فـ **(أجب)** و**(قل)** للسائل **(هي فعل ما)** الذي **(يحب من أحب)** أي: الموالاة هي أن أفعل ما يحبه وليي المحبوب. وذلك

أن الحب هو أصل الموالاة ، كما أن البغض هو أصل المعاداة. كما أشارإلى ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين، [357] وقد مر ذكره.

## من غيرها ظل الفساد يكبر وفتنة في الأرض شرك يظهر

**(من غيرها)** أي من غير الموالاة، وهي الحب في الله، والبغض في الله **(ظل الفساد)** الفساد نقيض الصلاح **(يكبر)** ينتشر ويتوسع **(وفتنة في الأرض)** الفتنة لغة: الابتلاء والاختبار، وهو ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر، يقال: فتنت الذهب بالنار، إذا أحرقته بها؛ لتعلم أنه خالص أو مشوب[358] . **(شرك)** بالله تعالى **(يظهر)** ينتشر. لأن من معاني الفتنة: الشرك بالله تعالى. كما في قوله جل وعلا: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ الآية [البقرة: 191]. قال الحافظ ابن جرير الطبري رحمه الله في معنى الآية: "والشرك بالله أشدّ من القتل"[359] . وقوله تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ [البقرة: 217]، قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "يعني: الشرك أعظم وأكبرُ من القتل"[360] .

(357) مدارج السالكين (1/ 268).

(358) التعريفات (ص: 165).

(359) جامع البيان (3/ 565).

(360) جامع البيان (4/ 301).

والمعنى: أن من غير الموالاة في الله تعالى كثر الفساد في الأرض، وبغيره ينتشر الشرك بالله جل وعلا، والناس في غفلة من هذا، يعادون أولياءه، ويحبون أعداءه، إلا من رحم الله من عباده الموحدين الذين يوالون فيه: يحبون فيه، ويبغضون فيه، ويعطون له، ويمنعون له، عز وجل.

فإن موالاة أعداء الله كفر مخرج من الملة، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَّ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: 51]. قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ**﴾ أي يعضدهم على المسلمين ﴿**فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ بين تعالى أن حكمه كحكمهم، وهو يمنع إثبات الميراث للمسلم من المرتد، وكان الذي تولاهم ابن أبي، ثم هذا الحكم باق إلى يوم القيامة في قطع الموالاة، وقد قال تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ [هود: 113] وقال تعالى في" آل عمران": ﴿**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: 28] وقال تعالى: ﴿**لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ**﴾ [ آل عمران: 118] وقد مضى القول فيه. وقيل: إن معنى ﴿**بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ أي في النصرة ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾ شرط وجوابه، أي لأنه قد خالف الله تعالى ورسوله كما خالفوا، ووجبت معاداته كما وجبت معاداتهم، ووجبت له النار كما وجبت لهم، فصار منهم أي من أصحابهم".(361)

وقال سبحانه: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [التوبة: 23]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهَّ عَنِ**

(361) تفسير القرطبي (6/ 217).

**الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [الممتحنة: 9].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المرء مع من أحب**».[362]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "وهذه المحبة لله توجب المحبة في الله قطعا، فإن من محبة الحبيب المحبة فيه والبغض فيه. وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**يقول الله تعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**».[363] وفي جامع أبي عيسى الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله [ص:598] صلى الله عليه وسلم يقول: «**قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**».[364] (انتهى).[365]

**وإنها على النفوس صعبة          عن حب ربنا غدت علامة**

(362) صحيح البخاري باب: علامة حب الله عز وجل(8/ 39)، وصحيح مسلم باب: المرء مع من أحب صحيح مسلم (4/ 2034).

(363) صحيح مسلم (4/ 1988).

(364) سنن الترمذي(4/ 597).

(365) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: 412 ـ 413).

**(وإنها)** أي الموالاة في الله، والبغض في الله **(على النفوس)** كلها **(صعبة)** شديد تحمل الأذى بسببها، والصبر على التمسك بها، لكنها **(عن حب ربنا)** جل وعلا **(غدت)** صارت وأصبحت **(علامة)** آية تدل على حب الله تعالى، وبغض أعدائه. فإن حب المؤمنين لربهم فاق حب المشركين لآلهتم، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾ [البقرة: 165].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "وفي تقدير الآية قولان:

**أحدهما**: والذين آمنوا أشد حبا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم، وآلهتهم التي يحبونها، ويعظمونها من دون الله.

**والثاني**: والذين آمنوا أشد حبا لله من محبة المشركين بالأنداد لله. فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها. والمحبة الخالصة: أشد من المشتركة. والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى ﴿**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾ [البقرة: 165] فإن فيها قولان.

**أحدهما**: يحبونهم كما يحبون الله. فيكون قد أثبت لهم محبة الله. ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أندادا.

**والثاني**: أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله. ثم بين أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يرجح القول الأول، ويقول: إنما ذموا بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة. ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له". انتهى.[366]

**واستلزمت للمؤمنين حبنا ... واستلزمت للكافرين بغضنا**

---

(366) مدارج السالكين (3/ 21).

(**واستلزمت**) موالاتنا لله تعالى (**للمؤمنين**) خاصة، فيه حصر وقصر (**حبنا**) أي: استلزمت موالاتنا لله تعالى حب المؤمنين لنا. لأن موالاة المؤمنين فيما بينهم واجبة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [التوبة: 71]. قال الإمام القرطبي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿**بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ أي قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف. وقال في المنافقين: ﴿**بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾ لأن قلوبهم مختلفة، ولكن يضم بعضهم إلى بعض في الحكم".[367]

**........................ واستلزمت للكافرين بغضنا**

(**واستلزمت**) الموالاة لله سبحانه (**للكافرين**) أعداء الله. وفي تقديم الجملة حصر (**بغضنا**) كرهنا وعداءنا. وأصل العبارة: واستلزمت موالاتنا لله ربنا بغض الكافرين لنا.

فهذا هو الميزان الحق الذي يبين لك صدق ولائك لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، من بين الادعاء والزعم.

وعلى قدر ولائك لله تعالى يكون بغض الكفار والمشركين والملاحدة لك. فموالاتك لله تعالى تستلزم حب المؤمنين لك، كما أنها تستلزم بغض الكافرين لك. وفي الجمع بين: (للمؤمنين) و(للكافرين) وكذلك بين (حبنا) و(بغضنا): بديع الطباق.

**واستلزمت عداوة لمن كفر عمومهم ليس الخصوص فالحذر**

---

(367) تفسير القرطبي (8/ 203).

(**واستلزمت**) أيضا (**عداوة**) وبغضا (**لمن كفر**) بالله تعالى (**عمومهم**) على العموم (**ليس**) على (**الخصوص**) لأن هناك استثناءات (**فالحذر**) من إطلاق العداوة.

**فلم تجب لأهل ذمة ولا مستأمَن ولا معاهَد خلا**

(**فـ**) إن العداوة الموجبة لقتال الكفار (**لم تجب**) على المؤمنين (**لأهل ذمة**) وهم أهل الكتاب. والذمة: لغة: العهد؛ لأن نقضه يوجب الذم، ومنهم من جعلها وصفًا فعرفها بأنها وصف يصير الشخص به أهلًا للإيجاب له وعليه، ومنهم من جعلها ذاتًا، فعرفها بأنها نفس لها عهد؛ فإن الإنسان يولد وله ذمة صالحة للوجوب له وعليه، عند جميع الفقهاء بخلاف سائر الحيوانات[368]. (**ولا**) تجب لـ(**مستأمن**) وهو من يطلب الأمان، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: 6].

(**ولا**) تجب كذلك لـ(**معاهد**) وهو من أعطي العهد (**خلا**) مضى.

وقد لخص العلامة ابن القيم رحمه الله هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار فقال: " فصل: في هديه في الأمان، والصلح، ومعاملة رسل الكفار، وأخذ الجزية، ومعاملة أهل الكتاب، والمنافقين، وإجارة من جاءه من الكفار حتى يسمع كلام الله، ورده إلى مأمنه، ووفائه بالعهد، وبراءته من الغدر.

---

(368) التعريفات (ص: 107).

فقد ثبت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «**ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا**»(369).

وقال صلى الله عليه وسلم: «**المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذوعهد في عهده من أحدث حدثا فعلى نفسه ومن أحدث حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»(370).

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدا ولا يشدنه حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء**»(371).

وقال صلى الله عليه وسلم: «**من أمن رجلا على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافرا**»(372). وقال: «**لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان**»(373). (انتهى)(374).

| | |
|---|---|
| **ومن يوالنا يكن بقربنا** | **في سلمنا، وناصرا في حربنا** |

---

(369) صحيح البخاري (9/ 97).

(370) صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 1131).

(371) رواه الترمذي وأبو داود، انظر مشكاة المصابيح (2/ 1165).

(372) صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 1053).

(373) صحيح مسلم (3/ 1360)، وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظ قريب منه:(8/ 41).

(374) زاد المعاد (3/ 112ـ113).

**(ومن)** اسم شرط جازم **(يوالنا)** من المؤمنين **(يكن)** جواب شرط الولاء **(بقربنا)** منا ومعنا **(في سلمنا)** أمننا **(و)** يكن **(ناصرا)** لنا وظهيرا **(في)** حال **(حربنا)** مع الأعداء. فهذا هو الولاء الحق بين المؤمنين على أعدائهم، أما أن يكون العكس، فذاك الكفر والردة.

والناظر في أحوال المسلمين الآن، يجد ردة قد انتشرت في كثير ممن يزعمون أن دينهم الإسلام، فهم لا يبالون أن يكونوا أنصارا لأمريكا وأوربا للحرب على المجاهدين واستئصالهم تحت شعار: مكافحة الإرهاب !

وتجد الفتاوى المؤيدة لهذه الردة تخرج من أفواه الجهلة المعممين، ويصبغونها بليّ نصوص الكتاب والسنة ليوافقوا أسيادهم الكفرة. بل يخصصون خطب الجمعة للنيل من أهل التوحيد، بحجة: القضاء على الغلاة الخوراج. يعنون بذلك: كل من حمل السلاح للذود عن دين الله تعالى، والنداء بتحكيم شرع الله عز وجل، ورفض قوانين الأرض.

فإنا لله وإنا إليه راجعون، كم بفتاوى علماء السلاطين هُتكت أعراض، ورُمّل نساء، ويُتّم أطفال، وقُتل رجال، وسُجن شيوخ.

ولما كان الولاء والبراء بهذا الثقل، وهذه الخطورة، نبه إليه الناظم بقوله:

**إن الولاء والبراء ديننا    من غيره لا لن تكن مؤمنا**

**(إن الولاء)** للمؤمنين **(والبراء)** التبرؤ من الكافرين والمرتدين **(ديننا)** الذي ندين الله تعالى به، ونتعبد الله بهما **(من غيره)** أي: الولاء والبراء **(لا)** في الحال و**(لن)** في الستقبل، تأكيد في النفي، لأنها حرف نفي ونصب واستقبال. **(تكن)** أيها التارك للولاء والبراء **(مؤمنا)** خبر تكن. وهذا ظاهر وبين في غير ما آية، ومنها قوله تعالى: ﴿**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ**

**ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾** [آل عمران: 28].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في الآية: "نهى الله، تبارك وتعالى، عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعد على ذلك فقال: **﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ﴾** أي: من يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله كما قال: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾** [النساء:144]، وقال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** [المائدة: 51].

وقال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾** إلى أن قال: **﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾** [الممتحنة: 1] وقال تعالى بعد ذكر موالاة المؤمنين للمؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾** [الأنفال: 73].

وقوله: **﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾** أي: إلا من خاف في بعض البلدان أوالأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما حكاه البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: "إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم".

وقال الثوري: قال ابن عباس، رضي الله عنهما: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس: إنما التقية باللسان، وكذا قال أبو العالية، وأبو الشعثاء والضحاك، والربيع بن أنس. ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى: **﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ**

﴿مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 106]". انتهى[375]

يقول سيد قطب رحمه الله: " لقد استجاش السياق القرآني في الفقرة الماضية الشعور بأن الأمر كله لله، والقوة كلها لله، والتدبير كله لله، والرزق كله بيد الله.. فما ولاء المؤمن إذن لأعداء الله؟ إنه لا يجتمع في قلب واحد حقيقة الإيمان بالله وموالاة أعدائه الذين يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم فيتولون ويعرضون.. ومن ثم جاء هذا التحذير الشديد، وهذا التقرير الحاسم بخروج المسلم من إسلامه إذا هو والى من لا يرتضي أن يُحكم كتاب الله في الحياة، سواء كانت الموالاة بمودة القلب، أو بنصره، أو باستنصاره سواء:

﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: 28] ..

هكذا.. ليس من الله في شيء. لا في صلة ولا نسبة، ولا دين ولا عقيدة، ولا رابطة ولا ولاية.. فهو بعيد عن الله، منقطع الصلة تمامًا في كل شيء تكون فيه الصلات.

ويرخص فقط بالتقية لمن خاف في بعض البلدان والأوقات.. ولكنها تقية اللسان لا ولاء القلب ولا ولاء العمل. قال ابن عباس- رضي الله عنهما- "ليس التقاة بالعمل إنما التقاة باللسان" .. فليس من التقية المرخص فيها أن تقوم المودة بين المؤمن وبين الكافر- والكافر هو الذي لا يرضى بتحكيم كتاب الله في الحياة على الإطلاق، كما يدل السياق هنا ضمنًا وفي موضع آخر من السورة تصريحًا- كما أنه ليس من التقية المرخص بها أن يعاون المؤمن الكافر بالعمل في صورة من الصور باسم التقية. فما يجوز هذا الخداع على الله! ولما كان الأمر في هذه الحالة متروكًا للضمائر ولتقوى

(375) تفسير ابن كثير(2/ 30).

القلوب وخشيتها من علام الغيوب، فقد تضمن التهديد تحذير المؤمنين من نقمة الله وغضبه في صورة عجيبة من التعبير حقًّا:

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ .."(376). انتهى.

وجاء في الدرر السنية: "من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر؛ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: من دعا علي بن أبي طالب، فقد كفر، ومن شك في كفره، فقد كفر.

الأمر الثالث: مما يوجب الجهاد لمن اتصف به: ظاهرة المشركين، وإعانتهم على المسلمين، بيد أو بلسان أو بقلب أو بمال، فهذا كفر مخرج من الإسلام، فمن أعان المشركين على المسلمين، وأمد المشركين من ماله، بما يستعينون به على حرب المسلمين اختيارا منه، فقد كفر.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في نواقض الإسلام:

الثامن: مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة آية: 51] فمن اتصف بشيء من هذه الصفات، مما ينقض الإسلام، أو منع شيئا من شعائر الإسلام الظاهرة، أو امتنع عن أداء شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة، فإنه يجاهد حتى يقر بذلك ويلتزمه".(377)

---

(376) في ظلال القرآن (1/ 385 ـ 386).

(377) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (9/ 292).

# الواجبُ والمستحَبّ في الأعمالِ القَلبيّةِ

## حسنُ الظَّن

وَاذكرْ معانيْ الظَنِّ إنَّها تُعَدْ ... الشَّكُّ وَاليقينُ ثمَّ المعتَقَدْ
فالشَّكُّ في احتمالِ أمرٍ ما اتَّضحْ ... منهُ الصَّوابُ وَاليقينُ ما رَجَحْ
وَالظَّنُّ إنْ بِرَبِّنا تَعَلَّقا ... إذًا عليهِ اسمُ اعتقادٍ أُطْلِقا
فواجبٌ أنْ نُحْسِنَ اعتقادَنا ... بِرَبِّنا، وَلا نُسِيءَ ظَنَّنا
وَفي صفاتِ اللهِ حُسْنُ الظَنِّ أنْ ... نعتقدَ التَّنزيهَ عنْ نقصٍ يُظَنْ
وَالظَّنُّ إنْ نُحْسِنْهُ في أفعالِهِ ... نَجْزِمْ بأنَّ الخيرَ في أقوالِهِ

**الواجب والمستحب في الأعمال القلبية:**

الواجب: لغة هو الساقط والثابت. قال تعالى: ﴿**فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا..**﴾ الآية [الحج: 36] أي: إذا سقطت جنوبها على الأرض بعد النحر.

وأما المستحب: فهو اسم لما شرع زيادة على الفرض والواجبات، وقيل: المستحب: ما رغب فيه الشارع ولم يوجبه.[378] ويطلق عليه أيضا: الندب، أو المندوب.

---

(378) التعريفات (ص: 213).

وعند الأصوليين: الواجب هو الذي يذم تاركه ـ وقيل يعاقب ـ والمستحب: ويطلق عليه المندوب هو: الذي يحمد فاعله ولا يذم تاركه.[379]

وقال الشيخ ماء العينين رحمه الله:

**فواجب في فعله الثواب مرتبا وتركه العقاب**

**والندب ما الثواب في امتثاله ولا عقاب ياتي في اجتنابه.**[380]

## حسن الظن

### واذكر معاني الظن إنها تُعد الشك واليقين ثم المعتقد

من الأعمال القلبية: حسن الظن.

**(واذكر)** أيها المؤمن **(معاني)** جمع معنى، أي بيان وإيضاح معنى **(الظن)** فـ**(إنها)** معاني الظن **(تُعد الشك)** فهذه الأولى من معاني الظن، أنها: الشك. كقوله تعالى: ﴿**إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا**﴾ يعني ما نشك إِلاَّ شكا. **(واليقين)** كما قوله تعالى: ﴿**إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ**﴾ يعني إِن أيقنا. وكقوله في ص: ﴿**وَظَنَّ دَاوُودُ**﴾ أيقن داود عليه السلام، ﴿**أَنَّمَا فَتَنَّاهُ**﴾ ابتليناه. وقال سبحانه في الحَاقَّةِ ـ عن المؤمن أنه يقول ـ: ﴿**إِنِّي ظَنَنتُ**﴾ أيقنت، ﴿**أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ**﴾.

(379) المحصول لابن العربي (ص: 22).

(380) الأقدس على الأنفس طبعة حجرية.

(**ثم المعتقد**) أي الظن المتعلق بالله تعالى والغيبيات، وإنما سمي: معتقدا، لأن القلب يؤمن به، ويعقد عليه عقدة لا تنحل بالشك أو الريب.

وهناك معانيان أخريان لـ: (**ظن**) ذكرهما العلامة يحيى بن سلام المتوفى سنة 200):

**أولهما**: ظنَّ بمعنى: حسب، وذلك في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ**﴾ يعني حسب أن لن يرجع. وقوله تعالى: (**ولكن ظَنَنتُمْ**) يعني حسبتم ﴿**أَنَّ الله لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ . ونحوه في سورة الشعراء: ﴿**وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [الشعراء: 186]، ونحوه في "سبحان": ﴿**يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء: 52].

**ثانيهما**: ظن بمعنى: التهمة. وذلك كقوله تعالى في الأَحزاب: ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا**﴾ [الأحزاب: 10] يعني التُّهمة. ونظيرها في الفتح ﴿**وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ**) [الفتح: 12]. وقال تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الغيب بِظَنِينٍ**﴾ [التكوير: 24] يعني بمتَّهم. وهذه قراءة: الكسائي، وابن كثير، وأبي عمرو، ورويس.[381] وقراءة الجمهور بالضاد: "بضنين" فإنَّ معناها على التَّنزيل أي: لم يبخل عليهم بما علم من علم الغيب الَّذِي عَلَّمَهُ الله (ا.هـ).[382]

**فالشك في احتمال أمر ما اتضح** **منه الصواب، واليقين ما رجح**

---

(381) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر (3/ 337).

(382) التصاريف (ص: 262 ـ 263) ـ بتصرف.

(**فـ**) أما الظن الذي معناه (**الشك**) فإنه يكون (**في أمر ما**) نافية (**اتضح**) ظهر، أي لم يتضح (**منه الصواب**) من الخطأ. كما قال الجرجاني رحمه الله في تعريف الظن، أنه: " الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك. وقيل: الظن: أحد طرفي الشك بصفة الرجحان"[383]

(**و**) أما (**اليقين**) فهو (**ما**) الذي (**رجح**) وهو نقيض الشك.

**والظن إن بربنا تعلقا إذا عليه اسم اعتقاد أطلقا**

(**والظن**) بكل معانيه (**إن**) تعلق (**بـ**) ما يخص (**ربنا**) سبحانه (**تعلقا**) الألف للإطلاق، وإنما أخّر للضرورة، والأصل: والظن إن تعلق بربنا (**إذا**) حرف جواب وجزاء (**عليه**) الضمير يعود إلى الظن بربنا (**اسم اعتقاد**) أي: هذا النوع من الظن في الله تعالى، يدخل في المعتقد، ويسمى: الظن الاعتقادي (**أطلقا**) الألف للإطلاق، والمعنى: أن الظن الاعتقادي اسم يطلق على ما يتعلق بالله جل وعلا.

**فواجب أن نحْسن اعتقادنا بربنا، ولا نسيء ظننا**

(**فواجب**) علينا (**أن نحسن اعتقادنا بربنا**) جل وعلا، (**و**) أن (**لا نسيء ظننا**) به سبحانه. كما قال عز وجل: ﴿**وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ**

(383) التعريفات (ص: 144).

**الْخَاسِرِينَ﴾** [فصلت: 22، 23]. وقال سبحانه: **﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾** [آل عمران: 154]. وقال تعالى: **﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (85) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (86) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الصافات: 85 - 87]. والآيات في هذا الباب كثيرة.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**».[384] وعن جابر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، قبل وفاته بثلاث، يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن**».[385]

وعن عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال: "دخلنا على يزيد بن الأسود فدخل عليه واثلة، فلما نظر إليه مد يده، فأخذ بيده فمسح بها وجهه وصدره لأنه بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا يزيد كيف ظنك بربك؟ قال: حسن، قال: أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي إن خيرا فخير وإن شرا فشر**».[386]

**وفي صفات الله حسن الظن أن نعتقد التنزيه عن نقص يظن**

---

(384) صحيح البخاري (9/ 121)، صحيح مسلم (4/ 2061).

(385) صحيح مسلم (4/ 2205).

(386) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (8/ 56)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (4/ 224).

**(وفي)** ما يتعلق بـ**(صفات الله)** تعالى **(حسن الظن)** يجب فيه **(أن نعتقد)** جازمين **(التنزيه)** وهو: عبارة عن تبعيد الرب عن أوصاف البشر[387]، وعن كل مخلوق، فسبحانه قال عن نفسه: ﴿**كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: 11].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في صفات الله تعالى: " وأن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته: فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق، ولا معانيه تشبه معانيه، ولا حروفه تشبه حروفه، ولا صوت الرب يشبه صوت العبد. فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته".[388]

## والظن إن نحْسنه في أفعاله نجزم بأن الخير في أقواله

**(والظن)** في الله تعالى **(إن نحسنه)** اعتقادا **(في أفعاله)** جل وعلا **(نجزم)** جواب الشرط، والجزم: القطع. أي: نقطع موقنين **(بأن الخير)** كل الخير **(في أقواله)** سبحانه كذلك. أي: حسن الظن في أفعاله يستلزم حسن الظن في أوقاله كذلك. وأقواله متمثلة في الوحيين: الكتاب والسنة.

---

(387) التعريفات (ص: 67).

(388) مجموع الفتاوى (12/ 244).

# القَضاءُ والقدَرُ

وَافهمْ محاورَ القضاءِ وَالقدرْ ثلاثةٌ إذا فَقِهْتَها تُسَرْ
الأمرُ وَالإرادةُ الشَّرعيَّةُ وَالأمرُ وَالإرادةُ الكونيَّةُ
أي ما مِنَ الأحداثِ كانَ حاصِلا ماضٍ وَحاضرًا أوِ المستقبَلا
وَالفرقُ بينَ الأمرِ وَالإرادةِ كونُ وقوعِهِ بلا مَحالةِ
وَكلُّ ما يكونُ كونيًّا فقطْ محبَّةُ اللهِ لهُ لا تُشْتَرَطْ
وَكلُّ ما يكونُ شرعيًّا أتى فَوَاجبٌ أو مُسْتَحَبٌّ يا فتى

تعريف القضاء والقدر:

**القضاء**: معناه الفصل والحكم. وقد تكرر في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر (**القضاء**) وأصله القطع والفصل. يقال: قضى يقضي- قضاء فهو قاض، إذا حكم وفصل. وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق.

وقال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقضاء الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله، أو أتم، أو أدى، أو أوجب، أو علم، أو نفذ، أو أمضى، فقد قضي، وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الأحاديث[389]

وللعلماء في التفرقة بين القضاء والقدر قولان:

(389) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير: 4/ 78.

**الأول**: القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق. يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: "قال العلماء القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزيئات ذلك الحكم وتفاصيله"[(390)]. وقال في موضع آخر: "القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزيئات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل"[(391)].

**الثاني**: عكس القول السابق، فالقدر هو الحكم السابق، والقضاء هو الخلق.

قال ابن بطال: " القضاء هو المقضي "[(392)] ومراده بالمقضي المخلوق، وهذا هو قول الخطابي، فقد قال في معالم السنن: " القدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر، كالهدم والنشر والقبض: أسماء لما صدر من فعل الهادم والناشر والقابض.

والقضاء في هذا معناه الخلق، كقوله تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ [فصلت: 12] أي خلقهن "[(393)].

وبناء على هذا القول يكون " القضاء من الله تعالى أخص من القدر، لأنه الفصل بين التقديرين، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع "[(394)].

وقد عرفه الناظم بقوله:

---

(390) فتح الباري: 11/ 477.

(391) المصد نفسه: 11/ 149.

(392) فتح الباري: 11/ 149.

(393) معالم السنن للخطابي: 7/ 70.

(394) لمفردات للراغب الأصفهاني: ص406.

**وافهم محاور القضاء والقدر          ثلاثة إذا فقهتها تُسر**

**(وافهم)** أيها الموحد **(محاور)** جمع محور. والمحور لغة: الحديدة التي تجمع بين الخطاف والبكرة، وهي أيضا الخشبة التي تجمع المحالة. قاله ابن منظور.[395] والمراد به هنا: الموضوعات التي يدور عليها **(القضاء والقدر)** وهي **(ثلاثة)** لا يصح إيمان العبد إلا بها **(إذا فقهتها)** أي فهمتها حق الفهم، فإن الفقه لغة: فهم غرض المتكلم من كلامه[396] **(تُسر)** تحس بالسرور والفرح، لأنه ستنكشف لك حقائق، وسيحصل لك الرضا بكل ما يقضيه ربك، كما قال سبحانه: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [الحديد: 22، 23]، وقال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [التغابن: 11].

**الأمر والإرادة الشرعية          والأمر والإرادة الكونية**

(395) لسان العرب (4/ 221).

(396) التعريفات (ص: 168).

**المحور الأول**: (**الأمر**) وهو: قول القائل لمن دونه: افعل[397]، ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ [النساء: 58]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: 90].

(و) **المحور الثاني**: (**الإرادة الشرعية**) أي: الأمر الذي يأمر به الله تعالى يكون إرادة شرعية.

(و) هناك (**الأمر**) الآخر، الذي لا مرد له، (**و**) هو **المحور الثالث**: (**الإرادة الكونية**) وهي التي إذا أرادها الله جل وعلا قال لها: كوني، فتكن. قال سبحانه: ﴿**وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [البقرة: 117]، وقوله عز وجل: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [النحل: 40]، والآيات في مثل هذا كثيرة.

فهذه محاور ثلاثة: الأمر، والإرادة الشرعية، والإرادة الكونية.

ثم بين الإرادة الكونية بقوله:

**أي ما من الأحداث كان حاصلا ماض وحاضرا أو المستقبلا**

(**أي**) أن الإرادة الكونية هو كل (**ما من الأحداث**) التي تحدث (**كان حاصلا**) سواء كان في زمن (**ماض و**) كان (**حاضرا أو المستقبلا**) ألف الإطلاق. فكل ما حدث ويحدث في الكون، فإنما هو من إرادة الله تعالى الكونية، لكن هناك فرق بين الأمر والإرادة، لذا قال الناظم:

(397) التعريفات (ص: 37).

## والفرق بين الأمر والإرادة كون وقوعه بلا محالة

(**والفرق بين الأمر**) الإلهي (**والإرادة**) الربانية (كون وقوعه) يحصل ويقع (**بلا**) بغير (**محالة**) استحالة.

## وكل ما يكون كونيا فقط محبة الله له لا تشترط

(**وكل ما يكون**) بأمر الله تعالى وإرادته (**كونيا فقط**) دون أن يكون شرعيا محبوبا مرضيا لله تعالى فـ(**محبة الله**) تعالى (**له لا تشترط**) أي: ليست شرطا في أن يحبه الله تعالى، بل قد يكرهه ويبغضه، ومع ذلك يريده قدرا كونيا.

وقد أفاد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأجاد في بيان الفرق بين الإرادتين فقال: "الإرادة في كتاب الله على نوعين:

**أحدهما**: الإرادة الكونية: وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة في مثل قوله: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: 125] وقوله: ﴿**وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [هود: 34] وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾ [البقرة: 253]، وقال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾

[الكهف: 39]، وأمثال ذلك. وهذه الإرادة هي مدلول اللام في قوله: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ [هود: 118، 119].

قال السلف: خلق فريقا للاختلاف، وفريقا للرحمة. ولما كانت الرحمة هنا الإرادة، وهناك كونية، وقع المراد بها. فقوم اختلفوا، وقوم رحموا.

وأما **النوع الثاني**: فهو الإرادة الدينية الشرعية، وهي محبة المراد ورضاه، ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى، كما قال تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: 185]. وقوله تعالى: ﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة: 6]. وقوله: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: 27، 28]. فهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة، ولهذا كانت الأقسام أربعة:

**أحدها**: ما تعلقت به الإرادتان، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة. فإن الله أراده إرادة دين وشرع؛ فأمر به وأحبه ورضيه، وأراده إرادة كون فوقع؛ ولولا ذلك لما كان.

**والثاني**: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط. وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار، فتلك كلها إرادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع.

**والثالث**: ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها: كالمباحات والمعاصي فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها إذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت ولما وجدت، فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

**والرابع**: ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه، فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي وإذا كان كذلك فمقتضى اللام في قوله: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56] هذه الإرادة الدينية الشرعية. وهذه قد يقع مرادها وقد لا يقع. والمعنى أن الغاية التي يحب لهم ويرضى لهم، والتي أمروا بفعلها هي: العبادة، فهو العمل الذي خلق العباد له: أي هو الذي يحصل كمالهم وصلاحهم الذي به يكونون مرضيين محبوبين، فمن لم تحصل منه هذه الغاية كان عادما لما يحب ويرضى، ويراد له الإرادة الدينية التي فيها سعادته ونجاته، وعادما لكماله وصلاحه العدم المستلزم فساده وعذابه". انتهى[398].

**وكل ما يكون شرعيا أتى فواجب أو مستحب يا فتى**

(**وكل ما**) الذي (**يكون شرعيا**) شرعه الله تعالى (**أتى**) جاء في كتابه أو على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (**فـ**) حكمه الشرعي إما (**واجب**) وهو المطلوب الفعل طلبا جازما،[399] وهو أيضا ما يثاب فاعله، ويعاقب تاركه، وقد مر تعريفه، فجدد به عهدا (**أو مستحب**) مندوب، وهو ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه.[400] لكن قد يلام. (**يا فتى**) وأصله من فعل: فَتِيَ، بِالْكَسْرِ، يَفْتَى فَتًى فَهُوَ فَتِيُّ السنِّ بَيِّن الفَتاء. والمراد به هنا: الرجل الحذق اللبيب.

كما قال القتيبي: "ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال، يدلك على ذلك قول الشاعر:

---

(398) مجموع الفتاوى (8/ 187 إلى 190).

(399) الإبهاج في شرح المنهاج (1/ 52).

(400) شرح الورقات في أصول الفقه - المحلي (ص: 72).

إن الفتى حمال كل ملمة            ليس الفتى بمنعم الشبان [401]

واعلم ـ رحمك الله ـ : " أن الله تعالى له على عبده حكمان:

حكم شرعي ديني، وحكم كوني قدري، فالشرعي متعلق بأمره، والكوني متعلق بخلقه. وهو سبحانه له الخلق والأمر.

وحكمه الديني الطلبي نوعان بحسب المطلوب: فإن المطلوب ان كان محبوبا له فالمطلوب فعله إما واجبا وإما مستحبا، ولا يتم ذلك إلا بالصبر. وان كان مبغوضا له فالمطلوب تركه، إما تحريما وإما كراهة. وذلك أيضا موقوف على الصبر. فهذا حكمه الديني الشرعي.

واما حكمه الكونى: فهو ما يقضيه ويقدره على العبد من المصائب التى لا صنع له فيها، ففرضه الصبر عليها. وفي وجوب الرضا بها قولان للعلماء، وهما وجهان في مذهب أحمد، أصحهما: أنه مستحب.

فمرجع الدين كله إلى هذه القواعد الثلاث: فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور.

وأما الذي من جهة العبد، فإنه لا ينفك عن هذه الثلاث ما دام مكلفا، ولا تسقط عنه هذه الثلاث حتى يسقط عنه التكليف، فقيام عبودية الأمر والنهى والقدر على ساق الصبر، لا تستوي إلا عليه، كما لا تستوي السنبلة إلا على ساقها". (قاله ابن القيم رحمه الله). [402]

---

(401) لسان العرب (15/ 146).

(402) عدة الصابرين (ص: 28ـ29).

## هل الإنسانُ مُسَيَّرٌ أم مُخَيَّر؟

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| وَفي | الإراداتِ | مُخَيَّرًا | غَدَا | بِشَرْطِ | إذنِ | ربِّهِ | مُقَيَّدا |
| أضفْ | لهُ | القَبولَ | في | الشَّرعيَّةْ | باتتْ | وسيلةً | لها الكونيَّةْ |

**هل الإنسان مسير أم مخير؟**

هذا سؤال يدور كثيرا على ألسنة الناس، وقد ضلت فيه فرقتان:

**فرقة القدرية الجبرية**: تزعم أنها مجبورة على الفعل، وأنها لا اختيار لها، بل هي مسيرة. قال العلامة ابن القيم رحمه الله في وصفها إنها: "نفت فعل العبد وقدرته واختياره، وزعمت أن حركته الاختيارية ولا اختيار، كحركة الأشجار عند هبوب الرياح، وكحركات الأمواج. وإنه على الطاعة والمعصية مجبور، وإنه غير ميسر لما خلق له، بل هو عليه مقسور ومجبور".[403]

**وفرقة القدرية النفاة**: غلو في نفي القدر، وأخطأوا في هذا غاية الخطأ، فزعموا أنهم مختارون دون قيد، لكنهم أصابوا في إثبات المشيئة والاختيار للعبد، خلافا للجبرية، وأخطأوا في كونهم جعلوا اختيارهم مستقلا.

وقد لخص الناظم ـ حفظه الله ـ قول أهل السنة في هذا الباب فقال:

**وفي الإرادات مخيرا غدا بشرط إذن ربه مقيدا**

---

(403) شفاء العليل (ص: 3).

(**و**) أهل السنة الوجماعة (**في**) عقيدة (**الإرادات**) جمع إرادة، والمراد بها هنا: الإرادة الإلهية، والإرادة البشرية (**مخيرا**) خبر مقدم (**غدا**) أصبح. أي: غدا الإنسان مخيرا في الإرادات (**بشرط**) وهو (**إذن**) إرادة (**ربه**) تعالى (**مقيدا**) لأن إرادة العبد مقيدة بإرادة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (29) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [الإنسان: 29، 30]، وقال عز وجل: ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (28) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير: 28، 29].

**أضف له القبول في الشرعيه باتت وسيلة لها الكونيه**

(**أضف**) زد (**له**) الضمير يعود إلى إذن الله تعالى (**القبول**) من الله تعالى (**في**) الإرادة الشرعية (**باتت**) أمست وصارت (**وسيلة**) طريقة، وهي خبر مقدم (**لها الكونية**) اسم باتت مؤخر. والأصل: باتت الكونية وسيلة لها. لأن الإرادة الشرعية المرضية، طريقها الإرادة الكونية. لأنها لا تكون إلا بإذن الله تعالى الشرعي والكوني. بخلاف الإذن الكوني، فقد يكون متجردا عن الشرعي، كإرادة الكفر، والفسق، والشيطان، وغير ذلك مما أذن الله تعالى فيه كونا، ونهى عنه شرعا.

واعلم ـ علمني الله وإياك ـ أن الإيمان بالقدر على أربع درجات :

**أولها**: الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر، وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم، وسبق في علمه سبحانه من هو من أهل الجنة ممن هو من أهل النار، وأعد لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم. وهذه الدرجة الأولى ـ التي هي علم الله

تعالى ـ من أنكرها كفر. قال ابن رجب رحمه الله: "وقد قال كثير من أئمة السلف: ناظِروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا، وإن جحدوا فقد كفروا، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد وأن الله قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد، وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ فقد كذب بالقرآن فيكفر بذلك، وإن أقروا بذلك وأنكروا أن الله خلق أفعال العباد وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدرية، فقد خصموا، لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه، وفي تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء. وأما من أنكر العلم القديم فنص الشافعي وأحمد على تكفيره وكذلك غيرهما من أئمة الإسلام"(404)

**ثانيها**: كتابة هذا العلم في اللوح المحفوظ وإحصاؤه بحيث أن أعمال العباد وكل شيء يجري على ما سبق في علمه وكتابه ـ جل جلاله ـ كما في قوله تعالى ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [الأنعام 60]. فمن أنكر هذه الدرجة كذّب القرآن، فيكفر بذلك.

**ثالثها**: خلق أفعال العباد، أي: أن الله تعالى خلق أفعال عباده كلها: من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان. ومصداق ذلك قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام حين أنكر على قومه: ﴿**قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (95) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: 95، 96]. أي: الله خلقكم وعملكم، أو خلقكم والذي تعملونه. والأول أظهر كما قال الإمام ابن كثير في تفسيره . و أيضا صح عن النبي صلى الله عليه و سلم قوله: «**إن الله تعالى يصنع كل صانع و صنعته**»(405).

---

(404) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص30– 31.

(405) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أفعال العباد من حديث معاذ رضي الله عنه.

**رابعها**: المشيئة، ومعناها: أنه سبحانه وتعالى يشاء ما يقدره من أعمال العباد، وأن مشيئته هي النافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وأما مشيئة العباد فهي تابعة لمشيئته بنص القرآن كقوله عز وجل: ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ**﴾ فهذه تثبت المشيئة للعباد، ثم قيدها بمشيئته النافذة المطلقة فقال سبحانه: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير 28-29].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليهم مع قولهم: "إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله".[406]

فهذه الدرجات الأربع لحقيقة الإيمان بالقدر – خيره وشره – يثبتها أهل السنة والجماعة.

وأما طوائف البدعة: كالقدرية والجبرية وغيرهم، فقد فارقوهم خاصة في القول بخلق أفعال العباد والمشيئة. وذلك لبعدهم عن تدبر القرآن وعن فهم الصحابة رضي الله عنهم.

وأما تفصيل ضلالهم، والرد عليها فمبسوط في محله من كتب العقائد والشرح على الأحاديث ورسائل التوحيد، مما لا يدع للمنصف شبهة في أن أهل السنة ـ وفقهم الله تعالى ـ قد أصابوا الحق والرشاد، وأن غيرهم من الطوائف قد ضلوا الطريق وتنكبوا الصراط المستقيم، فلله الحمد هو المستعان وعليه التكلان.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في قصيدته النونية:

| | |
|---|---|
| وعمـــوم قدرتـــه تـــدل بأنـــه | هـــو خـــالق الأفعـــال للحيـــوان |
| هـــي خلقـــه حقـــا وأفعـــال لهـــم | حقـــا ولا يتنـــاقض الأمـــران |

(406) مجموع الفتاوى 8/ 459.

لكـــن أهـــل الجـــبر والتكـــذيب بـــا ... لأقـــدار مـــا انفتحـــت لهـــم عينـــان

نظـــروا بعينـــي أعـــور إذ فـــاتهم ... نظـــر البصـــير وغـــارت العينـــان

فحقيقـــة القـــدر الـــذي حـــار الـــورى ... في شـــأنه هـــو قـــدرة الـــرحمن

واستحســـن ابـــن عقيـــل ذا مـــن أحمـــد ... لمـــا حكـــاه عـــن الرضـــا الربـــاني

قـــال الإمـــام شـــفا القلـــوب بلفظـــة ... ذات اختصـــار وهـــي ذات بيـــان[407]

(407) الكافية الشافية: (ص: 36).

## كيفيّةُ تحصيلِ الحسناتِ والسّيئاتِ

| | | | |
|---|---|---|---|
| وَاسلكْ سبيلَ الحسناتِ تَغْنَمِ | | وَاتركْ سبيلَ السَّيِّئاتِ تَسْلَمِ | |
| أي حقِّقِ الإرادةَ الشَّرعيَّةَ | | مستعمِلًا لِذلكَ الكونيَّةَ | |
| وَاحذرْ فلا تخالفِ الشَّرعيَّهْ | | أوْ أنْ تُعَطِّلَنَّ بالكونيَّهْ | |

لما كانت هناك طرق لتحصيل الحسنات، وأخرى لاجتناب السيئات، بين الناظم ذلك بقوله:

**واسلك سبيل الحسنات تغنم واترك سبيل السيئات تسلم**

**(واسلك)** أي: وادخل أيها المؤمن. يقال: سلك الشيء في الشيء فانسلك، أي أدخله فيه فدخل[408]. ومنه قوله تعالى: **(كذلك سلكناه في قلوب المجرمين)** [الشعراء: 200] أي: أدخلنا الشرك في قلوب المجرمين **(سبيل)** طريق فعل **(الحسنات)** وذلك بالأقوال والأعمال المرضية، فإنك إن سلكت هذا السبيل **(تغنم)** تفز بالغنيمة، التي هي رضا الله تعالى.

**........................... واترك سبيل السيئات تسلم**

---

(408) مختار الصحاح (ص: 152).

(**واترك**) اجتنب ودع (**سبيل**) الطريق المؤدي إلى (**السيئات**) كل ما يسيئك أن تراه يوم القيامة، وهو كل ما حرمه الله تعالى ونهى عنه، فإنك إن فعلت ذلك (**تسلم**) تأمن من عقاب الله تعالى وغضبه. وفي البيت من بديع الطباق ما لا يخفى.

**أي حقق الإرادة الشرعية　　　　مستعملا لذلك الكونية**

(**أي**) معنى ذلك (**حقق**) سلوك سبيل الحسنات بـ (**الإرادة الشرعية**) أي بالامتثال لما يريده الله جل وعلا شرعا، وأمر به في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (**مستعملا لذلك**) الإرادة (**الكونية**) على ما سبق ذكره وشرحه من قبل.

**واحذر فلا تخالف الشرعيه أو أن تعطلن بالكونيه**

(**واحذر**) أيها المؤمن (**فلا تخالف**) تعارض الإرادة (**الشرعية**) الربانية (**أو أن تعطلن**) الأخذ (**بـ**) الإرادة (**الكونية**) كطائفة القدرية الشركية الذين اعترفوا بالقضاء والقدر، وزعموا أن ذلك يوافق الأمر والنهي، وقالوا: ﴿**لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: 148] إلى آخر الكلام في سورة الأنعام. ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [النحل: 35]، وفي سورة [الزخرف: 20] ﴿**وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ**﴾ فهؤلاء يئول أمرهم إلى تعطيل الشرائع والأمر والنهي مع الاعتراف بالربوبية العامة لكل مخلوق، وأنه ما من دابة إلا ربي آخذ بناصيتها، وهو الذي يبتلي به كثيرا – إما اعتقادا وإما حالا – طوائف من الصوفية والفقراء حتى يخرج من يخرج منهم إلى الإباحة

للمحرمات، وإسقاط الواجبات، ورفع العقوبات. وإن كان ذلك لا يستتب لهم وإنما يفعلونه عند موافقة أهوائهم، كفعل المشركين من العرب. ثم إذا خولف هوى أحد منهم قام في دفع ذلك متعديا للحدود غير واقف عند حد، كما كانت تفعل المشركون أيضا". (قاله ابن تيمية رحمه الله).[409]

---

(409) مجموع الفتاوى (8/ 256 ـ 257).

# علمُ الغَيبِ

| | |
|---|---|
| وَعلمُ غيبٍ ثالثُ المحَاوِرِ | ما كانَ أو ما ممكنٌ في الغابِرِ |
| وَما يكونُ الآنَ أو ما يُحْتَمَلْ | وَممكِنٌ وَما يكونُ في الأَزَلْ |
| وَمِنهُ علمٌ عَمَّ صارَ مُطَّلَعْ | حتَّى وَلو جبريلُ وحدَهُ اطَّلعْ |
| وَمِنْهُ ما يَخُصُّ ربَّنا اسْتَتَرْ | لا مَلَكٌ حَظَى بهِ وَلا بَشَرْ |
| لأنَّ ربَّنا بهِ لمْ يُخْبِرِ | أنواعُهُ: خِتامُ "لا تُصَعِّرِ" |

مما يعتقده المؤمن: أن علم الغيب قد تفرد به الله جل وعلا، ومن زعم أنه يعلمه فقد كفر.

ففي الحديث الصحيح: «**من أتى كاهنًا، فصدَّقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد**»[410]. وقد وردت آيات كثيرة في هذا الباب، منها:

قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [فاطر: 38].

وقوله تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾ [الأنعام: 59].

وقوله تعالى: ﴿**وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ**﴾ [هود: 31].

وقوله تعالى: ﴿ (**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [النمل: 65].

(410) سلسلة الأحاديث الصحيحة (7/ 1155).

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: 188].

وقد أشار الناظم في هذا الباب بقوله:

**وعلم غيب ثالث المحاور ما كان أو ما ممكن في الغابر**

(**وعلم**) مضاف إلى (**غيب**) نكرة، أي: كل غيب (**ثالث المحاور**) أي ينفسم إلى ثلاث محاور:

**...................... ما كان أو ما ممكن في الغابر**

**المحور الأول**: (**ما كان**) قبل ظهوره (**أو ما ممكن**) وجوده (**في الغابر**) الماضي.

**وما يكون الآن أو ما يحتمل وممكن وما يكون في الأزل**

(**وما يكون الآن**) في الحاضر (**أو ما يحتمل**) وجوده الآن (**وممكن**) ظهوره (**وما يكون في الأزل**) الأزل: استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي.[411]

---

(411) التعريفات (ص: 17).

**ومنه علم عم صار مطلع حتى ولو جبريل وحده اطلع**

**المحور الثاني**: **(ومنه)** أي علم الغيب **(علم)** قد **(عم)** شمل و**(صار)** أصبح **(مطلع)** بفتح اللام، والأصل: مطلعا، لأنه خبر صار، لكن للضرورة الشعرية وقف عليه بالجزم. أي: هناك علم من العلوم الغيبية، تخرج من الغيب إلى الشهود، فيطلع عليها الخلائق **(حتى ولو)** المَلك **(جبريل)** عليه السلام **(وحده اطلع)** عليه. لأن هذا الغيب قد شاع وعمّ، فخرج من الغيب إلى الشهود.

**ومنه ما يخص ربنا استتر لا ملك حظى به ولا بشر**

**المحور الثالث**: **(ومنه)** أي علم الغيب **(ما يخص ربنا)** جل وعلا **(استتر)** عن المخلوقات جميعها، واحتجب، فلا أحد اطلع عليه **(لا ملَك)** مقرب **(حظى به)** منزلة وقربة. يقال: "رجل حظي إذا كان ذا حظوة ومنزلة، وقد حظي عند الأمير واحتظى به بمعنى"[412] **(ولا بشر)** مهما بلغ من الولاية، ولو كان نبيا مرسلا. وذلك:

**لأن ربنا به لم يخبر أنواعه ختام: (لا تصعر)**

**(لأن ربنا)** جل وعلا **(به)** جار ومجرور متعلق بعلم الغيب الذي ستره الله تعالى عن كل مخلوقاته. وفي تقديم الجار والمجرور حصر وقصر لهذا الغيب، ولذلك قال عنه: **(لم يخبر)** به.

---

(412) لسان العرب (14/ 185).

(**أنواعه**) ذكرت في (**ختام**) سورة لقمان التي فيها قوله تعالى: (**لا تصعر**) يعني: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ) [لقمان: 18]. قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر وعاصم ويعقوب (ولا تصعّر) بتشديد العين من غير ألف، وقرأ الباقون بتخفيف العين مع ألف قبلها.

والمراد بختام السورة، قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [لقمان: 34]. وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر**».(413)

(413) صحيح البخاري: حديث رقم: 1039، و 4627، و 4697، و 7379.

# اللّوحُ المحفُوظ

وَربُّنا في اللَّوحِ سَطَّرَ القدرْ مِنْ قبلِ خَلْقِ الخَلْقِ جاءَ في الخَبَرْ
لوحٌ مِنَ التَّحريفِ محفوظٌ وَمِنْ مُطَّلعٍ إلَّا لِمَنْ لهُ أُذِنْ
وَالخَلْقُ لنْ يُحَاسَبوا بما كَتَبْ بلْ كلُّهمْ مُحَاسَبٌ بما كَسَبْ

**اللوح المحفوظ:**

اللوح: لغة كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب.[414] ذكر الله تعالى اللوح المحفوظ في كتابه فقال: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾ [البروج: 21، 22]. قرئ: (مَحْفُوظٍ) بالجر صفة لَوْحٍ، وبالرفع صفة قُرْآنٌ.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله[415]: "وأجمعوا على أنه تعالى قد قدر جميع أفعال الخلق وآجالهم وأرزاقهم قبل خلقه لهم، وأثبت في اللوح المحفوظ جميع ما هو كائن منهم إلى يوم

---

(414) لسان العرب (2/ 584).

(415) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصح أبي أبي موسى الأشعري (260 – 324 هـ = 874 – 936 م): مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. (الأعلام للزركلي (4/ 263).

يبعثون، وقد دل على ذلك بقوله: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**﴾ [القمر: 52، 53]".[416]

قال الناظم في تعريفه اللوح عند أهل السنة:

**وربنا في اللوح سطر القدر من قبل خلق الخلق جاء في الخبر**

(**وربنا**) جل وعلا (**في اللوح**) المحفوظ (**سطر**) كتب (**القدر**) مقادير الخلائق، (**من قبل خلق**) الله تعالى (**الخلق**) المخلوقات، كما (**جاء**) ورد (**في الخبر**) الصحيح، عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**».[417]

**لوح من التحريف محفوظ ومن مطلع إلا لمن له أذن**

(**لوح**) خبر لمبتدإ محذوف، تقديره: هذا اللوح: لوح (**من التحريف**) جار ومجرور متعلق بـ(**محفوظ**) نعت ـ لوح ـ أي: محفوظ من التحريف من قبل الشياطين، ومحفوظ من التغيير أو التبديل. كما في قراءة لقوله تعالى: ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾ [البروج: 21، 22]. قرئ: (مَحْفُوظٍ) بالجر صفة لَوْحٍ.

---

(416) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: 140).

(417) صحيح مسلم (4/ 2044).

**والخلق لن يحاسبوا بما كتب بل كلهم محاسب بما كسب**

**(والخلق)** الثقلان: الجن والإنس، على الخصوص، لأنهم هم الذين سيحاسبون، ثم يجزون بالجنة أو النار، أما البهائم فيقتص بعضها من بعض ثم تصير ترابا، كما في الحديث: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء".[418] **(لن يحاسبوا)** يوم القيامة **(بما كتب)** في اللوح المحفوظ **(بل كلهم)** جميعهم **(محاسب)** ومجزي **(بما كسب)** بنفسه، وعمله بجوارحه، مريدا، ومختارا.

قال مقيده ـ عفا الله عنه ـ: وههنا مسألة لم يذكرها الناظم، وهي محاسبة من رفع عنهم القلم، أو لم يأتهم نذير، فما هو حكمهم؟

الجواب: قال صلى الله عليه وسلم: «**أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة: فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا وأما الأحمق فيقول: رب جاء الإسلام وما أعقل شيئا والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب إليها**».[419]

---

(418) صحيح مسلم (4/ 1997).

(419) صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 213 ـ 214)، واحتج به ابن القيم في طريق الهجرتين وأطال البحث (ص: 397 وما بعدها).

# القَدَرِيَّةُ وَالجَبْرِيَّةُ

وَاحذرْ مِمَّنْ يقولُ بالبداءةِ مذهبُ سوءٍ مِنْ تَبَنِّي الشِّيعةِ
مِنْ قَدَرِيَّةٍ تقولُ: إنَّنا مُخَيَّرُونَ دونَ إذنِ ربِّنا
نَفَوا بِذا عِلْمَ الإلهِ ما يَغِبْ ما اختَصَّهُ في لَوحِهِ الَّذي كُتِبْ
وَمِنْ نُفَاةِ حكمةٍ وَعِلَّةٍ كمذهبِ الإخوانِ وَالصُّوفيَّةِ
جَبْرِيَّةٍ نَفَوا إرادةَ البشَرْ بِزَعْمِهِمْ بالشَّرِّ وَالخيرِ انْجَبَرْ

**القدرية والجبرية:**

**القدرية**: هم أتباع معبدٍ الجُهَنِيّ، وغيلان الدمشقي، المنكرون للقدر، المكذبون بتقدير الله تعالى لأفعال العباد، الذين قالوا: إن علم الله مستأنفٌ ليس بقديم، وإن العباد هم الموجِدون لأعمالهم. وبقولهم قالت المعتزلة.

**وأما الجبريَّة**: فهم الجهمية ومن وافقهم؛ القائلون: إن العباد لا إرادة لهم ولا قدرة لهم على فعل الطاعات ولا ترك المنهيات، وهم مجبورون على فعل ذلك كله، وهم نقيض القدرية.

أما أهل السنة والجماعة، فإنهم وسط بين الجبرية والقدرية، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك؛ كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ بل هم الوسط في فرق الأمة؛ كما أن الأمة

هي الوسط في الأمم؛ فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة؛ وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية. وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم.

وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية.

وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرافضة والخوارج". [420]

قال الناظم:

**واحذر ممن يقول بالبداءة مذهب سوء من تبني الشيعة**

**(واحذر)** أيها الموحد **(ممن يقول)** معتقدا **(بالبداءة)** المراد بالبداءة هنا: أنه الله تعالى يأمر بالشيء فيبدو له تغييره وعدم إنفاذه ـ تعالى الله علوا كبيرا عما يقوله المفترون ـ وكأنه سبحانه لم يكن يعلم حين أمر، ثم بدا له بعد مدة أن يأمر بغيره. وتُسمى هذه الطائفة بالبَدائية ـ بفتح الباء ـ وهي إحدى فرق الشيعة الشنيعة من بين اثنتين وعشرين فرقة. وقد صنفها الإمام عبد القاهر البغدادي رحمه الله من الفرق الكافرة بهذا المعتقد الفاسد. [421]

---

(420) العقيدة الواسطية.

(421) الفرق بين الفرق (ص: 27)، والإمام عبد القاهر البغدادي هو: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، ابو منصور: عالم متفنن، من أئمة الأصول. كان صدر الإسلام في عصره. ولد ونشأ في بغداد. (الأعلام للزركلي (4/ 48).

قال العلامة أبو المظفر الإسفرايني رحمه الله: "وَاعْلَم أَن السَّبَب الَّذِي جوزت الكيسانية البداء على الله تَعَالَى أَن مُصعب ابْن الزبير بعث إِلَيْهِ عسكرا قَوِيا فَبعث الْمُخْتَار إِلَى قِتَالهمْ أَحْمد بن شميط مَعَ ثَلَاثَة آلَاف من الْمُقَاتلَة وَقَالَ لَهُم أوحى إِلَيّ أَن الظفر يكون لكم فَهزمَ ابْن شميط فِيمَن كَانَ مَعَه فَعَاد إِلَيْهِ فَقَالَ أَيْن الظفر الَّذِي قد وعدتنا فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَار هَكَذَا كَانَ قد وَعَدَني ثمَّ بدا فانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد قَالَ يمحو الله مَا يَشَاء وَيثبت وَعِنْده أم الْكتاب ثمَّ خرج الْمُخْتَار إِلَى قتال مُصعب وَرجع مهزوما إِلَى الْكُوفَة فَقَتَلُوهُ بهَا". [422]

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله عن البداء: " هو معتقد للكيسانية (المختارية) أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي، والكيسانية عدة فرق يجمعها القول بأمرين: الأول: قولهم بإمامة محمد ابن الحنفية. والثاني: قولهم بجواز البداء على الله عز وجل، والبداء له معان: البداء في العلم؛ وهو أن يظهر له خلاف ما علم. والبداء في الإرادة؛ وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم. والبداء في الأمر؛ وهو أن يأمر بشيء، ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف الأول، وهو النسخ". [423]

**.............................    مذهب سوء من تبني الشيعة**

فإن القول بالبداءة (**مذهب سوء**) لأنه مأخوذ عن اليهود المغضوب عليهم، وفيه وصف لله تعالى بالنقص والجهل ـ عياذا بالله ـ وقد أحدثوا هذا المعتقد حتى إذا ما أخبر أئمتهم ـ المعصومون ـ بغيب ثم ظهر خلاف ذلك قالوا: "بدا لله فيه، فغيّره" !.

---

(422) التبصير في الدين (ص: 34).

(423) الاعتصام للشاطبي تحقيق الشقير والحميد والصيني (3/ 354).

**(من)** ابتدائية، أي هذا المذهب جاء من **(تبني)** معتقد **(الشيعة)** الروافض. وهم ـ كما قال العلامة ابن خلدون رحمه الله: "اعلم: أنّ الشّيعة لغة هم الصّحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلّمين من الخلف والسّلف على اتّباع عليّ وبنيه رضي الله عنهم. ومذهبهم جميعا متّفقين عليه أنّ الإمامة ليست من المصالح العامّة الّتي تفوّض إلى نظر الأمّة، ويتعيّن القائم بها بتعيينهم. بل هي ركن الدّين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبيّ إغفاله ولا تفويضه إلى الأمّة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوما من الكبائر والصّغائر، وإنّ عليّا رضي الله عنه هو الّذي عيّنه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤوّلونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السّنّة، ولا نقله الشّريعة. بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة". انتهى.(424)

وأشهر فرق الشيعة في عصرنا هم: الإسماعيلية والزيدية والاثني عشرية. ولكن الاثني عشرية أخطرها، فإنهم منتشرون في كثير من البلدان، ويسعون لتشييع أهل السنة، ويُسخّرون في ذلك القنوات الإذاعية كالمنار وغيرها.

وقد سموا باسم الشيعة الاثني عشرية، لاعتقادهم بإمامة اثني عشر إماما بعد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويسمون أيضا بالشيعة الإمامية، والجعفرية، ويسميهم أهل السنة بالروافض، أو الرافضة، لأنهم رفضوا خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ويتواجدون بكثرة في دولتهم إيران، ولهم تواجد كبير في العراق ولبنان والبحرين، ولهم أتباع في بعض البلدان، كالمملكة السعودية والكويت. ولهم أيضا أنشطة في أوربا، وبعض بلدان المغرب العربي، أخزاهم الله وأبعدهم.

---

(424) تاريخ ابن خلدون (1/ 246).

وقد كشف أئمة السنة شبهاتهم، وترهاتهم، وجهالاتهم. وحسبك كتاب: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ففيه ما يكفي ويشفي. وكذلك كتاب العواصم من القواصم للقاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله، وغيرها من كتب أهل السنة.

**من قدرية تقول: إننا مخيرون دون إذن ربنا**

(من) لبيان الجنس، أي شيعة (قدرية) وهم من الزيدية أصحاب زيد بن علي رضي الله عنه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " والزيدية المقرون بخلافة الخلفاء الثلاثة هم من الشيعة، وفيهم قدرية وغير قدرية، والزيدية خير من الإمامية الجارودية أتباع أبي الجارود". انتهى. [425]

فالشيعة القدرية تزعم و(**تقول: إننا مخيرون**) في أعمالنا من (**دون إذن ربنا**) خلقا وإرادة.

**نفوا بذا علم الإله ما يغب ما اختصه في لوحه الذي كتب**

قد (**نفوا بـ**) ها (**ذا**) الاعتقاد (**علم الإله**) جل وعلا المطلق (**ما**) الذي (**يغب**) و(**ما**) الذي (**اختصه**) وتفرد به (**في لوحه**) المكنون (**الذي كُتب**) مبني لما لم يسم فاعله، والذي كتب فيه هو الله تعالى، بأمره للقلم. كما في الحديث الصحيح من حديث عبد الواحد بن سليم قال: قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت له: يا أبا محمد، إن أهل البصرة يقولون في القدر، قال: يا بني، أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فاقرأ الزخرف، قال: فقرأت: ﴿**حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾ [الزخرف: 1- 4] فقال: أتدري ما أم الكتاب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السموات

(425) منهاج السنة النبوية (3/ 9-10).

وقبل أن يخلق الأرض، فيه إن فرعون من أهل النار، وفيه تبت يدا أبي لهب وتب، قال عطاء: فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته: ما كانت وصية أبيك عند الموت؟ قال: دعاني أبي فقال لي: يا بني، اتق الله، واعلم أنك لن تتقي الله حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره، فإن مت على غير هذا دخلت النار، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد**».[426]

### ومن نفاة حكمة وعلة كمذهب الإخوان والصوفية

**(و)** احذر أيضا **(من)** فرقة **(نفاة حكمة)** الحكمة لغة: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه تمنعه عن مخالفة راكبه، ولما كانت الحكمة تأخذ بفم الدابة وكان الحنك متصلا بالرأس جعلها تمنع من هي في رأسه كما تمنع الحكمة الدابة[427]. **(وعلة)** والعلة: لغة: عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل بلا اختيار، ومنه يسمى المرض علة؛ لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف، وشريعةً: عبارة عما يجب الحكم به معه، والعلة في العروض: التغيير في الأجزاء الثمانية، إذا كان في العروض والضرب[428].

---

(426) رواه الترمذي في سننه وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه(4/ 457)، انظر مسند أبي داود الطيالسي (1/ 471)، والإبانة الكبرى لابن بطة (3/ 334)، وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة (133) ، وفي تخريج الطحاوية (271) ، والمشكاة (94) ، والظلال (102 - 105).

(427) لسان العرب (12/ 144).

(428) التعريفات (ص: 154).

والمراد بنفاة الحكمة والعلة: الأشاعرة[429].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولأهل الكلام هنا: ثلاثة أقوال لثلاث طوائف مشهورة، وقد وافق كل طائفة ناس من أصحاب الأئمة الأربعة، أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد.

**القول الأول**: "قول من نفى الحكمة" وقالوا هذا يفضي إلى الحاجة؛ فقالوا يفعل ما يشاء لا لحكمة فأثبتوا له القدرة والمشيئة وأنه يفعل ما يشاء. وهذا تعظيم. ونفوا الحكمة لظنهم أنها تستلزم الحاجة. وهذا قول الأشعري وأصحابه ومن وافقهم: كالقاضي أبي يعلى وابن الزاغوني والجويني والباجي ونحوهم، وهذا القول في الأصل قول جهم بن صفوان ومن اتبعه من المجبرة"[430].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "والطائفة الثانية أقرت بقدرته وعموم مشيئته للكائنات وجحدت حكمته وما له فى خلقه من الغايات المحمودة المطلوبة له سبحانه، التى يفعل لأَجلها ويأْمر لأَجلها، فحافظت على القدر وجحدت الحكمة، وهؤلاءِ هم النفاة للتعليل والأَسباب والقوى والطبائع فى المخلوقات، فعندهم لا يفعل لشيء ولا لأجل شيء، وليس فى القرآن عندهم لام تعليل، ولا باءُ تسبب، وكل لام توهم التعليل فهي عندهم لام العاقبة، وكل باءٍ تشعر بالتسبب فهي عندهم باءُ المصاحبة. وهؤلاء سلطوا نفاة القدر عليهم بما نفوه من الحكمه والتعليل والأسباب فاستطالوا عليهم بذلك، ووجدوا مقالًا واسعًا بالشناعة، فقالوا وشنعوا.

ولعمرو الله، إنهم لمحقون فى أَكثر ما شنعوا عليهم به، إِذ نفي الحكمة والتعليل والأَسباب له لوازم فى غاية الشناعة، والتزامها بمكابرة ظاهرة لعامة العقلاءِ"[431].

---

(429) الأشاعرة: لقب لأتباع أبي الحسن الأشعري رحمه الله.

(430) مجموع الفتاوى (8/ 37 ـ 38).

(431) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: 110 ـ 111).

وقال الإمام ابن الوزير رحمه الله: "وعبارة أهل الكلام في تفسير الحكمة: أنها إثبات داع راجح إلى جميع ما فعله الله وأراده وإن خفي على خلقه أو كثير منهم. والمرجع بهذا الداعي إلى علم الله تعالى بالمصالح والغايات الحميدة.

وسبب وقوع الخلاف في ذلك، أن قوما ممن أثبت الحكمة غلوا في ذلك فأوجبوا معرفة العقول للحكمة بعينها على جهة التفصيل، فجاؤا بأشياء ركيكة فردّ عليهم ذلك طائفة من الأشعرية، وغلوا في الرد وأرادوا حسم مواد الاعتراض بنفي التحسين العقلي، واستلزم ذلك نفي الحكمة. فتجاوزوا الحد في الرد، فوقعوا في أبعد مما ردوه، وأشد. وخير الأمور أوسطها.

والقول بحكمة الله تعالى أوضح من أن يروى عن صحابي أو تابعي أو مسلم سالم من تغيير الفطرة التي فطر الله خلقه عليها، ولذلك تقر به العوام من كل فرقة، ويقر به كل من لم يتلقن خلافه من اتباع غلاة بعض المتكلمين، على ما فيهم من الشذوذ. وقد اجتهدوا واحتالوا في تحسين مذهبهم بمجرد عبارات مزخرفة ليس تحتها أثارة من علم، مثل تسمية الحكمة: العلة. وإيهام أن القول بالحكمة يقدح في كون الله غنيا. وهذا من أبطل الباطل. ولو كان ذلك يقدح في غناه وجب أن يقدح في غناه وجوب وصفه بكونه عليما قديرا سميعا بصيرا، إلى سائر أسمائه الحسنى. خصوصا كونه تعالى مريدا. ولزم مذهب الملاحدة في نفي جميع أسمائه، وكان المعدوم والجماد أغنى الأغنياء. وقد تقرر في قواعد أهل الاسلام نفي التشبيه عن ذات الله تعالى وصفات وأفعاله، وتقرر أن المراد بنفي التشبيه: تعظيم الرب جل وعز في ذاته وصفاته وأفعاله، لا نفي الصفات والأسماء والمدائح". [432]

وقال الشيخ رشيد رضا رحمه الله: "انقسم الناس في هذه المسألة إلى فريقين: الأول: من نفى الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى، وهم الفلاسفة والأشعرية. والثاني: من أثبت الحكمة والتعليل وهم السلف ومن وافقهم.

---

(432) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات (ص: 182 ـ 183).

فالفريق الأول وهم النفاة؛ الفلاسفة والأشعرية، يقولون: إن الله تعالى خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لا لعلة ولا لداع ولا باعث، بل إنه تعالى فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الإرادة".[433]

**كمذهب الإخوان والصوفية** ..........................

**(كمذهب)** المذهب: لغة اسم مصدر أَصل مادته: " ذَهَبَ " على وزن: "فَعَلَ" وهو من الذهاب إلى الشيء والمضي إلى طريقه. والمراد به هنا: "المذهب الفروعي ينتقل إِليه الإِنسان، وطريقة فقيه يسلكها المتابع المتمذهب له. ويُقال: ذهب فلان إلى قول أبي حنيفة، أَو مالك، أَو الشافعي، أو أحمد، أَي: أخذ بمذهبه وسلك طريقه في فقهه، رواية، واستنباطًا، وتخريجًا على مذهبه فآل إِلى "حقيقة عرفية " بجامع سلوك الطريقين بين الحقيقة اللغوية، والعرفية الاصطلاحية".[434]فصار المعنى: كطريق ومنهج جماعة حركة **(الإخوان)** المسلمين، التي تنادي بالرجوع إلى الإسلام وتطبيق الشريعة، والتصدي لفصل الدين عن الدولة ومنابذة المد العلماني في العالم الإسلامي، بالطرق السلمية، واللعبة الديمقراطية.

وقد أسسها الشيخ حسن البنا رحمه الله سنة 1327هـ/ 1928 في مصر، وانتشر فكر الجماعة خارج مصر أيضًا، فتأسست في الأردن سنة 1364هـ/ 1945م، ثم تتابع التأسيس في كثير من الدول حتى عم كثيرًا من دول العالم.

---

(433) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة (ص: 613).

(434) المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد (1/ 32).

أما عن منهج الجماعة: فقد لخصه مرشدها البنا رحمه الله فقال: الإسلام عبادة وقيادة، ودين ودولة، وروحانية وعمل، وصلاة وجهاد، وطاعة وحكم، ومصحف وسيف، لا ينفك واحد من هؤلاء عن الآخر.

ويقول أيضًا: إن الإخوان المسلمين دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية وثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية.

ويذكر أيضًا خصائص الجماعة فيقول: هي ربانية وعالمية وإسلامية ويقرر أيضًا أن مراتب العمل للأخ الصادق هي: إصلاح النفس، وتكوين البيت المسلم، وإرشاد المجتمع، وإصلاح الحكومة، وإعادة الكيان للدولة الإسلامية، ونشر دعوة الإسلام في العالم.[435]

وقد سئلت لجنة الفتوى بالمملكة السعودية، ما يلي:

سؤال: في العالم الإسلامي اليوم عدة فرق وطرق الصوفية مثلا: هناك جماعة التبليغ، الإخوان المسلمين، السنيين، الشيعة، فما هي الجماعة التي تطبق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؟

الجواب: أقرب الجماعات الإسلامية إلى الحق وأحرصها على تطبيقه: أهل السنة: وهم أهل الحديث، وجماعة أنصار السنة، ثم الإخوان المسلمون. (ا.هـ).[436]

وأما ما اعتُبر بدعة وضلالا عند الجماعة، فيتخلص في ثلاثة أمور:

**الأول**: يقولون بالتفويض في الأسماء والصفات. فوقعوا في التعطيل.

**الثاني**: عدم التحرير في مسألة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم.

---

(435) فتاوى الشبكة الإسلامية.

(436) فتاوى اللجنة الدائمة (2/ 237).

**الثالث**: التصوف.

كما يؤاخذ على الشيخ البنا قولته المشهورة: "نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه". أضف إلى ذلك انحراف كثير من أتباعه عن عقيدة الولاء والبراء، التي هي: من أصول الدين. كما مر بيانها.

وأما تحذير الناظم ـ حفظه الله ـ من مذهب الإخوان، لكونهم متشبعين بالعقيدة الأشعرية، والتي مر معنا أنهم ـ أي الأشاعرة ـ ينفون الحكمة والعلة.

أضف إلى ذلك أن مذهب الإخوان قد ظهرت عوراته، وانكشفت طاماته، بما هم عليه من انحراف في منهج التغيير، وفي كيفية نظرهم إلى نصوص الوحيين. وحسبك أن تقرأ ـ أو تسمع ـ لأقطابهم ورؤوسهم في هذا العصر، ممن مات وممن لا زال حيا، مثل: المرشد حسن الهضيبي، وعمر التلمساني، ومحمد حامد أبي النصر، ومصطفى مشهور، ومحمد مأمون الهضيبي، ومحمد مهدي عاكف، ومحمد بديع، رحمهم الله، وحسن الترابي، ومحمد سليم العوا، وفهمي هويدي، وطه جابر العلواني، وجمال أحمد عبد الرحمن البنا، وخالص مجيب جلبي، ومحمد عمارة، وراشد الغنوشي، وعلي جمعة، وعبد الحميد الأنصاري، وحامد أبي طالب العميد السابق بكلية الشريعة بمصر، والشيخ الزفزاف الأزهري، وعبد المقصود باشا، وغيرهم ممن وقع بعضهم في الردة، وهو يدري أو لا يدري. وحسبك ما أشار إليه الشيخ الدكتور القاضي برهون المغربي في كتابه: "تحصين الأمة وحماية الملة بإقامة حكم الردة".

(و) مذهب (**الصوفية**) وقد مر ذكرهم. والقول العدل فيهم ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قال: "والصواب: أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب. ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه.

وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج مثلا؛ فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق. مثل: الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره. كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي؛ في " طبقات الصوفية ". وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد. فهذا أصل التصوف.

ثم إنه بعد ذلك تشعب وتنوع وصارت الصوفية ثلاثة أصناف: صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسم.

فأما صوفية الحقائق: فهم الذين وصفناهم. وأما صوفية الأرزاق: فهم الذين وقفت عليهم الوقوف. كالخوانك فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق. فإن هذا عزيز وأكثر أهل الحقائق لا يتصفون بلزوم الخوانك؛ ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط:

**أحدها**: العدالة الشرعية، بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

**والثاني**: التأدب بآداب أهل الطريق، وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات، وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت إليها.

**والثالث**: أن لا يكون أحدهم متمسكا بفضول الدنيا. فأما من كان جماعا للمال أو كان غير متخلق بالأخلاق المحمودة، ولا يتأدب بالآداب الشرعية، أو كان فاسقا فإنه لا يستحق ذلك.

وأما صوفية الرسم: فهم المقتصرون على النسبة، فهمهم في اللباس والآداب الوضعية ونحو ذلك، فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زي أهل العلم، وأهل الجهاد، ونوع ما من أقوالهم وأعمالهم، بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره أنه منهم وليس منهم". [437]

---

(437) مجموع الفتاوى (11/ 18إلى 20).

(**جبرية**) نعت لـ:(**نفاة حكمة وعلة**) الذين هم الأشاعرة، ويدخل فيهم جماعة الإخوان لأنهم أشاعرة، والصوفية الجبرية. فإن الكل (**نفوا**) واستبعدوا (**إرادة البشر**) فقالوا: لا إرادة لهم على الحقيقة، بل هم كالميت بين يدي الغاسل (**بزعمهم**) الكاذب (**بـ**) ارتكاب (**الشر و**) فعل (**الخير**) البشرُ (**انجبر**) والمعنى: أنهم يزعمون أن البشر مجبورون على الخير والشر، بل ومثاب على فعل الشر، كثوابهم على فعل الخير، لأنه في زعمهم كل منهما مرضي لله ـ تعالى عما يقوله الجهلة ـ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الصوفية الجبرية، إنهم قالوا: "إن الكفار لهم خفراء[438] من أولياء الله، كما للمسلمين خفراء من أولياء الله.

ويظن كثير منهم أن أهل الصفة قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المغازي فقال: "يا أصحابي تخلوني وتذهبون عني؟ فقالوا: نحن مع الله، من كان مع الله كنا معه!".

ويجوزون قتالَ الأنبياء وقتلَهم، كما قال شيخ مشهور منهم كان بالشام: "لو قتلت سبعين نبيا ما كنت مخطئا".

فإنه ليس في مشهدهم لله محبوب مرضي مراد، إلا ما وقع. فما وقع فالله يحبه ويرضاه، وما لم يقع فالله لا يحبه ولا يرضاه".[439]

قال الشيخ سفر الحوالي: "أراد الأشاعرة هنا أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية فجاءوا بنظرية الكسب وهي في مآلها جبرية خالصة؛ لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير، أما حقيقتها النظرية الفلسفية فقد عجز الأشاعرة أنفسهم عن فهمها فضلا عن إفهامها لغيرهم ولهذا قيل:

---

(438) خُفراء: جمع خفير، وهو الحارس. (المعجم الوسيط (1/ 246).

(439) مجموع الفتاوى (8/ 349).

ممـــــا يقـــــال ولا حقيقـــــة تحتــــــه معقولـــــــة تـــــــدنو إلى الأفهـــــــام

الكســـب عنـــد الأشـــعري والحـــال عنـــد البهشـــمى وطفـــرة النظـــام

ولهذا قال الرازي الذي عجز هو الآخر عن فهمها: "إن الإنسان مجبور في صورة مختار".

أما البغدادي فأراد أن يوضحها فذكر مثالا لأحد أصحابه في تفسيرها شبه فيه اقتران قدرة الله بقدرة العبد مع نسبة الكسب إلى العبد "بالحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل ويقدر آخر على حمله منفردا به فإذا اجتمعا جميعا على حمله كان حصول الحمل بأقواهما، ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملا"!!

وعلى مثل هذا المثال الفاسد يعتمد الجبرية، وبه يتجرأ القدرية المنكرون؛ لأنه لو أن الأقوى من الرجلين عذب الضعيف وعاقبه على حمل الحجر فانه يكون ظالما باتفاق العقلاء، لأن الضعيف لا دور له في الحمل، وهذه المشاركة الصورية لا تجعله مسؤولا عن حمل الحجر.

والإرادة عند الأشاعرة معناها "المحبة والرضا" وأولوا قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ [الزمر: 7] بأنه لا يرضاه لعباده المؤمنين! فبقي السؤال واردا عليهم: وهل رضيه للكفار أم فعلوه وهو لم يرده؟. وفعلوا بسائر الآيات مثل ذلك.

ومن هذا القبيل كلامهم في الاستطاعة، والحاصل أنهم في هذا الباب خرجوا عن المنقول والمعقول ولم يعربوا عن مذهبهم فضلا عن البرهنة عليه!!". (440)

---

(440) منهج الأشاعرة في العقيدة (ص: 82 ـ 83).

## القَضَاءُ والقَدَرُ

**وَما مضى مِنَ المُقَدَّرِ: القَضَا وَالقَدَرُ: الَّذي بَقِيْ وَما مضى**
**وَيُعرَفا أيضًا بمعنىً آخَرِ هما: الإراداتُ معَ الأوامرِ**

**وما مضى من المقدر: القضا والقدر: الذي بقي وما مضى**

(**وما**) موصولة أي: والذي (**مضى من المقدر**) في علم الله تعالى، فذاك هو (**القضا**) أي القضاء. (**و**) أما (**القدر**) فهو (**الذي بقي**) أمره (**وما**) موصولة أي الذي (**مضى**) أي فرغ منه.

**ويعرفا أيضا بمعنى آخر ... هما الإرادات مع الأوامر**

(**ويعرفا**) أي القضاء والقدر (**أيضا**) كذلك (**بمعنى آخر**) وهو أن (**هما**) أولا: (**الإرادات**) الربانية (**مع الأوامر**) الشرعية والكونية.

وقد مضى تعريف القضاء والقدر، بأوسع من هذا من قبل، مع ذكر محاوره الثلاثة، فراجعه إن شئت.

# أَلفاظٌ تُستَعمَلُ في القضاءِ والقَدَرِ

## كلمة "إن شاء الله"

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| وَواجبٌ | تعليقُنا | المشيئةَ | وَذاكَ | قبلَ | فِعْلِنا الإرادةَ |
| وَإِنْ تكنْ | بِربِّنا | معلَّقهْ | فجائزٌ | أنْ | نَنْوِها مُحَقَّقهْ |

كلمة: " إن شاء الله" يستعملها العبد معلقا فعله بمشيئة الله تعالى، لذا فـ" إن " شرطية و"شاء" فعل الشرط و" الله" اسم الجلال فاعل. وجواب الشرط محذوف متعلق بنية قائلها.

قال الناظم عن حكم النطق بها:

**وواجب تعليقنا المشيئة وذلك قبل فعلنا الإرادة**

**(وواجب)** وجوب أدب وسنة وتبرك، لا وجوب فرض الذي يأثم تاركه **(تعليقنا المشيئة)** وهي قولنا: "إن شاء الله". لأننا نعتقد أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن **(وذلك)** التعليق يكون **(قبل فعلنا الإرادة)** التي عزمنا على فعلها، لأنها تكون في المستقبل. ونحن لا ندري هل سيمكننا فعل

ما نريد أم نعجز، ومن ثم علقنا المشيئة والإرادة بالله تعالى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: "ولم يجئ في الكتاب والسنة استثناء في الماضي بل في المستقبل".[441]

وفي هذا قال جل وعلا: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَدًا (23) إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ وَقُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 23ـ 24]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "هذا إرشاد من الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل، أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل، علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون".[442]

**<u>وههنا مسألة فقهية</u>:**

قال خلف بن أبي القاسم المالكي رحمه الله (توفي: 372): " ومن حلف بشيء من أسماء الله أو صفاته، أو نذر لا مخرج له منه فقال: "إن شاء الله".

فإن أراد بذلك الاستثناء فلا حنث عليه، وإن أراد به معنى قول الله تعالى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا. إِلاّ أَن يَشَاء اللهُ﴾ [الكهف: 23]، ولم يرد به الاستثناء، فهو حانث، وإن حدثت له نية الاستثناء قبل تمام لفظه باليمين أو بعد، إلا أنه لم يصمت حتى وصل بها الاستثناء

(441) مجموع الفتاوى (8/ 426).

(442) تفسير ابن كثير ط العلمية (5/ 135).

أجزأه، وإن كان بين الاستثناء واليمين صمات فلا ثنيا[443] له، ومن استثنى في نفسه ولم يحرك لسانه لم ينتفع بذلك".[444]

**وإن تكن بربنا معلقه فجائز أن ننوها محققه**

**(وإن تكن)** المشيئة **(بربنا)** سبحانه **(معلقة)** خبر تكن **(فجائز أن ننوها)** أي المشيئة **(محققة)** لا معلقة. وذلك كأن يكون الأمر قد وعد به الله جل وعلا، أو أخبرنا به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم. كأن يقول المجاهد الموحد: "سنَهزم ـ إن شاء الله تعالى ـ أعداءنا الكفرة، تحقيقا لا تعليقا". فهزيمة الأعداء ـ وإن بدت معلقة بمشيئة الله، فإنها محققة. لأن الله تعالى أخبر في كتابه في غير ما آية أنه ناصر عباده المؤمنين على عبيده الكافرين، عاجلا أو آجلا.

ونظير هذا، ما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم. وأن الظفر والنصر للمسلمين. وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا. فيقال له: قل: إن شاء الله. فيقول: "إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا".[445]

---

(443) فلا ثنيا له: أي ليس له الاستثناء مرة أخرى.

(444) التهذيب في اختصار المدونة (2/ 99).

(445) مدارج السالكين (2/ 458)، البداية والنهاية (14/ 28).

وهذا الحق واليقين الذي تكلم به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، إنما استنبطه من القرآن. لذا قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعليلا لهذه المقولة: "وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: 60]".(446)

وهكذا، لما هدم جند الدولة الإسلامية في العراق والشام حدود سايكس بيكو بين العراق وسوريا، ألقى الشيخ أبو محمد العدناني ـ صاحب هذه المنظومة ـ كلمة قال فيها: "من وعد الله عز وجل، وما جاء على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، الذي قال: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**». فما بعد إزالة هذه الحدود ـ حدود الذل ـ وكسر هذا الصنم ـ صنم الوطنية ـ إلا خلافة على منهاج النبوة، إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا، وعد الله..". فما كان من بعد هذه الكلمة إلا أياما معدودة حتى أعلنت دولة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة.

والنصوص في هذا الأدب كثيرة:

منها ما جاء في الصحيحن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين كلهن، يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله، فرسانا أجمعون**».(447)

قال ابن بطال رحمه الله مما في الحديث من فقه: "وفيه أن من قال: إن شاء الله. وتبرأ من المشيئة لله، ولم يعط الخاصة لنفسه فى أعماله، أنه حرى بأن يبلغ أمله ويعطى أمنيته، ألا ترى أن سليمان لما لم يرد المشيئة إلى الله، ولم يستثن ما لله، فمن ذلك حرم أمله، ولو استثنى لبلغ أمله، كما قال صلى الله عليه وسلم.

---

(446) البداية والنهاية (ط. إحياء التراث) (14/ 28).

(447) صحيح البخاري (4/ 22)، وصحيح مسلم (3/ 1276).

وليس كل من قال قولا ولم يستثن فيه المشيئة فواجب ألا يبلغ أمله، بل منهم من يشاء الله إتمام أمله، ومنهم من يشاء ألا يتم أمله بما سبق فى علمه، ولكن هذه التى أخبر عنها الرسول أنها مما لو استثنى المشيئة لتم أمله، فدل هذا على أن الأقدار فى علم الله على ضروب. فقد يقدر للإنسان الولد والرزق والمنزلة إن فعل كذا أو قال أو دعا، فإن لم يفعل ولا قال لم يعط ذلك الشيء". (448)

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «**لكل نبي دعوة، فأريد إن شاء الله أن أختبي دعوتي، شفاعة لأمتي يوم القيامة**». (449)

ومنها ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة، فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا..**» الحديث. (450) وفي رواية من حديث عائشة رضي الله عنها: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غدا مؤجلون، وإنا إن شاء الله، بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**». (451)

قال الإمام النووي رحمه الله: " التقييد بالمشيئة على سبيل التبرك وامتثال قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الكهف: 23، 24]، وقيل المشيئة عائدة إلى تلك التربة بعينها، وقيل غير ذلك". (452)

---

(448) شرح صحيح البخارى لابن بطال (5/ 32).

(449) صحيح البخاري: باب في المشيئة والإرادة: (9/ 139) وصحيح مسلم (1/ 189).

(450) صحيح مسلم (1/ 218).

(451) صحيح مسلم (2/ 669).

(452) شرح النووي على مسلم (7/ 41).

## "لو" مَعَ "قدّر الله وما شاء فعل"

إنْ لمْ تقلْ: "لو" معها إذًا تقلْ | أي: قدَّرَ اللهُ وَما شاءَ فعلْ
وَجائزٌ في موطِنَينِ قولُها | وَفيهما "لوِ" الْتَزِمْ بقولها
في الأمرِ وَالإرادةِ المعلَّقهْ | معَ مشيئةِ الإلهِ المطلقهْ
أوِ الَّتي بكونِها لمْ يأذَنِ | بعدَ قيامنا بكلِّ ممكِنِ

### "لو" مع "قدر الله ما شاء فعل"

المراد من هذا الفصل: متى يجوز قول: لو. ومتى لا يجوز. وكذلك متى يقال: قدر الله وما شاء فعل.

وأما معنى: "لو". فإنها: "حرف للتمني يمتنع به الشيء لامتناع غيره، تقول: لو جئتني لأكرمتك، فامتنع الإِكرام لامتناع المجيء، فإذا قيل: "لو" وضُمَّ "لا" معها، فصار: " **لولا**" فهو: حرف يمتنع به الشيء لوقوع غيره، تقول: "لولا زيدٌ لأكرمتك"، فامتنع الإِكرام لوقوع زيد. ويقع في جوابها اللام، كقوله تعالى: ﴿**لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾ [الفتح: 25]. وكقوله: ﴿**فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [الصافات: 143، 144]. ويجوز حذف اللام، كقوله تعالى: ﴿**لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**﴾ [آل عمران: 168]، وكقول الشاعر:

**ولولا أنني رجل حرامٌ هصرت قرونها ولثمت فاها**

وتكون "لولا" للتحضيض بمعنى "هلّا"، وكذلك "لوما"، فالأول كقوله تعالى: ﴿**لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾ [الكهف: 15]: أي هلّا، وكقول جرير:

**تَعُدُّون عقر النِّيْبِ أفضل مجدِكم بني ضوطرى لولا الكميَّ المقنعا**

والثاني كقوله تعالى: ﴿**لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [الحجر: 7]".[453]

قال الناظم:

**إن لم تقل: "لو" معها إذا تقل أي قدر الله وما شاء فعل**

(**إن لم تقل**) أيها المؤمن (**لو**) عند كلامك (**معها**) الضمير يعود على كلمة: قدر الله، وما شاء الله فعل (**إذا**) حرف جواب وجزاء مهمل (**تقل**) مكانها (**أي**) مكان: لو، قل (**قدر الله وما شاء فعل**). ومثال ذلك، قول القائل: "لو علمت بهذا الأمر لما خرجت من البيت، ولكن قدر الله وما شاء فعل". فهذه العبارة سليمة، لأنه لم يستعمل "لو" وحدها، بل أضاف إليها: " ولكن قدر الله وما شاء فعل". فخرج بقوله هذا عن النهي الوارد في الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما**

---

(453) شمس العلوم (9/ 5954).

**ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»**[454].

ففي هذا الحديث نهي صريح عن قول: "لو". إذا أصاب المؤمن شيء. وأن الواجب عليه في هذه الحالة أن يقول: "قدّر الله" بتشديد الدال، أي هذا ما قدره الله تعالى وكتبه في اللوح المحفوظ، وما شاء سبحانه فعله. أو "قدر الله" بتخفيف الدال. مضاف إلى اسم الجلال، أي هذا قدرُ الله تعالى، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، سبحانه يفعل ما يشاء. وهذا فيه: التسليم المطلق لأمر الله تعالى، والرضا بقضائه وقدره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأمره ـ أي في هذا الحديث ـ إذا أصابته المصائب أن ينظر إلى القدر. ولا يتحسر على الماضي . بل يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه . وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه . فالنظر إلى القدر عند المصائب . والاستغفار عند المعائب".[455]

وقال أيضا: " فأمره بالحرص على ما ينفعه والاستعانة بالله ونهاه عن العجز الذي هو الاتكال على القدر ثم أمره إذا أصابه شيء أن لا ييأس على ما فاته بل ينظر إلى القدر ويسلم الأمر لله فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك كما قال بعض العقلاء : الأمور " أمران " أمر فيه حيلة وأمر لا حيلة فيه فما فيه حيلة لا يعجز عنه وما لا حيلة فيه لا يجزع منه".[456]

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله عن هذا الحديث:

"فتضمن هذا الحديث الشريف أصولا عظيمة من أصول الإيمان.

---

(454) صحيح مسلم (4/ 2052).

(455) مجموع الفتاوى (8/ 77).

(456) المصدر نفسه (8/ 285).

**أحدها**: أن الله سبحانه وتعالى موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة.

**الثاني**: أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وهو وتر يحب الوتر، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين.

ومنها أن محبته للمؤمنين تتفاضل، فيحب بعضهم أكثر من بعض. ومنها أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودا.

وكماله كله في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصا وأن يكون حرصه على ما ينتفع به. فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع.

ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره أن يستعين به ليجتمع له مقام: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله ولا تتم إلا بمعونته. فأمره بأن يعبده وأن يستعين به.

ثم قال: "ولا تعجز". فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استعانته بالله. فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله، ضد العاجز. فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده، ومصدرها منه،. ومردها إليه فإن فاته ما لم يُقدَّر له فله حالتان: حالة عجز: وهي مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى "لو". ولا فائدة في "لو" ههنا بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن. وذلك كله من عمل الشيطان. فنهاه صلى الله عليه وسلم عن افتتاح عمله بهذا المفتاح.

وأمره بالحالة الثانية، وهي: النظر إلى القدر وملاحظته، وأنه لو قدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبق له ههنا أنفع من شهود القدر، ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإذا انتفت امتنع وجوده.

فلهذا قال: "فإن غلبك أمر فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل". فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين: حالة حصول مطلوبة، وحالة فواته. فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدا، بل هو أشد شيء إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام بالعبودية، ظاهرا وباطنا في حالتي حصول المطلوب وعدمه. وبالله التوفيق".[457]

وقال أيضا في الزاد: " ومن ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم عن قول القائل بعد فوات الأمر: لو أني فعلت كذا وكذا، وقال: "إن لو تفتح عمل الشيطان". وأرشده إلى ما هو أنفع له من هذه الكلمة، وهو أن يقول: "قدر الله وما شاء فعل". وذلك لأن قوله: "لو كنت فعلت كذا وكذا، لم يفتني ما فاتني" أو "لم أقع فيما وقعت فيه"، كلام لا يجدي عليه فائدة البتة، فإنه غير مستقبل لما استدبر من أمره، وغير مستقيل عثرته بـ " لو ".

وفي ضمن "لو": ادعاء أن الأمر لو كان كما قدره في نفسه لكان غير ما قضاه الله وقدره وشاءه، فإن ما وقع مما يتمنى خلافه، إنما وقع بقضاء الله وقدره ومشيئته، فإذا قال: "لو أني فعلت كذا، لكان خلاف ما وقع" فهو محال، إذ خلاف المقدر المقضي محال، فقد تضمن كلامه كذبا وجهلا ومحالا، وإن سلم من التكذيب بالقدر، لم يسلم من معارضته بقوله: "لو أني فعلت كذا، لدفعت ما قدر الله علي"[458].

**وجائز في موطنين قولها          وفيهما "لو" التزم بقولها**

---

(457) شفاء العليل (ص: 18ـ 19).

(458) زاد المعاد في هدي خير العباد (2/ 325).

**(وجائز)** غير منهي **(في موطنين)** حالتين **(قولها)** أي قول: لو **(وفيهما)** أي الموطنين **(لو)** قلها و**(التزم)** احرص عليها، وتمسك **(بقولها)** فلا حرج ولا نهي.

وهذان الموطنان هما:

**في الأمر والإرادة المعلقه مع مشيئة الإله المطلقه**

**الموطن الأول**: **(في)** حال **(الأمر و)** في حال **(الإرادة المعلقة)** بالشرط **(مع مشيئة)** إرادة **(الإله)** جل وعلا **(المطلقة)** التي لا قيد لها.

**أو التي بكونها لم يأذن بعد قيامنا بكل ما ممكن**

**الموطن الثاني**: **(أو)** لو **(التي بكونها لم يأذن)** الله تعالى **(بعد قيامنا)** وأخذنا **(بكل ما)** هو **(ممكن)** من الأسباب الشرعية.

وخلاصة هذا الكلام أن قول: "لو" تارة يكون منهيا عنها، وتارة يكون استعمالها جائزا.

فأما: "لو" المنهي عنها، فكما قال النووي رحمه الله: "فالظاهر أن النهي إنما هو عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه، فيكون نهي تنزيه لا تحريم. فأما من قاله تأسفا على ما فات من طاعة الله تعالى، أو ما هو متعذر عليه من ذلك، ونحو هذا، فلا بأس به. وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث. والله أعلم "[459].

(459) شرح النووي على مسلم (16/ 216).

وأما الجائز منها، فقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه: "باب ما يجوز من اللو"[460]، ثم ساق في الاحتجاج بالجواز، قوله تعالى﴿**لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً**﴾ [هود: 80] وتسع أحاديث ذكر فيها: "لو" و"لولا". منها حديث: «**لو كنت راجما امرأة من غير بينة**»، وحديث: «**لولا أن أشق على أمتي** ..»، وحديث: «**لو مد بي الشهر لواصلت وصالا يدع المتعمقون تعمقهم، إني لست مثلكم، إني أظل يطعمني ربي ويسقين**».. وغيرها[461].

وليس بين حديث النهي، وثبوت قول: "لو" أي تناقض، قال ابن بطال رحمه الله: " فأما نهيه عن اللو فى حديث ابن عجلان فمعناه: لا تقل أنى لو فعلت كذا لكان كذا على القضاء والحتم، فإنه كائن لا محالة، فأنت غير مضمر فى نفسك شرط مشيئة الله، هذا الذى نهى عنه؛ لأنه قد سبق فى علم الله كل ما يناله المرء. قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ فِى أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا**﴾ [الحديد: 22] . فأما إذا كان قائله ممن يوقن بأن الشرط إذا وجد لم يكن المشروط إلا بمشيئة الله وإرادته، فذلك هو الصحيح من القول، وقد قال أبو بكر الصديق للنبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الغار: "لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا". فقال: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»، ولم ينكر ذلك عليه صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان عالما بمخرج كلامه، وأنه إنما قال ذلك على ما جرت به العادة، واستعمله الناس علة ما الأغلب كونه عند وقوع السبب الذى ذكره.."[462].

## متى تجوز "لو"؟

---

(460) صحيح البخاري (9/ 85) حديث: 7238.

(461) صحيح البخاري (9/ 85) حديث: 7239ـ7241.

(462) شرح صحيح البخارى لابن بطال (10/ 295).

**يجوزُ في التَّحضيضِ وَالتَّأنيبِ أو مَعَ التَّمنِّي يا أخي وُرُودُ "لو"**
**لأنَّها في هذهِ المواطِنِ مِنْ ردِّها القَضا غدتْ في مَأْمَنِ**

يريد في هذا الفصل بيان: متى يجوز قول: "لو". وقد مر بنا تبويب الإمام البخاري رحمه الله في جوازه.

قال الناظم:

**يجوز في التحضيض والتأنيب أو مع التمني يا أخي ورود لو**

(**يجوز في التحضيض**) والعرض فتختص بالمضارع أو ما في تأويله نحو: (**لولا تستغفرون الله**)، و(**لولا أخرتني إلى أجل قريب**)، والفرق بينهما أن التحضيض طلب بحث، والعرض طلب برفق وتأدب.(463)

(**والتأنيب**) التوبيخ واللوم، ومثاله، قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن أنكر عليه: "لو أخبرتني أنك تقرأ سورة" المائدة" لأوجعتك ضربا"(464)

---

(463) تاج العروس (40/ 487).

(464) تفسير القرطبي (6/ 312). روى مالك عن عبد الملك ابن قريب عن محمد بن سيرين أن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب فقال: إني أجريت أنا وصاحب لي فرسين نستبق إلى ثغرة ثنية، فأصبنا ظبيا ونحن محرمان فماذا ترى؟ فقال عمر لرجل إلى جنبه: تعال حتى أحكم أنا وأنت، فحكما عليه بعنز، فولى الرجل وهو يقول: هذا أمير المؤمنين لا يستطيع أن يحكم في ظبي حتى دعا رجلا يحكم معه، فسمع عمر بن الخطاب قول الرجل فدعاه فسأله، هل تقرأ سورة" المائدة"؟ فقال: لا، قال: هل تعرف الرجل الذي حكم معي؟ فقال: لا، فقال عمر رضي الله عنه: لو أخبرتني

**(أو)** في **(التمني)** وهو طلب حصول الشيء سواء كان ممكنًا أو ممتنعًا.[465] ومثاله: قوله تعالى على لسان لوط عليه السلام: ﴿**لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**﴾ [هود: 80]. وما رواه أبو نعيم الأصبهاني في مسنده، من حديث أبي موسى قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم: «**لو رأيتني يا أبا موسى وأنا أسمع قراءتك البارحة لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود**». قال قلت: أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا".[466]

وقول عائشة رضي الله عنها: "لو علمت أي ليلة ليلة القدر؛ لكان أكثر دعائي فيها أن أسأل الله العفو والعافية".[467]

وقد يكون هذا التمني محمودا، أو مذموما، كما في حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه مرفوعا: "إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما، فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعمل لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله تعالى علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية يقول: **لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان** فهو بنيته فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، يخبط في

---

أنك تقرأ سورة" المائدة" لأوجعتك ضربا، ثم قال: إن الله سبحانه يقول في كتابه:" يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة" وهذا عبد الرحمن بن عوف.

(465) التعريفات (ص: 66).

(466) المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم (2/ 384)، ورواه البيهقي في السنن الكبرى(3/ 18)، وفي شعب الإيمان (4/ 184)، والمقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي (3/ 126).

(467) رواه النسائي، والبيهقي في "الشعب ". انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (7/ 1011).

ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول: **لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان** فهو بنيته فوزرهما سواء".[468]

(**يا أخي**) المؤمن الموحد (**ورود**) إتيان، ومجيء. يقال: وَرَدَ ورودًا: إذا أتى، ومنه: وِرْدُ الماء. قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ**﴾ [القصص: 23].[469] (**لو**) فيه: تقديم وتأخير، وأصل البيت: "يجوز يا أخي ورود "لو" في التحضيض والتأنيب مع التمني.

| | |
|---|---|
| **لأنها في هذه المواطن** | **من ردها القضا غدت في مأمن** |

(**لـ**) أجل (**أنها**) أي: ورود لو (**في هذه المواطن**) الثلاثة: التحضيض، والتأنيب، والتمني (**من ردها**) جار ومجرور، وضمير الهاء يعود على: لو (**القضا**) القضاء (**غدت**) وصارت (**في مأمن**) وذلك لأن الذريعة التي من أجلها ورد النهي عن قول: "لو" هي الضجر من قضاء الله وقدره، أو الطعن فيهما. فلما أمنا من اتهام القضاء، أو رده، أو التضجر منه، ساغ قول: "لو".

(468) رواه أحمد والترمذي عن أبي كبشة الأنماري. انظر صحيح الترغيب، والمشكاة 5287. وصحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الألباني (1/ 580-581).

(469) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (11/ 7135).

# الصَّبرُ

للصَّبرِ أنواعٌ ثلاثةٌ إذا عرفتَها فقلْ: تحمُّلُ الأذى
فأوَّلًا: على أذى الطَّاعاتِ قمْ بالاصطبارِ إنْ أردتَ أنْ تَدُمْ
أيِ احمِلِ الأذى على الأذى وَدُمْ مُصابرًا متى مُنازِعٌ يَهُمْ
فَصَابِرِ الشَّيطانَ وَالنَّفسَ وَكا فرًا وَمُبْغِضًا وَحاسدًا لَكَا
وَثانيًا: عنِ المعاصي كلِّها فالأجرُ كانَ قدْ رمى يدعو لها
وَثالثًا: على المصائبِ اصْبِرَنْ أي نفسَكَ احبِسْها لكي لا تَجْزَعَنْ
ثمَّ احبسِ اللِّسانَ لا تسخَطْ، وَعنْ لطمٍ وشَقٍّ الجوارحَ احْبِسَنْ

**الصبر:**

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله، في كتابه القيم (عُدة الصابرين وذخيرة الشاكرين)، وهو من الكتب التي يجب على طالب العلم أن يقرأه، ويديم النظر فيه:

"أصل هذه الكلمة هو: المنع والحبس، فالصبر حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما. ويقال صبر يصبر صبرا وصبّر نفسه. قال تعالى ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ**﴾ [الكهف: 28] ".[470]

(470) عدة الصابرين (ص: 15).

وهذا ما عرفه الناظم بقوله:

**للصبر أنواع ثلاثة إذا عرفتها فقل: تحمل الأذى**

(**للصبر أنواع**) أقسام (**ثلاثة إذا عرفتها**) أيها المؤمن (**فقل**) هو (**تحمّل الأذى**) على الإطلاق، سواء كان هذا الأذى باللسان، أو السنان، أو الضرب، أو السجن، أو غيره.

وقد لخصها ابن القيم رحمه الله بقوله: " الصبر في اللغة: الحبس والكف. ومنه: قتل فلان صبرا. إذا أمسك وحبس. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾ [الكهف: 28]؛ أي احبس نفسك معهم.

فالصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخط. وحبس اللسان عن الشكوى. وحبس الجوارح عن التشويش.

وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله. وصبر عن معصية الله. وصبر على امتحان الله".[471]

**فأولا: على أذى الطاعات قم بالاصطبار إن أردت أن تدم**

(**فأولا**) القيام بالاصطبار(**على**) تحمل (**أذى الطاعات**) القربات التي أمرنا الله تعالى بها (**قم**) أمر للوجوب. وليس المراد منه القيام الحقيقي على الرجلين، وإنما هو مستعار للإقدام والجسر على

(471) مدارج السالكين (2/ 155).

عمل عظيم، وللاهتمام بالعمل أو القول، تشبيها للاهتمام بقيام الشخص من قعود للإقبال على عمل ما، كقول النابغة:

بِأَنَّ حِصْنًا وَحَيًّا مِنْ بَنِي أَسَدٍ     قَامُوا فَقَالُوا حِمَانَا غَيْرُ مَقْرُوبِ
فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ قِيَامٌ بَعْدَ قُعُودٍ     بَلْ قَدْ يَكُونُونَ قَالُوهُ وَهُمْ قُعُودٌ.

(**بالاصطبار**) وهو أبلغ من التصبر، فإنه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب. فالتصبر مبدأ الاصطبار، كما أن التكسب مقدمة الاكتساب، فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطبارا. قاله ابن القيم رحمه الله.[472]

(**إن أردت أن تدم**) وإلا فدون اصطبار، وتحمل مشقة الطاعات، فإنك ستتوقف. وفي تقديم الجار والمجرور على الجملة الفعلية إشارة إلى الحصر والاهتمام، إذ الأصل: " قم بالاصطبار على أذى الطاعات إن أردت أن تدم".

**أي: احمل الأذى على الأذى ودم     مصابرا متى منازع يهم**

فإن أردت أن تعرف معنى هذا الاصطبار (**أي احمل الأذى على الأذى**) وهو التعريف الذي بينه ابن القيم رحمه الله لمعنى: الاصطبار. لأن المصطبر قد تصبر صبرا على صبر، وتحمل مشقة فوق مشقة. حتى صار مكتسبًا.

---

(472) عدة الصابرين (ص: 21).

يقول ابن القيم رحمه الله: " والتحقيق أن في الصبر المعاني الثلاثة: المنع والشدة والضم.

ويقال صبر: إذا أتى بالصبر، وتصبر: إذا تكلفه واستدعاه، واصطبر: إذا اكتسبه وتعلمه". (473)

ومعلوم أن الثبات على عبادة الله جل وعلا وطاعته يحتاج من العبد أن يصطبر لها، كما في قول سبحانه: ﴿**فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم: 65]، قال ابن عطية رحمه الله: "أمر بحمل تكاليف الشرع وإشعار ما بصعوبتها كالجهاد والحج والصدقات فهي شريعة تحتاج إلى اصطبار، أعاننا الله عليها بمنه". (474)

**فائدة:** قال الإمام الزمخشري رحمه الله: " فإن قلت: هلا عدى (**اصْطَبِرْ**) بعلى التي هي صلته، كقوله تعالى: ﴿**وَاصْطَبِرْ عَلَيْها**﴾ [طه: 132]؟

قلت ـ القائل الزمخشري ـ : "لأن العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب: اصطبر لقرنك، أى اثبت له فيما يورد عليك من شدائد أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق، فاثبت لها ولا تهن، ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك من أهل الكتاب إليك الأغاليط، وعن احتباس الوحى عليك مدة وشماتة المشركين بك". (475)

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: " الاصطبار: شدة الصبر على الأمر الشاق، لأن صيغة الافتعال ترد لإفادة قوة الفعل. وكان الشأن أن يعدى الاصطبار بحرف (على) كما قال تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ [طه: 132] ولكنه عدي هنا باللام لتضمينه معنى الثبات. أي اثبت للعبادة، لأن العبادة مراتب كثيرة من مجاهدة النفس، وقد يغلب بعضها بعض النفوس

---

(473) عدة الصابرين (ص: 16).

(474) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 24ـ 25).

(475) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (3/ 30).

فتستطيع الصبر على بعض العبادات دون بعض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة العشاء، هي: «**أثقل صلاة على المنافقين**».[476]

فلذلك لما أمر الله رسوله بالصبر على العبادة كلها ـ وفيها أصناف جمة تحتاج إلى ثبات العزيمة ـ نزل القائم بالعبادة منزلة المغالب لنفسه، فعدي الفعل باللام كما يقال: اثبت لعداتك".[477]

لذا قال الناظم:

**(ودم)** وحالك **(مصابرا)** مقاوما لمداخل المعصية، لأن المصابرة ـ كما عرفها ابن القيم رمه الله ـ: "هي مقاومة الخصم في ميدان الصبر، فإنها مفاعلة تستدعى وقوعها بين اثنين، كالمشاتمة والمضاربة قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 200]، فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر في نفسه، والمصابرة وهي حاله في الصبر مع خصمه، والمرابطة وهي الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة.

فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى، فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله: التقوى. وأن الفلاح موقوف عليها فقال: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذي يخاف هجوم العدو منه في الظاهر، فهي لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان فيزيله عن مملكته". (ا.هـ)[478]

**(متى)** في حال ما **(منازع)** من شياطين الإنس، أو الجن، أو النفس، أو الهوى **(يهم)** بقلبك، فتهتم به. لذلك قال:

---

(476) صحيح مسلم (1/ 451).

(477) التحرير والتنوير (16/ 141ـ142).

(478) عدة الصابرين (ص: 21).

**فصابر الشيطان والنفس وكا          فرا ومبغضا وحاسدا لكا**

(**فصابر**) مقاوما (**الشيطان**) سواء كان من الجن أو من الإنس، فإن شيطان الإنس أخطر من شيطان الجن، فيجب الحذر منه، كما قال الشيخ أبو الليث السمرقندي رحمه الله: "احذره فإنه أشد عليك من شيطان الجن، لأن شيطان الجن يكون أذاه بالوسوسة، وشيطان الإنس هو رفيق السوء، يكون أذاه بالمواجهة والمعاينة لا يزال يطلب عليك وجها يردك عما أنت فيه".[(479)]

فشيطان الإنس يقاوم بالإعراض عنه، والعفو والدفع بالتي هي أحسن، وأما شر شيطان الجن فيقاوم بالاستعاذة بالله منه.

(**والنفس**) بفتح السين معطوف على الشيطان، أي وصابر النفس هي الأخرى، فإنها أمارة من طبعها بالسوء، وجهولة، وظلومة.

كما قال ابن القيم رحمه الله: " النفس جبل عظيم شاق في طريق السير إلى الله عز وجل. وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل. فلابد أن ينتهي إليه، ولكن منهم من هو شاق عليه ومنهم من هو سهل عليه. وإنه ليسير على من يسره الله عليه".[(480)]

وقال أيضا: " سمعت شيخنا ـ يعني ابن تيمية ـ يقول: جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولًا حتى يخرج إليهم".[(481)].

---

(479) تنبيه الغافلين (ص: 603).

(480) مدارج السالكين (2/ 10).

(481) روضة المحبين (ص: 478).

(**و**) صابر أيضا (**كافرا**) بمقاومته، ودفع شره، والغلظة عليه، والشدة عليه، وعداوته، والبراءة منه، وعدم التشبه به، والحذر منه (**و**) كذلك من كان (**مبغضا**) لك، من أهل الكفر، أو النفاق، أو الزندقة، أو الإلحاد. فإن هؤلاء يبغضون أهل التوحيد، فقاومهم، وصابرهم (**و**) أيضا من كان (**حاسدا لكا**) الألف في الكاف للإطلاق، والأصل: "لك".

واعلم أن الحسد نوعان: ممدوح ومذموم. أما الممدوح فمنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**».[482] وفي رواية: «**لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب، وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالا، فهو يتصدق به آناء الليل والنهار**».[483] وفالمراد بالحسد هنا: الغبطة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فإن قيل: إذا لم سمي حسدا وإنما أحب أن ينعم الله عليه؟ . قيل مبدأ هذا الحب هو نظره إلى إنعامه على الغير وكراهته أن يتفضل عليه ولولا وجود ذلك الغير لم يحب ذلك فلما كان مبدأ ذلك كراهته أن يتفضل عليه الغير كان حسدا؛ لأنه كراهة تتبعها محبة وأما من أحب أن ينعم الله عليه مع عدم التفاته إلى أحوال الناس فهذا ليس عنده من الحسد شيء. ولهذا يبتلى غالب الناس بهذا القسم الثاني".[484]

وأما الحسد المذموم: فهو الناتج عن البغض، نحو قوله تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**﴾ [البقرة: 109]،

---

(482) صحيح البخاري (1/ 25)، و صحيح مسلم (1/ 559).

(483) صحيح البخاري (6/ 191)، وصحيح مسلم (1/ 559).

(484) مجموع الفتاوى (10/ 113).

وقوله جل وعلا: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 54].

يقول شيخ الإسلام عن الحسد المذموم:

"ثم هذا الحسد إن عمل بموجبه صاحبه كان ظالما معتديا مستحقا للعقوبة إلا أن يتوب، وكان المحسود مظلوما مأمورا بالصبر والتقوى، فيصبر على أذى الحاسد ويعفو ويصفح عنه كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾ [البقرة: 109]. وقد ابتلي يوسف بحسد إخوته له حيث قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: 8]، فحسدوهما على تفضيل الأب لهما ولهذا قال يعقوب ليوسف: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 5]."(ا.هـ). [485]

فالمؤمن لا يخلو من حاسد له، إما من ضعاف الإيمان، وإما من الكفار. فعليك أيها الموحد مصابرة هؤلاء.

## وثانيا: عن المعاصي كلها فالأجر قد رمى يدعو لها

**(وثانيا)** أي النوع الثاني من أنواع الصبر: الصبر **(عن)** ارتكاب **(المعاصي كلها)** كبيرها وصغيرها، فإن اجتنبتها **(فالأجر)** الثواب من الله تعالى **(قد)** حرف تحقيق **(رمى)** أي صار وأفضى.

(485) مجموع الفتاوى (10/ 121).

نحو: ترامى أمره إلى الظفر أو الخذلان: أي صار إليه؛ ومنه حديث زيد بن حارثة: أنه سبي في الجاهلية فترامى الأمر أن صار لخديجة فوهبته للنبي، صلى الله عليه وسلم فأعتقه: أي صار وأفضى إليه. وكأنه تفاعل من الرمي أي رمته الأقدار إليه.[486]

**(يدعو لها)** أي: الصبر على ترك المعاصي يفضي إلى أجر كبير. كما قال بعض السلف: "إذا عقدت القلوب على ترك المعاصي: جالت في الملكوت. ثم رجعت إلى أصحابها بأنواع التحف والفوائد".[487]

## وثالثا على المصائب اصبرن أي نفسك احبسها لكي لا تجزعن

**(وثالثا)** أي النوع الثالث من أنواع الصبر: الصبر **(على)** تلقي **(المصائب)** جمع مصيبة، وهي: ما لا يلائم الطبع، كالموت ونحوه[488]. كما في قوله تعالى: ﴿**إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ**﴾ [المائدة: 106]. **(اصبرن)** النون هنا، نون التوكيد الخفيفة **(أي نفسك)** أيها المؤمن المصاب **(احبسها)** عن الضجر ورد قضاء الله تعالى، والتسخط على قدره **(لكي)** اللام: حرف جر، وكي: حرف تعليل ونصب واستقبال **(لا)** زائدة **(تجزعن)** نون التوكيد المخففة. والجزع ضد الصبر، وهو من آثار الهلع. وأما الهلع فهو قلة إمساك النفس عند اعتراء ما يحزنها أو ما يسرها أو

---

(486) تاج العروس (38/ 182ـ 183).

(487) مدارج السالكين (2/ 444).

(488) التعريفات (ص: 217).

عند توقع ذلك والإشفاق منه[489] وفي التنزيل: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا**﴾ [المعارج: 19، 20]. والجزوع: شديد الجزع.

وقد جعل شيخ الإسلام هذا النوع من الناس من القسم الرابع، ووصفهم بقوله: "فهؤلاء تجدهم من أظلم الناس وأجبرهم إذا قدروا، ومن أذل الناس وأجزعهم إذا قهروا. إن قهرتهم ذلوا لك ونافقوك وحابوك واسترحموك ودخلوا فيما يدفعون به عن أنفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسؤول، وإن قهروك كانوا من أظلم الناس وأقساهم قلبا وأقلهم رحمة وإحسانا وعفوا. كما قد جربه المسلمون في كل من كان عن حقائق الإيمان أبعد، مثل التتار الذين قاتلهم المسلمون ومن يشبههم في كثير من أمورهم، وإن كان متظاهرا بلباس جند المسلمين وعلمائهم وزهادهم وتجارهم وصناعهم، فالاعتبار بالحقائق، فإن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم".[490]

**ثم احبس اللسان لا تسخط، وعن          لطم وشق الجوارح احبسن**

(**ثم احبس**) امنع (**اللسان**) أي لسانك فـ(**لا تسخط**) على قضاء الله تعالى وقدره (**و**) كذلك (**عن لطم**) اللطم: ضرب الخد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة.[491](**وشق**) المراد به هنا: تمزيق، وتقطيع الثياب عند المصيبة. وقد ورد النهي عن ذلك. ففي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله

---

(489) انظر التحرير والتنوير (29/ 167) ففيه كلام قيم لابن عاشور في معنى: الجزع.

(490) دقائق التفسير (2/ 298- 299).

(491) القاموس المحيط (ص: 1158).

عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**».

وعن أبي بردة بن أبي موسى رضي الله عنه قال:«وجع أبو موسى وجعا شديدا، فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئا، فلما أفاق، قال: أنا بريء ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، **إن رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة والحالقة والشاقة**». متفق عليه[492].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " الصالقة " التي ترفع صوتها عند المصيبة، فيه دليل على تحريم هذه الأفعال. والأصل " السالقة " بالسين، وهو رفع الصوت بالعويل والندب. وقريب منه: قوله تعالى: ﴿**سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ**﴾ [الأحزاب: 19] والصاد قد تبدل من السين. و"الحالقة" حالقة الشعر. وفي معناه: قطعه من غير حلق. و"الشاقة" شاقة الجيب. وكل هذه الأفعال مشعر بعدم الرضى بالقضاء، والتسخط له. فامتنعت لذلك".(ا.هـ).[493]

(**الجوارح**) مفعول به مقدم (**احبسن**) نون التوكيد مخففة. والمعنى: احبس جوارحك ـ عند حلول المصيبة ـ عن لطم الخد، أو شق الجيب. فإن ذلك من أمور الجاهلية.

---

(492) صحيح البخاري (2/ 82)، صحيح مسلم (1/ 100).

(493) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (1/ 371).

# الاحتِسَابُ

ثمَّ احتَسِبْ يا عارفًا قدرَ العملْ وَأجرَ طاعةٍ مِنَ الرَّحمنِ سَلْ

وَللمعاصي تاركًا وَتائبا وَاحتسبِ المباحَ وَالمصائبا

**الاحتساب**: لغة، طلب الأجر، والاسم: الحسبة بالكسر، وهو الأجر. واحتسب فلان ابنا له أو ابنة له إذا مات وهو كبير، وافترط فرطا إذا مات له ولد صغير، لم يبلغ الحلم؛ وفي الحديث: «**من مات له ولد فاحتسبه**»، أي احتسب الأجر بصبره على مصيبته به، معناه: اعتد مصيبته به في جملة بلايا الله، التي يثاب على الصبر عليها، واحتسب بكذا أجرا عند الله، والجمع الحسب. وفي الحديث: «**من صام رمضان إيمانا واحتسابا**»، أي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه". قاله ابن منظور رحمه الله.[494]

قال الناظم:

**ثم احتسب يا عارفا قدر العمل وأجر طاعة من الرحمن سل**

(**ثم احتسب**) أي بادر إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها، طلبا للثواب المرجو منها (**يا عارفا**) وعالما (**قدر**) قيمة (**العمل**) الذي قمت به (**وأجر**) ثواب ( **طاعة من الرحمن**) جل وعلا (**سل**) اطلب. فيه تقديم وتأخير، مما يفيد الحصر والقصر. والأصل: "وسل من الرحمن أجر طاعة". وإنما قدم المعمول تنبيها إلى وجوب

(494) لسان العرب (1/ 314).

إخلاص النية في الطاعة، فلا يبتغى بها إلا وجه الرحمن. كقوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي**﴾ [الزمر: 14].

**وللمعاصي تاركا وتائبا واحتسب المباح والمصائبا**

(و) كن (للمعاصي) كلها (تاركا) لها (وتائبا) منها، نادما، غير مصر، وعازما على عدم العودة إلى ارتكابها، ورادا المظالم إلى أهلها (واحتسب) أجر وثواب (المباح) المباح: لغة من الإباحة يقال: باح الرجل ماله، أذن في الأخذ والترك وجعله مطلق الطرفين.(495)

واعلم أن المباح من أقسام الأحكام الشرعية السبعة، وهي: الواجب، والمندوب، والمباح، والمحظور، والمكروه، والصحيح، والباطل.

وقد عرفه علماء الأصول بكونه: ما أذن الشارع في فعله وتركه غير مقترن بذم فاعله وتاركه، ولا مدحه. اللهم أن تقارنه نية صالحة، فينقلب من العادة إلى العبادة.

قال الشيخ ماء العينين رحمه الله:

**وليس في المباح من ثواب فعلا ولا في الترك من عقاب**

(495) انظر لسان العرب 1/ 534، تاج العروس 4/ 17 – 18.

بمعنى: أنه لا تعلق بكل من فعله أو تركه ثوابا ولا عقابا.[496] وهذا إذا لم تقارنه نية، لأن النية إكسير العمل، والإكسير - بكسر الهمزة وسكون الكاف - قيل إنه ماء إن صب على الحجارة جعلها ذهبا. وقيل غير ذلك[497].

والمراد أن النية إن قارنت المباح ربما صرفته إلى جعل الثواب فيه أو العقاب، كالأكل أو النوم بنية التقوى على العبادة أو المعصية".[498]

(و) احتسب كذلك (**المصائبا**) الألف للإطلاق، والمعنى: احتسب الأجر كذلك في صبرك على المصائب الكونية، ففي الصبر عليها أجر كبير، كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه**».[499]

---

(496) انظر الورقات (ص: 8)، والمسودة في أصول الفقه (ص: 577)، وإرشاد الفحول (1/ 26).

(497) قال الزبيدي: "والإكسير، بالكسر: الكيمياء، نقله الصاغاني، وصرح غيرواحد أن الكيمياء ليست بعربية محضة، ولأهل الصنعة في الإكسير كلام طويل الذيل ليس هذا محله. ومن المجاز قولهم: نظره إكسير". (تاج العروس (14/ 42). وأما الذي إذا صب على الحجارة جعلها ذهبا فهو ملح الإكسير. قال الخوارزمي: " ملح الإكسير هو الدواء الذي إذا طبخ به الجسد المذاب جعله ذهبا أوفضة أوغيره إلى البياض أو الصفرة". (مفاتيح العلوم (ص: 284).

(498) الأقدس على الأنفس في أصول الفقه/ 77.

(499) صحيح البخاري (7/ 114).

# الرِّضَا

قلْ: إنَّني باللهِ ربًّا راضيا … أي قابِلًا معَ ارتياحِ قَلْبِيَا
كذا بطاعةِ النَّبيِّ المطلَقَهْ … وَدينيَ الإسلامُ لنْ أُشَاقِقَهْ
أمَّا الرِّضا بعدَ المصائبِ اسْتُحِبْ … لِمَنْ يكونُ صابرًا وَمُحْتَسِبْ
وَذا لهُ أسبابُهُ كَعِلْمِنا … بحكمةٍ لها وَحُسْنِ ظَنِّنا

**الرضا**: سرور القلب بِمُرِّ القضاء[500]. ولا يحصل مقام الرضا عند العبد حتى يمر من مقام الصبر. وسيبين الناظم حكمه.

**قل إنني بالله ربا راضيا … أي قابلا مع ارتياح قلبيا**

**(قل)** أيها الموحد **(إنني بالله)** تعالى **(ربا)** مربيا وخالقا **(راضيا)** الألف للإطلاق، والأصل: "راضي" خبر إن **(أي)** بيان معنى: راضي، أي كوني **(قابلا)** لأحكام الله تعالى المقضية **(مع ارتياح)** طمأنينة **(قلبيا)** الألف للإطلاق، والأصل: "قلبي". والمعنى: إن قولك رضيت بالله ربا، أي: قبلت قضاء الله، وقلبي مطمئن مرتاح.

**كذا بطاعة النبي المطلقه … وديني الإسلام لمن أشاققه**

(500) التعريفات (ص: 111).

**(كذا)** لِك أن تكون راضيا **(بطاعة النبي)** صلى الله عليه وسلم **(المطلقة)** بحيث تأتي ما أمرك به، وتكف عما زجرك عنه، وتسلم له فيما أخبرك به. **(و)** أيضا قل إن **(ديني)** الذي أدين الله تعالى به هو **(الإسلام)** ويتضمن الإيمان **(لمن)** للذي **(أشاقِقه)** أخالفه، وهو كل من على غير دين الإسلام، وملة إبراهيم عليه السلام. وذلك لأن المشاقة: المخالفة المقصودة، مشتقة من الشِّق لأن المخالف كأنه يختار شِقا يكون فيه غير شِق الآخر[501]. ومنه قوله جل وعلا: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ الآية [النساء: 115]، وقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال: 13].

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا**»[502]

وعن سعد بن أبي وقاص مرفوعا: «**من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر الله له ما تقدم من ذنبه**»[503].

**أما الرضا بعد المصائب استحب لمن يكون صابرا ومحتسب**

---

(501) التحرير والتنوير (5/ 200).

(502) رواه مسلم في صحيحه من حديث العباس بن عبد المطلب.

(503) رواه مسلم في صحيحه من حديث سعد بن أبي وقاص. قال ابن رمح في روايته " من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد " ولم يذكر قتيبة قوله: وأنا.

و(**أما**) حكم (**الرضا**) بالقضاء والقدر (**بعد**) نزول (**المصائب**) فقد (**استحب**) أي له حكم: المستحب، يثاب فاعله، ويلام تاركه دون عقاب. ويطلق عليه أيضا: المندوب. قال العلامة ابن القيم رحمه الله حيث قال: " وقد أجمع العلماء على أنه مستحب، مؤكد استحبابه. واختلفوا في وجوبه على قولين، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يحكيهما على قولين لأصحاب أحمد. وكان يذهب إلى القول باستحبابه.

قال: ولم يجئ الأمر به، كما جاء الأمر بالصبر. وإنما جاء الثناء على أصحابه ومدحهم.

قال: وأما ما يروى من الأثر: من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي، فليتخذ ربا سوائي. فهذا أثر إسرائيلي، ليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم"[(504)].

**وذا له أسبابه كعلمنا بحكمة لها وحسن ظننا**

(**وذا**) إشارة إلى بلوغ درجة الرضا (**له أسبابه**) الموصلة إليه (**كعلمنا بحكمة**) نكرة، لأننا لا نستطيع أن نطلع على كل الحكم فيما قدره الله تعالى (**لها**) الضمير يعود على المصائب، أي أن وراء كل مصيبة حكمة، فإما أن تكون مكفرة للذنوب، أو عقابا في الدنيا، أو رفعا لدرجة ومنزلة في الجنة لصاحبها. لأن من أسمائه سبحانه: الحكيم. ومن لوازم هذه الصفة كما قال ابن القيم رحمه الله: "ثبوت الغايات المحمودة المقصودة له بأفعاله، ووضعه الأشياء في موضعها، وإيقاعها على أحسن الوجوه، فإنكار ذلك إنكار لهذا الاسم ولوازمه، وكذلك سائر أسمائه الحسنى"[(505)].

---

(504) مدارج السالكين (2/ 171).

(505) مدارج السالكين (1/ 55).

فمن شهد الحكمة في المصيبة هانت عليه، ورضي بها. **(و)** كذلك مما يعين على الرضا **(حسن ظننا)** بربنا جل وعلا.

وبالجملة: أن شهود حكمة الله تعالى في قضائه وقدره، مع حسن الظن فيه سبحانه، مما يعين على الرضا.

وقد بين العلامة ابن القيم رحمه الله هذه المعاني المعينة على الرضا في شرحه لكلام شيخ الإسلام الهروي رحمه الله صاحب منازل السائرين، فقال:

**إحداها**: ملاحظة حسن الجزاء. وعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخفف حمل البلاء، لشهود العوض، وهذا كما يخف على كل متحمل مشقة عظيمة حملها، لما يلاحظه من لذة عاقبتها وظفره بها. ولولا ذلك لتعطلت مصالح الدنيا والآخرة. وما أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة إلا لثمرة مؤجلة، فالنفس مولعة بحب العاجل. وإنما خاصة العقل: تلمح العواقب، ومطالعة الغايات.

وأجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم. وأن من رافق الراحة فارق الراحة. وحصل على المشقة وقت الراحة في دار الراحة، فإنه على قدر التعب تكون الراحة.

| | |
|---|---|
| **على قدر أهل العزم تأتي العزائم** | **وتأتي على قدر الكريم الكرائم** |
| **ويكبر في عين الصغير صغيرها** | **وتصغر في عين العظيم العظائم** |

**والقصد**: أن ملاحظة حسن العاقبة تعين على الصبر فيما تتحمله باختيارك وغير اختيارك.

**والثاني**: انتظار روح الفرج.

يعني راحته ونسيمه ولذته. فإن انتظاره ومطالعته وترقبه يخفف حمل المشقة. ولاسيما عند قوة الرجاء. أو القطع بالفرج. فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته، ما هو من خفي الألطاف، وما هو فرج معجل. وبه - وبغيره - يفهم معنى اسمه اللطيف.

**والثالث**: تهوين البلية بأمرين.

**أحدهما**: أن يعد نعم الله عليه وأياديه عنده. فإذا عجز عن عدها، وأيس من حصرها، هان عليه ما هو فيه من البلاء ورآه - بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه - كقطرة من بحر.

**الثاني**: تذكر سوالف النعم التي أنعم الله بها عليه. فهذا يتعلق بالماضي. وتعداد أيادي المنن: يتعلق بالمستقبل. وأحدهما في الدنيا. والثاني يوم الجزاء" انتهى[506].

---

(506) مدارج السالكين (2/ 166) بتصرف، نقلا عن كتابي: الرضا بالقضاء والقدر حكم وعبر.

# الابتِلَاءُ

وَالابتلاءُ يا أخي مِنَ القَدَرْ ... هوَ امتحانُنا بهِ سَنُخْتَبَرْ
أسبابُهُ: الطَّاعاتُ وَالمعاصي ... لِرَفعِ مؤمنٍ وَغَسْلِ عاصِ
وَمَحَّصَ النُّفوسَ كاشفًا لها ... صديقَها مِنَ العِدا وَقَدْرَها
أو حكمةً مِنْ فِعْلِ ربِّنا أتتْ ... معلومةً لنا وَربَّما خَفَتْ
وَكلُّ مؤمنٍ سَيُبْتَلى وَمَنْ ... يكنْ منافِقًا فسوفَ يُفْتَتَنْ
وَالفتنةُ استخراجُ ما في النَّفسِ مِنْ ... خُبْثٍ وَمَنْ يُلازِمِ التَّقوى أَمِنْ

**الابتلاء**: لغة، الامتحان، والتمحيص، والاختبار. وعرفه الناظم بقوله:

**والابتلاء يا أخي من القدر هو امتحاننا به سنختبر**

(**والابتلاء**) معناه (**يا أخي**) المؤمن مما يأتينا (**من القدر**) المكتوب في اللوح المحفوظ (**هو امتحاننا**) يمتحننا ربنا، و(**به سنختبر**) الاختبار: فعل ما يظهر به الشيء، وهو من الله: إظهاره ما يعلم من أسرار خلقه، فإن علم الله تعالى قسمان: قسمٌ يتقدم وجود الشيء في اللوح، وقسمٌ يتأخر وجوده في مظاهر الخلق، والبلاء الذي هو الاختبار هو هذا القسم لا الأول[507].

(507) التعريفات (ص: 14).

فلابد أن نبتلى ونختبر في هذه الحياة الدنيا: بالخير والشر، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والأمن والخوف.

فإن سأل سائل عن أسباب هذا الاختبار والابتلاء، فهي:

## أسبابه: الطاعات والمعاصي لرفع مؤمن وغسل عاص

(**أسبابه**) أي من بين أسباب الابتلاء والاختبار والامتحان (**الطاعات**) فإن الطائع لربه تعالى يبتلى على قدر إيمانه وطاعاته. وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: "باب أشد الناس بلاء الأنبياء،ثم الأمثل فالأمثل". وساق بسنده عن عبد الله، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكا شديدا؟ قال: «**أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**» قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: «**أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلا كفر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها**».[508]

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: يا رسول الله من أشد الناس بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يدعه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**».[509]

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال:"دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك، فوضعت يدي عليه، فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله! ما أشدها

---

(508) صحيح البخاري (7/ 115).

(509) رواه الترمذي، وابن ماجه، والدارمي، والطحاوي، وابن حبان، والحاكم، وأحمد. (انظر التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (4/ 450)، و سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 273).

عليك**!** قال: إنا كذلك، يضاعف لنا البلاء، ويضاعف لنا الأجر. قلت: يا رسول الله**!** أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء، ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر، حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة التي يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**».[510]

(و) من أسبابه كذلك (**المعاصي**) والذنوب التي نرتكبها، كما قال جل وعلا: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: 30].

قال مقيده ـ عفا الله عنه: جاء في تفسير الآية عند الإمام ابن كثير رحمه الله: "أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم (**ويعفو عن كثير**) أي: من السيئات، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها، ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ**﴾ [فاطر: 45].

وفي الحديث الصحيح: «**والذي نفسي بيده، ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه، حتى الشوكة يشاكها**».

وروى ابن أبي حاتم عن أبي جحيفة ـ موقوفا ـ قال: دخلت على علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فقال: ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يعيه؟ قال: فسألناه فتلا هذه الآية: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ قال: ما عاقب الله به في الدنيا، فالله أحلم من أن يثني عليه العقوبة يوم القيامة، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفوه يوم القيامة.

---

(510) أخرجه ابن ماجه وغيره، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 274).

وقال الإمام أحمد: حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا طلحة - يعني ابن يحيى -عن أبي بردة، عن معاوية-هو ابن أبي سفيان، رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كفر الله عنه به من سيئاته**»[(511)].

وروى ابن أبي حاتم من حديث الحسن عن عمران بن حصين، رضي الله عنه، قال: دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده، فقال له بعضهم إنا لنبتئس لك لما نرى فيك. قال: فلا تبتئس بما ترى، فإن ما ترى بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، ثم تلا هذه الآية: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾.

وعن أبي البلاد قال: قلت للعلاء بن بدر: ﴿**مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾، وقد ذهب بصري وأنا غلام؟ قال: فبذنوب والديك.

وعن الضحاك قال: ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب، ثم قرأ: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ ثم يقول الضحاك: "وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن". (انتهى من تفسير ابن كثير)[(512)]

**.......................... لرفع مؤمن وغسل عاص**

---

(511) صحح إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (28/ 107)،فقال: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(512) انظر تفسير ابن كثير بتصرف(7/ 207ـ 209).

**(لرفع)** أي هذا الابتلاء والاختبار، إنما لأجل رفع درجات المؤمن بصبره ورضاه عن ما يصيبه. ولذلك لما كان البلاء وسيلة النعيم صُب على الأنبياء والمرسلين ليزداد نعيمهم في الفردوس الأعلى، وقد جاء عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟، قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة**»[513]

وعند الترمذي مرفوعا: «**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»[514].

كما جاء في الحديث الصحيح: «**إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة ، فما يبلغها بعمل ، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها**»[515]

**(و)** إما لِـ**(غسل)** ذنوب مؤمن **(عاص)** لأوامر الله تعالى. فإن الابتلاء بالمصائب مكفرة لذنوب العصاة من المؤمنني إن هم صبروا واحتسبوا. كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «**ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا همّ ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه**»[516].

---

(513) صحيح الترغيب والترهيب (3/ 179).

(514) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (3/ 180).

(515) رواه أبو يعلى والحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث أبي هريرة وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (4/ 173).

(516) سبق تخريجه.

وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: «**عجبا للمؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**».

## ومحّص النفوس كاشفا لها صديقَها من العِدا وقدرها

**(ومحص)** أذهبَ وخلّص، يقال: مَحَصَ الشيءَ يَمْحَصُه مَحْصًا ومَحَّصَه: خَلَّصَه. وزَادَ الأَزهري: مِنْ كُلِّ عَيْبٍ.[517] وفي التنزيل: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾الآية [آل عمران: 141]، فأخبر سبحانه ـ في هذه الآية ـ أنه يريد تمحيص المؤمنين: أى تخليصهم من ذنوبهم بالتوبة والرجوع إليه واستغفاره من الذنوب التى أديل بها عليهم العدو، وأنه مع ذلك يريد أن يمحق الكافرين ببغيهم وطغيانهم، وعدوانهم إذا انتصروا.[518]

وقوله تعالى: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ الآية [آل عمران: 154]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " أي: يختبركم بما جرى عليكم، وليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن والمنافق للناس في الأقوال والأفعال، **(والله عليم بذات الصدور)** أي: بما يختلج في الصدور من السرائر والضمائر".[519].

**(النفوس)** مفعول به، أي محّص الابتلاءُ النفوسَ كلها، وخلّصها **(كاشفا)** مظهرا ومجليا **(لها)** أي للنفوس **(صديقها)** الحقيقي **(من العدا)** أي من عدوها. وذلك أن في حالة الاختبار

---

(517) لسان العرب (7/ 90).

(518) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (2/ 191).

(519) تفسير ابن كثير ت سلامة (2/ 146).

والابتلاء يظهر الصديق من العدو، أما في حالة الرخاء والأمن فالكل صديق وحبيب. كما قال القاضي الأستاذ الشهير أبو العباس أحمد بن الغماز البلنسي نزيل إفريقية:

**وما أكثر الأحباب حين تعدهم ... ولكنهم في النائبات قليل**

**ولا خير في ود امرئ متملق ... إذا الريح مالت مال حيث تميل.**

(**و**) كاشفا لها أيضا (**قدرها**) أي قدر النفس، وقيمتها، فإن المرء لا يعرف قدر نفسه، وقدر تحمله للمصائب إلا عند الابتلاء والتمحيص. ولذلك قال جل وعلا: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ**﴾ الآية [النساء: 77].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " فهؤلاء الذين كانوا قد عزموا على الجهاد وأحبوه، لما ابتلوا به كرهوه وفروا منه، وأين ألم الجهاد من ألم النار؟ وعذاب الله الذي لا طاقة لأحد به؟

ومثل هذا ما يذكرونه عن سمنون المحب أنه كان يقول:

**وليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرني**

فأخذه العُسر من ساعته: أي حصره بوله؛ فكان يدور على المكاتب ويفرق الجوز على الصبيان ويقول: ادعوا لعمكم الكذاب".[520].

(520) مجموع الفتاوى (10/ 690).

يقول سيد قطب رحمه الله: " إن أشد الناس حماسة واندفاعًا وتهورًا، قد يكونون هم أشد الناس جزعًا وانهيارا وهزيمة عند ما يجد الجد، وتقع الواقعة.. بل إن هذه قد تكون القاعدة! ذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالبًا ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف. لا عن شجاعة واحتمال وإصرار. كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الاحتمال. قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة فتدفعهم قلة الاحتمال، إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأي شكل. دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والانتصار.. حتى إذا ووجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا، وأشق مما تصوروا. فكانوا أول الصف جزعًا ونكولًا وانهيارًا.."[521].

## أو حكمة من فعل ربنا أتت معلومة لنا وربما خفت

**(أو)** تكون الابتلاءات والمصائب **(حكمة من فعل ربنا)** الحكيم **(أتت)** جاءت **(معلومة لنا)** ظاهرة بينة **(وربما خفت)** عنا ودقّت. والمعنى: أن الابتلاءات قد تكون لحكمة من الله تعالى ظاهرة لنا، وقد تخفى عنا وتغيب. لكنها لا تخلو أبدا عن حكمة، عَلمها من علمها، وجهلها من جهلها، لأن الله سبحانه لا يقضي قضاء إلا لحكمة.

وانظر إلى حكمة الله تعالى في إنزال البلاء على أنبيائه، يقول ابن القيم رحمه الله: "فصل: ويشبه هذا قول يوسف الصديق: ﴿**يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ [يوسف: 100]، فأخبر أنه يلطف لما يريده فيأتي به بطرق

(521) في ظلال القرآن (2/ 712).

خفية لا يعلمها الناس، واسمه اللطيف، يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية، ومنه التلطف كما قال أهل الكهف: ﴿**وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**﴾ [الكهف: 19].

فكان ظاهر ما امتحن به يوسف من مفارقة أبيه وإلقائه في السجن وبيعه رقيقا، ثم مراودة التي هو في بيتها عن نفسه وكذبها عليه وسجنه، محنا ومصائب، وباطنها نعما وفتحا، جعلها الله سببا لسعادته في الدنيا والآخرة، ومن هذا الباب ما يبتلي به عباده من المصائب ويأمرهم به من المكاره وينهاهم عنه من الشهوات، هي طرق يوصلهم بها إلى سعادتهم في العاجل والآجل، وقد حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك إلا للمؤمن**».[522] فالقضاء كله خير لمن أعطي الشكر، والصبر جالبا ما جلب.

وكذلك ما فعله بآدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ـ صلى الله عليهم وسلم ـ من الأمور التي هي في الظاهر محن وابتلاء، وهي في الباطن طرق خفية أدخلهم بها إلى غاية كمالهم وسعادتهم، فتأمل قصة موسى وما لطف له من إخراجه في وقت ذبح فرعون للأطفال، ووحيه إلى أمه أن تلقيه في اليم، وسوقه بلطفه إلى دار عدوه الذي قدر هلاكه على يديه وهو يذبح الأطفال في طلبه، فرماه في بيته وحجره على فراشه، ثم قدر له سببا أخرجه من مصر وأوصله به إلى موضع، لا حكم لفرعون عليه، ثم قدر له سببا أوصله به إلى النكاح والغنى بعد العزوبة والعيلة، ثم ساقه إلى بلد عدوه فأقام عليه به حجته، ثم أخرجه وقومه في صورة الهاربين الفارين منه، وكان ذلك عين نصرتهم على أعدائهم وإهلاكهم وهم ينظرون، وهذا كله مما يبين أنه سبحانه يفعل ما يفعله لما يريده من العواقب

---

(522) لم أجد هذا المتن بهذا اللفظ، لكن بلفظ: "عجبت للمؤمن لا يقضي الله له شيئا إلا كان خيرا له". رواه أحمد وابن حبان. وفي صحيح مسلم بلفظ: "عجبا لأمر المؤمن كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له".

الحميدة، والحكم العظيمة، التي لا تدركها عقول الخلق، مع ما في ضمنها من الرحمة التامة، والنعمة السابغة، والتعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته.. ". انتهى[523]

وهكذا، يمكننا أن نفهم قول بعض السلف: "لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله : ليته لم يقضه".[524]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والله تعالى قد بين في القرآن ما في إدالة العدو عليهم يوم أحد من الحكمة فقال: ﴿**وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكافِرِينَ**﴾ [آل عمران: 139ـ141].

فمن الحكم تمييز المؤمن عن غيره، فإنهم إذا كانوا دائما منصورين لم يظهر لهم وليهم وعدوهم إذ الجميع يظهرون الموالاة فإذا غلبوا ظهر عدوهم قال تعالى: ﴿**وَما أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالًا لَاتَّبَعْناكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ...**﴾ الآية [آل عمران: 166ـ167] "[525].

**وكل مؤمن سيبتلى ومن يكن منافق فسوف يفتتن**

---

(523) شفاء العليل (ص: 34ـ 35)

(524) قوت القلوب (2/ 71).

(525) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: 145).

(**وكل مؤمن**) لابد (**سيبتلى**) ويختبر ويمتحن. قال تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت: 2، 3].

يقول سيد قطب رحمه الله: "إن الإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال. فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا. وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم، خالصة قلوبهم. كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به - وهذا هو أصل الكلمة اللغوي وله دلالته وظله وإيحاؤه- وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب. هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية، في ميزان الله سبحانه"(ا.هـ).[526].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "استفهام إنكار، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى لابد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء**». وهذه الآية كقوله: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران: 142]، ومثلها في سورة "براءة" وقال في البقرة: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: 214]؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿**وَلَقَدْ**

---

(526) في ظلال القرآن (5/ 2720).

**فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾** [العنكبوت: 3] أي: الذين صدقوا في دعواهم الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه". (ا.هـ)[527]

فلابد من اختبار إيمان العبد: بالأمراض والأوجاع والشدائد والأسقام، كما في قوله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾** [البقرة: 214].

يقول تعالى: ( **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة** ) قبل أن تبتلوا وتختبروا وتمتحنوا، كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم؛ ولهذا قال: (**ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء**) وهي: الأمراض؛ والأسقام، والآلام، والمصائب والنوائب[528].

قال الناظم:

**.......................ومن          يكن منافق فسوف يفتتن**

(**ومن يكن منافقا**) يظهر خلاف ما يبطن (**فسوف يفتتن**) هو الآخر، وتنكشف حقيقته، وتفتضح سريرته. كما في قوله تعالى: **﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾** [آل عمران: 166، 167]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: فراركم بين يدي عدوكم وقتلهم لجماعة

---

(527) تفسير ابن كثير (6/ 263).

(528) المصدر نفسه (1/ 571).

منكم وجراحتهم لآخرين، كان بقضاء الله وقدره، وله الحكمة في ذلك. (وليعلم المؤمنين) أي: الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا".[529]

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "إن الله سبحانه اقتضت حكمته أنه لابد أن يمتحن النفوس ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكراماته ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التي تصلح له، ويخلصها بكير الامتحان، كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم، فإذا هذب العبد ونقي أذن له في دخول الجنة".[530]

## والفتنة استخراج ما في النفس من خبث ومن يلازم التقوى أمن

**(والفتنة)** أصل الفتنة: مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد، ومن هذا قول الله جل وعز: ﴿**يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (12) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾ [الذاريات: 12، 13]. أي يحرقون بالنار، ومن هذا قيل للحجارة السود التي كأنها أحرقت بالنار: الفتين.[531]

---

(529) تفسير ابن كثير (2/ 159).

(530) زاد المعاد في هدي خير العباد (3/ 16-17).

(531) تهذيب اللغة (14/ 211).

قوله (**استخراج ما في النفس**) أي أن الفتنة التي تصيب العبد، إنما دورها استخراج ما في النفس (**من خبث**) ضد الطيب، فيظهر من خلالها الخبيث من الطيب، ويتميز كل واحد عن الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾الآية [آل عمران: 179 ]. أي: ما كان من حكمة الله تعالى أن يترك جماعة المؤمنين دون ابتلاء وتمحيص، فإن الابتلاء سيخلص المؤمنين من المندسين فيهم، قولا بلا عمل، وظاهرا دون الباطن.

وفي هذا يقول سيد قطب رحمه الله: "ولقد شاءت حكمة الله وبره بالمؤمنين، أن يميزهم من المنافقين، الذين اندسوا في الصفوف، تحت تأثير ملابسات شتى، ليست من حب الإسلام في شيء. فابتلاهم الله هذا الابتلاء- في أحد- بسبب من تصرفاتهم وتصوراتهم، ليميز الخبيث من الطيب، عن هذا الطريق:

﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ .[آل عمران: 179]

ويقطع النص القرآني بأنه ليس من شأن الله- سبحانه- وليس من مقتضى ألوهيته، وليس من فعل سنته، أن يدع الصف المسلم مختلطًا غير مميز يتوارى المنافقون فيه وراء دعوى الإيمان، ومظهر الإسلام، بينما قلوبهم خاوية من بشاشة الإيمان، ومن روح الإسلام. فقد أخرج الله الأمة المسلمة لتؤدي دورًا كونيًا كبيرا، ولتحمل منهجا إلهيا عظيما، ولتنشئ في الأرض واقعًا فريدًا، ونظامًا جديدًا.. وهذا الدور الكبير يقتضي التجرد والصفاء والتميز والتماسك، ويقتضي ألا يكون في الصف

خلل، ولا في بنائه دخل.. وبتعبير مختصر يقتضي أن تكون طبيعة هذه الأمة من العظمة بحيث تسامي عظمة الدور الذي قدره الله لها في هذه الأرض وتسامي المكانة التي أعدها الله لها في الآخرة".[532]

فإن سأل سائل: وكيف يميز الله الخبيث من الطيب؟ وكيف يحقق شأنه وسنته في تطهير الصف المسلم، وتجريده من الغبش، وتمحيصه من النفاق، وإعداده للدور الكوني العظيم، الذي أخرج الأمة المسلمة لتنهض به؟

فالجواب: قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية [آل عمران: 179]

يقول سيد قطب رحمه الله: "وعن طريق الرسالة، وعن طريق الإيمان بها أو الكفر، وعن طريق جهاد الرسل في تحقيق مقتضى الرسالة، وعن طريق الابتلاء لأصحابهم في طريق الجهاد.. عن طريق هذا كله يتم شأن الله، وتتحقق سنته، ويميز الله في الخبيث من الطيب، ويمحص القلوب، ويطهر النفوس.. ويكون من قدر الله ما يكون..".[533]

**(ومن يلازم التقوى)** حال الفتنة والابتلاء **(أمن)** من سخط الله تعالى.

## الخوفُ

(532) في ظلال القرآن (1/ 525).

(533) المصدر نفسه: (1/ 525ـ 526).

| | |
|---|---|
| وَالخوفُ يا أخي: اضطرابُ القلبِ مِنْ | توقُّعِ المكروهِ فاحذرْ وَاطمئِنْ |
| وَخوفُنا مِنَ الإلهِ ينقَسِمْ | لِذاتِهِ فَهْوَ القويُّ المنتقِمْ |
| وَمِنْ عقابِهِ الَّذي يصيبُنا | في هذهِ الدُّنيا وَبعدَ موتنا |
| وَمَنْ يخفْ آلهةً أو يَخْشَ مِنْ | طاغيةٍ؛ فَخَوفُهُ شِرْكٌ عَفِنْ |
| وَالخوفُ منهُ فطرةً لا ينجلي | وَحكمُهُ: كَحُكْمِ علمٍ زائلِ |

**الخوف**: لغة، هو توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب[534]

وعرفه الناظم بقوله:

**الخوف يا أخي اضطراب القلب من توقع المكروه فاحذر واطمئن**

(**الخوف**) هو (**يا أخي**) المؤمن الموحد (**اضطراب القلب من**) اضطرب الشيء: إذا تحرك فضرب بَعْضُه بعضًا.[535] وهو ضد الاطمئنان (**توقع**) حلول (**المكروه**) للنفس، أو فوات محبوب (**فاحذر**) أن تقع فيما يخسط الله تعالى (**واطمئن**) وليكن خوفك من الله تعالى فقط، اللهم ما كان فطرة وجبلة. كما في قوله تعالى: ﴿**قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (45) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ [طه: 45، 46].

(534) التعريفات (ص: 101).

(535) شمس العلوم (6/ 3960).

وقوله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: 70]، وفي موضع آخر: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: 28].

وقال سبحانه حكاية عن قول موسى عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: 66 – 68]. فهذا خوف فطري لا يؤاخذنا الله تعالى به.

وأما الخوف العقدي، فقوله جل وعلا: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: 28].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله عن منزلة: الخوف: "وهي من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب، وهي فرض على كل أحد، قال الله تعالى ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: 175] وقال تعالى ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40] وقال ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: 44] ومدح أهله في كتابه وأثنى عليهم، فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:57] إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: 61].

وفي المسند والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60] أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «**لا يا بنت أبي بكر ـ أو لا يا بنت الصديق – ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق، وهو يخاف أن**

**لا يقبل منه**»[536] قال الحسن: عملوا والله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحسانا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا"[537].

**وخوفنا من الإله ينقسم          لذاته فهو القوي المنتقم**

(**وخوفنا**) معشر المؤمنين الموحدين أهل السنة (**من الإله**) عز وجل (**ينقسم**) إلى قسمين:

القسم الأول: خوف خالص (**لذاته**) سبحانه وتعالى (**فهو القوي**) العزيز (**المنتقم**) فهذا يجعل المؤمن يخاف من ربه الذي من صفاته القوة والانتقام، فكل ما سواه ضعيف حقير.

**ومن عقابه الذي يصيبنا          في هذه الدنيا وبعد موتنا**

(**و**) القسم الثاني: خوف (**من عقابه**) الشديد، الموجع الأليم (**الذي يصيبنا في هذه الدنيا**) من بلاء، وضيق، وسقم، وجذب، وفيضانات، وزلازل، وتسليط عدو، وجور الحكام، وغيرها من المصائب (**و**) يصيبنا (**بعد موتنا**) إن لم نأته طائعين تائبين.

فخوف المؤمن من عقاب الله تعالى، سواء من عقابه الدنيوي أو الأخروي، أمر لا ينفك عنه، وهو واجب. كما أنه دافع لامتثال أوامره، واجتناب زواجره.

---

(536) مسند أحمد (42/ 465)، سنن الترمذي(5/ 328)، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 304).س العلوم (6/ 3960).

(537) مدارج السالكين (1/ 507).

## ومن يخف آلهة أو يخش من طاغية، فخوفه شرك عفن

**(ومن يخف آلهة)** تعبد من دون الله **(أو يخش)** الخشية: خوف مقرون بمعرفة، ولا ينبغي إلا لله تعالى، كما في قوله: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: 28]. فوصف سبحانه العلماء بالخشية. **(من طاغية)** التاء للمبالغة في الطغيان. أي من يخش من طاغية **(فخوفه)** هذا، وخشيته **(شرك)** بالله تعالى، لأنه لا ينبغي الخوف إلا من الله تعالى، ولا الخشية إلا من الله جل وعلا. ثم وصف هذا الشرك بأنه **(عفن)** يقال: عَفِنَ الشيءُ يَعْفَنُ عَفَنًا فهو عَفِنٌ، وهو الشيء الذي فيه نُدُوَّةٌ يُحبس في موضع فيفسد فإذا مَسَسْتَه تفتّت. وعَفِنَ الخُبْزُ أيضًا إذا فسد وعشش[538]. ووصف الشرك بأنه: عفن، مجاز عن فساد الفطرة، وكفر قلب العبد، لذا تعافه الفطرة السليمة، ويعافه قلب المؤمن. لأنه نجس. قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾ [التوبة: 28]. فنجاسة المشركين هنا: مجاز عن خبث الباطن وفساد العقيدة.

## والخوف منه فطرة لا ينجلي وحكمه: كحكم علم زائل

**(والخوف)** كذلك **(منه)** ما هو **(فطرة)** فطرنا الله تعالى عليه، لا يؤاخذنا به، لأنه **(لا ينجلي)** لا ينفك عن قلوبنا: كالخوف من شدة الظلام، أو من حيوان مفترس، وغيره **(و)** هذا الخوف **(حكمه)** الشرعي **(كحكم علم)** من العلوم **(زائل)** لا لك ولا عليك.

والقصد أن الخوف نوعان: خوف فطري، وخوف شركي.

قال الشيخ حامد بن محمد رحمه الله: "واعلم أن الخوف خوفان:

---

(538) العين (2/ 157).

**الأول**: خوف من الله، وهذا الذي هو أحد جناحي طير الإيمان، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، وهذا هو المأمور به وهو علامة الإيمان كما قال تعالى: ﴿**فلا تخافوهم وَخَافُونِ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: 175].

**الثاني**: خوف مع الله، بمعنى: أنك تخاف من غيره مثل خوفه أو أشد. كما ذكر الله في شأن المنافقين إذ هم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، وهذا الخوف هو الخوف الشركي المنهي عنه الذي صاحبه يخلد في النار، ولا يكون هذا إلا عدم إيمانه بالله وعظمته وجلاله وقهريته وملكوتيته على جميع الخلق. وقد ذم الله الذين جعلوا فتنة الناس كعذاب الله في وقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ**﴾ [العنكبوت: 10].

ومعلوم بالضرورة أنه إذا لاحظ ما يجري عليه من محن الناس وفتنتهم عند نطقه بالحق وجعله كعذاب الله سواء، حينئذ أرضاهم بسخط الله فيسخط عليه الله ويسخط عليه الناس".[539].

وقال الشيخ عبد الله بن الجبريين رحمه الله: " الخوف في أصله ينقسم إلى أربعة أقسام:

1- الخوف من الله تعالى: ويسمى "خوف السر"، وهو الخوف المقترن بالمحبة والتعظيم والتذلل لله تعالى، وهو خوف واجب، وأصل من أصول العبادة.

2- الخوف الجِبلِّي: كالخوف من عدو، والخوف من السباع المفترسة ونحو ذلك. وهذا خوف مباح؛ إذا وجدت أسبابه، قال الله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿**فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ**﴾ [القصص: 21].

---

(539) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص: 353).

3- الخوف الشركي: وهو أن يخاف من مخلوق خوفًا مقترنًا بالتعظيم والخضوع والمحبة. ومن ذلك الخوف من صنم أو من ميت خوفًا مقرونًا بتعظيم ومحبة، فيخاف أن يصيبه بمكروه بمشيئته وقدرته، كأن يخاف أن يصيبه بمرض أو بآفة في ماله، أو يخاف أن يغضب عليه؛ فيسلبه نِعَمَهُ فهذا من الشرك الأكبر، لأنه صرف عبادة الخوف والتعظيم لغير الله، ولما في ذلك من اعتقاد النفع والضر في غير الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ [التوبة: 18] قال ابن عطية المالكي الأندلسي المولود سنة 481هـ في تفسيره في تفسير هذه الآية: "يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة".

ومن الخوف الشركي: أن يخاف من مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، كأن يخاف من مخلوق أن يصيبه بمرض بمشيئته وقدرته.

4- الخوف الذي يحمل على ترك واجب أو فعل محرم، وهو خوف محرم، كمن يخاف من إنسان حي أن يضره في ماله أو في بدنه، وهذا الخوف وهمي لا حقيقة له، وقد يكون هناك خوف فعلاً ولكنه يسير لا يجوز معه ترك الواجب أو فعل المحرم. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: 175] . وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا يمنعنَّ أحدَكم مخافةُ الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه**». (540)

(540) تسهيل العقيدة الإسلامية (ص:170 إلى 173).

## الخَشيَةُ والوَجَلُ

وَمَنْ لخِشيةٍ يَضُمُّ جَوفُهُ فَقُلْ على التَّعظيمِ زادَ خوفُهُ
وَمَنْ مِنَ التَّعظيمِ خوفُهُ أَقَلْ أي غالبًا تعظيمُهُ فقدْ وَجَلْ

**الخشية**: تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيبته. وخشية الأنبياء من هذا القبيل.[541]

**الوجل**: هو الفزع والخوف، يقال: وَجِلَ وجَلا، بالفتح.[542] وفي الحديث: «**وعظنا موعظة وجلت منها القلوب**..».[543]

وعرفه الناظم بقوله:

**ومن لخشية يضم جوفه فقل على التعظيم زاد خوفه**

(**ومن لخشية يضم**) يحتوي (**جوفه**) الجوف: البطن، والمراد به هنا: القلب، أي: من يحتوي قلبه على الخشية (**فقل على**) صفة (**التعظيم**) لله تعالى (**زاد خوفه**) أي: أن الخشية هي من زاد خوفه على تعظيم ربه جل وعلا.

**ومَن مِن التعظيم خوفه أقل أي غالبا تعظيمه فقد وجل**

(**ومَن**) شرطية (**مِن التعظيم**) جار ومجرور، أي من تعظيم الله تعالى (**خوفه أقل**) أنقص (**أي غالبا**) يكون (**تعظيمه**) لربه سبحانه (**فقد وجل**) جواب الشرط، والمعنى: أن من نقص تعظيمه لربه

---

(541) التعريفات (ص: 98).

(542) لسان العرب (11/ 722).

(543) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

تعالى، نزل مقامه عن مقام الخشية، إلى مقام الوجل. فظهر بهذا التقسيم، إلى أن الخشية أعظم من الوجل.

وقد أوضح العلامة ابن القيم رحمه الله هذا الفصل أحسن وضوح فقال ـ لله دره ـ: "الخشية: أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: 28] فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أما والله، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له**».[544]

فالخوف حركة، والخشية انجماع، وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان:

**إحداهما**: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.

**والثانية**: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية، ومنه: انخشى الشيء، والمضاعف والمعتل أخوان، كتقضي البازي وتقضض...(إلى أن قال)

وأما الوجل فرجفان القلب، وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته". (ا.هـ)[545]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن وجل القلب عند ذكر الله يقتضي خشيته والخوف منه. وقد فسروا (**وجلت**) بفرَقت. وفي قراءة ابن مسعود: (**إذا ذكر الله فرقت قلوبهم**) . وهذا صحيح؛ فإن " الوجل في اللغة " هو الخوف يقال: حمرة الخجل وصفرة الوجل. ومنه قوله تعالى (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون) (قالت عائشة: يا رسول الله هو

---

(544) صحيح مسلم (2/ 779)، صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/ 284).

(545) مدارج السالكين (1/ 508).

الرجل يزني ويسرق ويخاف أن يعاقب؟ قال: لا يا بنت الصديق، هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه".

وقال السدي في قوله تعالى: ﴿**الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**) هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فينزع عنه. وهذا كقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾ وقوله: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾. قال مجاهد وغيره من المفسرين: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يدي الله؛ فيتركها خوفا من الله.

وإذا كان وجل القلب من ذكره يتضمن خشيته ومخافته؛ فذلك يدعو صاحبه إلى فعل المأمور وترك المحظور. قال سهل بن عبد الله: "ليس بين العبد وبين الله حجاب أغلظ من الدعوى، ولا طريق إليه أقرب من الافتقار".[546]

وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**﴾ [الأعراف: 154]. فأخبر أن الهدى والرحمة للذين يرهبون الله".[547]

## الخُشوعُ

(546) صفة الصفوة (2/ 272).

(547) مجموع الفتاوى (7/ 19ـ 20).

| | |
|---|---|
| **وَمنْ يُسَكِّنِ الفؤادَ خاضِعا** | **ذُلًّا لِذِكْرِ اللهِ صارَ خاشِعا** |
| **وَذا عنِ التَّعظيمِ وَالخوفِ انْبَثَقْ** | **في جَوفِ مؤمنٍ برَبِّهِ صَدَقْ** |

**الخشوع**: قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن، وهو الإقرار بالاستخذاء، والخشوع في البدن والصوت والبصر.[548]

وعرفه العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله: " والخشوع: في أصل اللغة الانخفاض، والذل، والسكون، قال تعالى ﴿**وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ**﴾ [طه: 108] أي سكنت، وذلت، وخضعت، ومنه وصف الأرض بالخشوع، وهو يبسها، وانخفاضها، وعدم ارتفاعها بالري والنبات، قال تعالى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**﴾ [فصلت: 39].

**والخشوع**: قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، والجمعية عليه".[549] كقوله تعالى: ﴿**خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ**﴾ الآية [القلم: 43].

وعرفه الناظم بقوله:

| | |
|---|---|
| **ومن يُسَكِّن الفؤاد خاضعا** | **ذلا لذكر الله صار خاشعا** |

**(ومن يُسكّن)** بتشديد الكاف وكسرها. والتسكين ضد الحركة، والمعنى: ومن يُطمئن **(الفؤاد)** المراد به هنا: القلب بأن يجعله **(خاضعا)** منقادا مستسلما، وسُمِّيَ الفُؤاد لتفَؤُّدهِ: أي لتوقُّده[550]. وَقِيلَ

---

(548) لسان العرب (8/ 71).

(549) مدارج السالكين (1/ 516).

الفؤاد: وسَط القلب. وَقِيلَ: الفُؤَاد: غِشَاء القَلْب، والقَلْب حَبَّتُه، وسُوَيْدَاؤه، وجَمْعُه: أَفْئِدَة.[551]، **(ذلا)** حال سكونه وخضوعه **(لذكر الله)** تعالى، ففي هذه الحالة **(صار خاشعا)** والمعنى: أن الخشوع هو سكون القلب خضوعا وذلا عند ذكر الله تعالى. لا كما يفعله بعض المنتسبين إلى الذكر، حيث يرقصون، ويزعقون، كأنهم صرعى من الجن.

**وذا عن التعظيم والخوف انبثق ... في جوف مؤمن بربه صدق**

**(وذا)** إشارة إلى الخشوع، فإنه **(عن التعظيم)** أي تعظيم الله جل وعلا **(والخوف)** منه سبحانه **(انبثق)** أي: نتج وصدر هذا الخشوع عن التعظيم والخوف اللذين هما **(في جوف)** باطن **(مؤمن بربه)** تعالى **(صدق)** في إيمانه. لذا قال ابن القيم رحمه الله: "والحق أن الخشوع معنى يلتئم من التعظيم، والمحبة، والذل والانكسار".[552]

واعلم ـ رحمك الله ـ: أن الخشوع محله القلب، وثمرته على الجوارح، وهي تظهره، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**».[553]

---

(550) العين (8/ 79).

(551) النهاية في غريب الحديث والأثر (3/ 405).

(552) مدارج السالكين (1/ 518).

(553) صحيح مسلم (4/ 1986).

وقال بعض العارفين: حُسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن. ورأى بعضهم رجلا خاشع المنكبين والبدن، فقال: يا فلان، الخشوع هاهنا، وأشار إلى صدره، لا هاهنا، وأشار إلى منكبيه.

وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم وهو حذيفة، يقول: "إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع".

ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا طأطأ رقبته في الصلاة، فقال: "يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب".

ورأت عائشة رضي الله عنها شبابا يمشون ويتماررون في مشيتهم، فقالت لأصحابها: من هؤلاء؟ فقالوا: نساك، فقالت: كان عمر بن الخطاب إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا أطعم أشبع، وكان هو الناسك حقا.

وقال الفضيل بن عياض: كان يكره أن يري الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه.

وقال حذيفة رضي الله عنه: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ورب مصل لا خير فيه، ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعا، وقال سهل: من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان.

# الرَّجَاءُ

وَبالرَّجاءِ ارتاحَ قلبُ مُرْتَقِبْ يرجو لقاءَ أو عطاءَ مَنْ يُحِبْ
وَما الرَّجا سعى لِما يرجو وَصَلْ مَنْ يَتَمَنَّ عاجزًا معَ الكسلْ

**الرجاء**: في اللغة: الأمل، وفي الاصطلاح: تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل.[554]

قال الناظم:

**وبالرجاء ارتاح قلب مرتقب يرجو لقاء أو عطاء من يحب**

(**وبالرجاء ارتاح**) واطمأن (**قلب**) مؤمن (**مرتقب**) منتظر، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ**﴾ [الدخان: 10] (**يرجو**) يتمنى بانتظاره هذا (**لقاء**) الله تعالى، والعبد لا يتمنى لقاء ربه،إلا إن كان يطيعه ويتقيه. قال جل وعلا: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: 110]. يقول: "فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على

(554) التعريفات (ص: 109).

معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته (**فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا**) يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية". (555)

وقال الله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**﴾ [الإسراء: 57] فابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب منه بالعبودية والمحبة. فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه: الحب، والخوف، والرجاء.

وقال تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ**﴾ [العنكبوت: 5]، وقال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [البقرة: 218].

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول – قبل موته بثلاث –: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**»، وفي رواية: "**يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**». (556)

(**أو**) يرجو (**عطاء**) مِن (**مَن يحب**) أي من ربه تعالى، أو من البشر مما يكون فيه سببا كونيا، وإلا فلا معطي ـ في الحقيقة ـ لما منع الله تعالى، كما لا مانع لما أعطاه. وهذا كقوله تعالى: ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [فاطر: 2]. وصح في الذكر المأثور دبر الصلاة: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» الحديث. (557)

---

(555) جامع البيان (18/ 135).

(556) مسند أحمد(25/ 398)، شعب الإيمان (2/ 319)، صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 795).

(557) صحيح البخاري (1/ 168)، صحيح مسلم (1/ 343).

**وما الرجا سعى لما يرجو وضل          من يتمن عاجزا مع الكسل**

**(وما)** نافية حجازية **(الرجا)** اسمها، أي: ليس الرجاء هو من **(سعى)** فعل ماض لفظا مستقبل معنى. أي: يسعى. فإن استعمال الفعل الماضي المراد به الآتي والمستقبل جائز في اللغة، وهو مستعمل بكثرة في القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ**﴾ [النحل:1]، وقوله: ﴿**فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ**﴾ [النمل:87]، وقوله: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**﴾ [الكهف:99] إذًا: فالتعبير بالماضي هنا المراد به الاستقبال:

**ومنه ماض عن مضارع وضع          لكونه محققًا نحو فزع**[558].

ومنه قول ابن مالك رحمه الله في مقدمة ألفيته:

**قال محمد هو ابن مالك          أحمد ربي الله خير مالك**

**(لما)** للذي **(يرجو)** يأمل. والجملة الفعلية في محل نصب خبر. والمعنى: ليس الرجاء هو الذي يسعى آملا لما يرجوه العبد. بل على العبد أن يسعى ليحقق رجاه، لذا قال: **(وضل)** أخطأ ولم يهتد **(من يتمن)** يأمل ويرجو، مع كونه **(عاجزا)** غير حازم **(مع الكسل)** مع التثاقل والفتور.

والمعنى: أن حقيقة من يرجو شيئا فإنه يسعى له بجد، ويأخذ بالأسباب، ولا يتمنى على الله الأماني مع العجز والكسل.

فهناك ـ إذن ـ فرق بين الرجاء والتمني.

---

(558) يعني قوله تعالى: (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ)[النمل:87].

وقد بين الفرق بينهما العلامة ابن القيم رحمه الله فقال: "والفرق بينه وبين التمني أن التمني يكون مع الكسل. ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد. و"الرجاء" يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل.

**فالأول**: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها.

**والثاني**: كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها. ويرجو طلوع الزرع. ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل.

قال شاه الكرماني: علامة صحة الرجاء حسن الطاعة.

والرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم.

**فالأولان**: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله. فهو راج لثوابه. ورجل أذنب ذنوبا ثم تاب منها. فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

**والثالث**: رجل متماد في التفريط والخطايا. يرجو رحمة الله بلا عمل. فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

**وللسالك نظران**: نظر إلى نفسه وعيوبه وآفات عمله، يفتح عليه باب الخوف إلى سعة فضل ربه وكرمه وبره. ونظر يفتح عليه باب الرجاء.

ولهذا قيل في حد الرجاء: هو النظر إلى سعة رحمة الله.

وقال أبو علي الروذباري: الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه. وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص. وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت".[559]

---

(559) مدارج السالكين (2/ 37).

# التَّوكّلُ

وَمَنْ بقلبهِ اعتمادُهُ على ربِّ الورى فقطْ فقدْ توكَّلا

وَذاكَ باتَ واثِقًا بربِّهِ لِجَلْبِ نفعٍ أو لِدَفعِ كَرْبِهِ

**التوكل**: هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس[560].

وعرفه الناظم بقوله:

**ومن بقلبه اعتماده على ... رب الورى فقط فقد توكلا**

**(ومن)** شرطية **(بقلبه اعتماده)** أي: اعتماده بقلبه، وثقته في كل شيء **(على رب الورى)** رب الخلائق **(فقط)** ليس إلا **(فقد)** الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه مقترن بقد **(توكلا)** الألف للإطلاق، والأصل: توكل. والمعنى: من اعتمد بقلبه على رب الخلائق فقط، فقد توكل حقا على ربه. فحقيقة التوكل ترجع إلى القلب، وأما الجوارح فتأخذ بالأسباب المحيطة به، المتيسر تناولها.

**وذاك بات واثقا بربه ... لجلب نفع أو لدفع كربه**

(560) التعريفات (ص: 70).

(**وذاك**) الإشارة إلى المذكور سابقا (**بات**) ظل بتوكله (**واثقا بربه**) جل وعلا (**لجلب**) لطلب (**نفع**) خير (**أو لدفع**) درء (**كربه**) حزنه وغمه.

واعلم ـ وفقني الله وإياك للتوكل عليه ـ: أن التوكل من تحقيق التوحيد الذي لا يشركه فيه مخلوق، وقد قال تعالى في التوكل: ﴿**وَعَلَى اللهِّ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾، ﴿**وَعَلَى اللهِّ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ وقال تعالى: ﴿**قُلْ حَسْبِيَ اللهُّ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُّ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُّ سَيُؤْتِينَا اللهُّ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِّ رَاغِبُونَ**﴾، فقال في الإيتاء: ﴿**مَا آتَاهُمُ اللهُّ وَرَسُولُهُ**﴾، وقال في التوكل: ﴿**وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُّ**﴾ ولم يقل: ورسوله، لأن الإيتاء هو الإعطاء الشرعي، وذلك يتضمن الإباحة والإحلال الذي بلغه الرسول، فإن الحلال ما حلله، والحرام ما حرّمه، والدين ما شرعه قال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾.

وأما الحسب فهو الكافي، والله وحده كافٍ عبده، كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُّ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾، فهو وحده حسبهم كلهم[561].

فالتوكل نصف الدين. والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة. فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة.[562]

---

(561) التدمرية (ص: 200ـ201).

(562) مدارج السالكين (2/ 113ـ 114).

قال الحسن: إن من توكل العبد على الله أن يكون الله تعالى هو ثقته.[563]

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: " وحقيقة الأمر: أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور، لا تتم حقيقة التوكل إلا بها. وكل أشار إلى واحد من هذه الأمور، أو اثنين أو أكثر.

فأول ذلك: معرفة بالرب وصفاته من قدرته، وكفايته، وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته. وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

قال شيخنا رضي الله عنه: ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف. ولا من القدرية النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء. ولا يستقيم أيضا من الجهمية النفاة لصفات الرب جل جلاله. ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات.

فأي توكل لمن يعتقد أن الله لا يعم جزيئات العالم سفليه وعلويه؟ ولا هو فاعل باختياره؟ ولا له إرادة ومشيئة. ولا يقوم به صفة؟ فكل من كان بالله وصفاته أعلم وأعرف كان توكله أصح وأقوى. والله سبحانه وتعالى أعلم".[564]

---

(563) القناعة والتعفف (ص: 50).

(564) مدارج السالكين (2/ 118).

# التَّوَاكُلُ وَالتَّوكِيل

**وَلا توكُّلًا بلا أخذِ السَّببْ فَذا تواكُلٌ بِتَرْكِهِ انقَلَبْ**
**وَوَكِّلِ الرَّحمنَ في حاجاتِكَ يا فاقدَ الأسبابِ بعدَ عجزِكَ**

**التواكل**: أن يكل كل واحد أمره إلى صاحبه. والمراد به هنا: عدم الأخذ بالأسباب.

**والتوكيل**: إقامة الغير مقام نفسه بالتصرف ممن يملكه[565]. أي: الاستنابة والتفويض.

وعرفه الناظم بقوله:

**ولا توكلا بلا أخذ السبب فهذا تواكل بتركه انقلب**

**(ولا)** ليس **(توكلا بلا)** بدون **(أخذ السبب)** المتاح والمحيط بالعبد **(فهذا تواكل)** وليس توكلا. **(بتركه)** أي بسبب تركه الأخذ بالأسباب **(انقلب)** التوكل إلى التواكل.

يقول ابن القيم رحمه الله: " أجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب. فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

(565) التعريفات (ص: 70).

قال سهل بن عبد الله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنة. ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان.

فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم، والكسب سنته. فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته، وهذا معنى قول أبي سعيد: هو اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب وقول سهل أبين وأرفع". (ا.هـ)[566]

## ووكل الرحمن في حاجاتك يا فاقد الأسباب بعد عجزك

(**ووكّل**) أيها المؤمن واتخذ (**الرحمن**) سبحانه وتعالى وكيلا لك، كما قال تعالى لنبيه: ﴿**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا**﴾ [المزمل: 9]. وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلا؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلا.

(**في حاجاتك**) كلها، أي: وكّل ـ أيها المؤمن ـ ربك الرحمن سبحانه وتعالى في كل أمورك وحاجاتك (**يا فاقد**) غير واجد (**الأسباب**) المشروعة (**بعد عجزك**) حيث بحثت واجتهدت فعجزت. وهذا معنى ما جاء في الحكم العطائية: " إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية".[567]

---

(566) مدارج السالكين (2/ 117).

(567) إيقاظ الهمم شرح متن الحكم (ص: 8).

قال ابن القيم رحمه الله: "ولم يجئ التفويض في القرآن إلا فيما حكاه عن مؤمن آل فرعون من قوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: 44] [غافر: 44] . وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يتخذه وكيلا. فقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: 9].

وهذا يبطل قول من قال من جهلة القوم: إن توكيل الرب فيه جسارة على الباري؛ لأن التوكل يقتضي إقامة الوكيل مقام الموكل. وذلك عين الجسارة.

قال: ولولا أن الله أباح ذلك وندب إليه: لما جاز للعبد تعاطيه!

وهذا من أعظم الجهل. فإن اتخاذه وكيلا هو محض العبودية، وخالص التوحيد، إذا قام به صاحبه حقيقة.

ولله در سيد القوم، وشيخ الطائفة سهل بن عبد الله التستري؛ إذ يقول: "العلم كله باب من التعبد. والتعبد كله باب من الورع. والورع كله باب من الزهد، والزهد كله باب من التوكل".

فالذي نذهب إليه: أن التوكل أوسع من التفويض، وأعلى وأرفع...(إلى أن قال)

والتوكل قد يكون قبل السبب ومعه وبعده. فيتوكل على الله أن يقيمه في سبب يوصله إلى مطلوبه. فإذا قام به توكل على الله حال مباشرته. فإذا أتمه توكل على الله في حصول ثمراته. فيتوكل على الله قبله، ومعه، وبعده". (انتهى بتصرف)[568].

---

(568) مدارج السالكين (2/ 138ـ 139).

# تَوَكّلُ الجَاهِلِ وَالـمُشرِكِ

وَمَنْ لِفعلِهِ المعاصي يعتمدْ    على الإلهِ جاهلًا لمْ يستَفِدْ

وَمَنْ على الأسبابِ قدْ توكَّلا    فقطْ فَشِرْكٌ أصغَرٌ لنْ يُقْبَلا

وَمَنْ على ربٍّ سوى اللهِ اتَّكَلْ    فالشِّرْكُ أكبرٌ بفعلِهِ حصلْ

لما كانت كل المخلوقات لا تنفك من التوكل على الخالق جل وعلا، أشار الناظم في هذه الأبيات توكل الجاهل والمشرك على ربه، فقال:

**ومن لفعله المعاصي يعتمد على الإله جاهلا لم يستفد**

**(ومن)** شرطية **(لفعله)** لارتكابه **(المعاصي)** والآثام **(يعتمد على الإله)** سبحانه، فإنه يكون **(جاهلا)** بعظمة من يعصي **(لم يستفد)** من توكله إلا العقاب الذي ينتظره.

**ومن على الأسباب قد توكلا    فقط فشرك أصغر لن يقبلا**

**(ومن)** شرطية **(على الأسباب)** وحدها **(قد توكلا)** اعتمد ووثق. الألف للإطلاق **(فقط)** ليس إلا **(فشرك)** جواب الشرط، أي: من توكل واعتمد على الأسباب فقط دون ربه تعالى فقد وقع في الشرك، حيث أشرك مع الله تعالى في ظنه أن الأسباب وحدها كافية في جلب المنافع، أو دفع

المضار، إلا أن هذا شرك (**أصغر**) لا يخرج من الملة، ولكن يؤثر في عمله فـ (**لن يقبلا**) منه. والألف للإطلاق.

**ومن على رب سوى الله اتكل فالشرك أكبر بفعله حصل**

(**ومن**) شرطية (**على رب**) من الأرباب المعبودة (**سوى**) غير (**الله**) جل جلاله المستحق للعبادة (**اتكل**) اعتمد ووثق فيه (**فالشرك أكبر**) جواب الشرط، أي: من توكل على غير الله تعالى، معتقدا أن غيره قادر على نفعه، فقد وقع في الشرك الأكبر ـ عياذا بالله ـ المخرج من الملة (**بفعله**) الذي هو توكله على غير الله تعالى (**حصل**) وقع في الشرك الأكبر. فيه تقديم وتأخير، والأصل: من اتكل على رب سوى الله، فقد حصل بفعله على الشرك الأكبر.

# الاستِعَانَةُ وَالاستِعَاذَة

**وَاللهَ في جَلْبِ المنافعِ اسْتَعِنْ بقلبكَ اطلبْ عونَهُ لا تَسْتَهِنْ**
**وَاللهَ فاسْتَعِذْ في دَفعِ ما يَضُرْ بقلبكَ التجِئْ لهُ وَلْتَصطَبِرْ**

**الاستعانة**: طلب العون. يقال: استعان به على أمره، واستعانه، قال الله تعالى: ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: 5][569].

**والاستعاذة**: طلب العَوْذ والالتجاء. يقال: استعاذ بالله، عز وجل: أي عاذ، قال الله تعالى: ﴿**فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِالله مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ**﴾ [النحل: 16/ 98][570].

وعرفهما الناظم بقوله:

**واللهَ في جلب المنافع استعن بقلبك اطلب عونه لا تستهن**

---

(569) شمس العلوم (7/ 4841).

(570) المصدر نفسه: (7/ 4840).

(**والله**) اسم الجلال مبني على الفتح مفعول به مقدم، ليفيد الحصر (**في جلب**) طلب (**المنافع**) كل ما ينفع العبد من أمور دينه ودنياه (**استعن**) اطلب العون (**بقلبك**) أيها المؤمن (**اطلب عونه**) سبحانه، فهو القادر على كل شيء (**لا تستهن**) لا تحتقر ذلك، ولا تستخف به.

**واللهَ فاستعذ في دفع ما يضر     بقلبك التجئ له ولتصطبر**

(**والله**) معطوف على ما سبق (**فاستعذ**) عُذْ بِهِ سبحانه (**في دفع**) كل (**ما يضر**) يضرك (بقلبك) أيها المؤمن (التجئ له) الجأ له ولُذ به (ولتصطبر) على ما أصابك. وأصل الاصطبار: الحبس على القَوَدِ والقِصاص، يقال: "صبَّرته واصطبرته".[571]

(571) المصدر نفسه (6/ 3668).

## عَلَامَاتُ رِضَا اللهِ، وَعَلَامَاتُ قَبُولِ الطَّاعَةِ

| | | | |
|---|---|---|---|
| وَاعرفْ رضا الرَّحمنِ مِنْ هدايتِهِ | | وَعونِهِ لأجلِ يُسْرِ طاعتِهِ | |
| وَربُّنا إنْ يصرفِ المعاصيا | | عنْ عبدِهِ إذًا عليهِ راضيا | |
| وَاعرفْ قَبولَ طاعةٍ مِنْ حُبِّها | | وَمِنْ دوامِها وَمِنْ بديلِها | |

لما كانت هناك علامات تدل على رضا الله تعالى على عبده، وأخرى تدل على قبول الطاعة، أشار إليها الناظم بقوله:

**واعرف رضا الرحمن من هدايته وعونه لأجل يسر طاعته**

(**واعرف**) أيها المؤمن (**رضا الرحمن**) سبحانه عنك، وذلك انطلاقا (**من هدايته**) لك بالتوفيق والسداد، كما قال جل شأنه: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ [الكهف: 13]. وقال سبحانه: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**﴾ [الأنعام: 125].

(**وعونه**) لك (**لأجل يسر**) تسهيل (**طاعته**) لك. والمعنى: أنك إذا رأيت نفسك موفقا لطاعة الله تعالى، وأبواب الطاعة ميسرة لك، فاعلم أن ذلك علامة على رضا الله تعالى عنك.

قال ابن القيم رحمه الله: "قيل: علامة رضا الله عنك، إعراضك عن نفسك. وعلامة قبول عملك احتقاره واستقلاله، وصغره في قلبك. حتى إن العارف ليستغفر الله عقيب طاعته. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم من الصلاة استغفر الله ثلاثا".[572]

وفي هذا يقول الفيروز آبادي رحمه الله: "رضا العبد عن الله، علامة رضا الله عنه ومن نتائجه، فهو محْفوف بنوعين من رضا الله عن عبده: رضًا قَبْله أَوجب له أَن يرضى عنه، ورضا بعده وهو ثمرة رضاه عنه، ولذلك كان الرّضا بابَ الله الأَعظم، وجَنَّة الدُّنيا، ومحلَّ راحة العارفين، وحياة المحبِّين، ونعيم العابدين، وقُرَّة عين المشتاقين.

ومن أَعظم أَسباب حصول الرِّضا، أَن يلزم ما جعل الله رضاه فيه، فإِنَّه يوصِّله إِلى مقام الرضا ولا بدَّ. قيل ليحيى بن مُعاذ رحمه الله: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ قال: إِذا أَقام نفسه على أَربعة أُصول فيما يعامل به ربَّه، فيقول: إن أَعطيتنى قَبِلْت، وإِن منعتنى رضيت، وإِن تركتنى عبدت، وإِن دعوتنى أَجبت. وليس الرِّضا والمحبة كالرجاء والخوف، فإِن الرضا والمحبة حالان من أَحوال أَهل الجنة، لا يفارقان فى الدُّنيا ولا فى البَرْزَخ ولا فى الآخرة، بخلاف الخوف والرَّجاءِ فإِنهما يفارقان أَهل الجنَّة لحصول ما كانوا يرجونه، وأَمنِهم ممّا كانوا يخافونه. وإِن كان رجاؤهم لما ينالون من كراماته دائمًا، لكنَّه ليس رجاءً مَشُوبًا بشكٍّ، بل رجاء واثقٍ بوعدٍ صادق من حبيب قادر. فهذا لون، ورجاؤهم فى الدنيا لون".[573]

**وربنا إن يصرف المعاصيا عن عبده إذا عليه راضيا**

---

(572) مدارج السالكين (2/ 62).

(573) بصائر ذوي التمييز (3/ 82).

**(وربنا)** سبحانه **(إن يصرف)** إن شرطية، ويصرف فعل الشرط: أي يبعد، والفاعل ضمير مستتر تقديره: ربنا **(المعاصيا)** الألف للإطلاق، أي: المعاصي **(عن عبده)** فهذا **(إذا)** حرف جواب وجزاء مهمل **(عليه)** أي: عن عبده ربُّنا **(راضيا)** الأصل: راضي، والألف للإطلاق.

فهذه علامة أخرى تدل على رضا الله تعالى على عبده، وذلك إذا صرف عنه المعاصي، وجعل بينه وبينها حواجز وموانع.

**واعرف قبول طاعة من حبها ومن دوامها ومن بديلها**

**(واعرف)** أيها المؤمن، عطف على ما سبق **(قبول طاعة)** من ردها، انطلاقا **(من حبها)** في قلبك **(و)** كذلك **(من دوامها)** من مواظبتك عليها، كالذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿**إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾[المعارج: 22، 23]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم لبلال رضي الله عنه: «**يا بلال! أقم الصلاة أرحنا بها**»[574].

**(ومن بديلها)** أي ومن غيرها، حيث يميز العبد بينها وبين المعصية. فإن البديل: هو البدل. وبدل الشئ: غيره.[575] والمعنى: إذا أردت أن تعرف قبول طاعتك عند ربك جل وعلا، فانظر إلى مدى حبك لها، ودوامك عليها، وبغضك لغيرها. فإن القلب إذا ذاق طعم الطاعة، أحبها، وداوم عليها، وميزها عن غيرها. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: 28].

---

(574) صحيح الجامع الصغير وزيادته (2/ 1307).

(575) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (4/ 1632).

قال ابن القيم رحمه الله: "فإن طيب النفس، وسرور القلب، وفرحه ولذته وابتهاجه وطمأنينته وانشراحه ونوره وسعته وعافيته من ترك الشهوات المحرمة، والشبهات الباطلة - هو النعيم على الحقيقة، ولا نسبة لنعيم البدن إليه.

فقد كان يقول بعض من ذاق هذه اللذة: "لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف".

وقال آخر: "إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب".

وقال آخر: "إن في الدنيا جنة هي في الدنيا كالجنة في الآخرة، فمن دخلها دخل تلك الجنة، ومن لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة". وقد أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هذه الجنة بقوله: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر**».[576] وقال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»[577]. (ا.هـ)[578].

---

(576) مسند أحمد (19/ 498)، ورواه الترمذي في سننه، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس.

(577) صحيح البخاري (2/ 61)، صحيح مسلم (2/ 1010).

(578) الجواب الكافي (ص: 121).

## الحَالُ وَالـمَقَامُ

**الحالُ: أعمالُ القلوبِ إنْ وُجِدْ مؤثِّرًا بها تزولُ إنْ فُقِدْ**
**وَإِنَّما المَقامُ حينَ تَسْتَقِرْ في القلبِ، أي بلا انقطاعٍ تستَمِرْ**

المراد بالحال والمقام هنا، على اصطلاح أهل السلوك، لا على شيء آخر. وقد عرفهما الناظم بقوله:

**الحال: أعمال القلوب إن وجد مؤثرا بها تزول إن فُقد**

(**الحال**) معناه عند أهل السلوك (**أعمال**) خاصة بـ (**القلوب**) قلوب المؤمنين (**إن**) شرطية (**وجد**) أي الحال (**مؤثرا بها**) جواب الشرط، أي: الحال كون القلب متأثرا بالأعمال، و(**تزول**) الأعمال (**إن فقد**) الحال.

**وإنما المقام حين تستقر في القلب: أي بلا انقطاع تستمر**

(**وإنما**) درجة (**المقام حين تستقر**) وتتمكن (**في القلب**) ومعنى ذلك (**أي بلا**) بدون (**انقطاع تستمر**) أي: درجة المقام: تستقر في القلب، وتستمر بلا انقطاع.

واعلم ـ رحمك الله ـ أن ثمرات الحال أو المقام، إنما هي ثمرة نوع الطاعات والقربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه جل وعلا، فهي التي تؤثر في قلب العبد، وتجعله في حال دون حال، وفي مقام دون مقام.

وقد بين العلامة ابن القيم رحمه الله هذا الأمر فقال: "إن الواردات والمنازلات لها أسماء باعتبار أحوالها، فتكون لوامع وبوارق ولوائح عند أول ظهورها وبدوها، كما يلمع البارق ويلوح عن بعد، فإذا نازلته وباشرها فهي أحوال، فإذا تمكنت منه وثبتت له من غير انتقال فهي مقامات، وهي لوامع ولوائح في أولها، وأحوال في أوسطها، ومقامات في نهاياتها، فالذي كان بارقا هو بعينه الحال، والذي كان حالا هو بعينه المقام، وهذه الأسماء له باعتبار تعلقه بالقلب، وظهوره له، وثباته فيه.

وقد ينسلخ السالك من مقامه كما ينسلخ من الثوب، وينزل إلى ما دونه، ثم قد يعود إليه، وقد لا يعود".[579]

وقال الشيخ ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: " تنوعت أجناس الأعمال، بتنوع واردات الأحوال".

(579) مدارج السالكين (1/ 155ـ 156).

## دوَاعِي العَمَلِ

**وَالنَّاسُ في الأعمالِ لـمَّا تنهمِكْ فَبَيْنَ مأمورٍ وَبينَ مشتَرِكْ**
**أو متشبِّهًا أوِ الَّذي اندفعْ مِنْ ذاتهِ: ذا خيرُ ساعٍ انتَفَعْ**

**دواعي العمل**: أي بيان الأشياء التي تدعو العبد إلى العمل.

قال الناظم:

**والناس في الأعمال لمّا تنهمك فبين مأمور وبين مشترك**

(**والناس**) على العموم (**في الأعمال**) التي يقومون بها (**لما**) حين (**تنهمك**) تجدّ وتلج وتتمادى، (**فـ**) إنها تكون (**بين مأمور**) انقاذ للأمر، وأطاع الآمر (**وبين مشترك**) بين الأمر والنهي.

**أو متشبها أو الذي اندفع من ذاته: ذا خير ساع انتفع**

(**أو**) يكون (**متشبها**) بغيره، مقلدا له (**أو**) يكون (**الذي اندفع**) للعمل إنما فعل ذلك (**من ذاته**) من نفسه، دون أمر، ولا تشبه (**ذا**) إشارة لمن اندفع من ذاته (**خير**) أفضل (**ساع**) عامل (**انتفع**) بسعيه وعمله. لأنه عمل ما عمل عن حب.

# الخَاتِمَةُ

بحمدِ ربِّنا افتتحناها وَها ... نحنُ بحمدهِ بلغنا خَتْمَها
سلسلةٌ في السِّجنْ قدْ نظمتُها ... متنًا غَدَا سهلًا بهِ تعليمُها
وَقالَ أصحابِي: طويلٌ نظمُها ... في ذا الزَّمانِ مستحيلٌ حِفظُها
فكلُّنا في هَمِّهِ مُنْذُ اعْتُقِلْ ... أمسى، وَعنْ حفظِ المتونِ مُنْشَغِلْ
فنحنُ للرَّشَّاشِ، لسنا للقلَمْ ... نمضي نُعِيدُ المجدَ، نبلغُ القِمَمْ
ولَّى زمانُ الدَّرسِ، وَلَّتِ الحِلَقْ ... فالقنصُ وَالتَّفخيخُ شُغْلُ مَنْ صَدَقْ
فاحذرْ أخي لا تنبطحْ، فقلتُ: مَهْ ... تمهَّلوا ما ذا الهوى ما ذا العَمَهْ؟!
مِنْ غيرِ علمٍ لنْ تقومَ قائمهْ ... لنا وَلنْ نحيا حياةً مُنْعَمَهْ
لا نشتكي الهمومَ إنَّما الهِمَمْ ... ماتتْ، فَذُلٌّ نابَنا وَالجهلُ طَمْ
علمُ الشَّريعةِ السَّبيلُ للقممْ ... وَما السُّيوفُ عندهُ إلا خَدَمْ
فَاحْظَ بهِ تَنْجُ فإنَّ مَنْ سلكْ ... دربَ النَّجاةِ دونَهُ حتمًا هَلَكْ
حتَّى وَلو غَدَا الجهادَ مَطْلَبُهْ ... فالظُّلمُ معْ قطعِ الطَّريقِ مذهبُهْ
فالحمدُ دائمًا لكاشفِ المِحَنْ ... نشكو لهُ الأسى وَغربةَ الزَّمنْ
وَنسألُ الإخلاصَ في هذا العملْ ... معَ الرِّضا وَعفوِهِ عنِ الزَّلَلْ
عنَّا وَعنْ شيوخنا وَكلِّ مَنْ ... سعى لِنَشْرِ ذي العلومِ وَاقْبَلَنْ
وَصَلِّ مولانا على حبيبنا ... محمَّدٍ فدىً لهُ أرواحُنا
وَآلهِ وَصحبهِ وَمُهْتَدِي ... بِهَدْيِهِ معَ السَّلامِ الأَبَدِيْ

**الخاتمة**: خاتمة كل شيء آخره.

**بحمد ربنا افتتحناها وها نحن بحمده بلغنا ختمها**

(**بحمد ربنا**) سبحانه (**افتتحناها**) ضمير الهاء يعود على المنظومة، (**وها**) تنبيه (**نحن**) الضمير إما يعود على الناظم نفسه، وهذا ليس من التعظيم أو التشريف، وإنما جرى به العرف عند الكتابة، والخطابة. وإما أراد به إشراك قُراء المنظومة معه، وإما للضرورة الشعرية، والله أعلم. (**بحمده**) متلبسين بحمده تعالى والثناء عليه (**بلغنا**) اقتربنا وأتممنا (**ختمها**) آخرها.

**سلسلة في السجن قد نظمتها متنا غدا سهلا به تعليمها**

(**سلسلة**) السلسلة: اتصال الشيء بالشيء، وبه سميت سلسلة الحديد وسلسلة الرمل[580]، وإنما أطلق على هذه المنظومة سلسلة: لأن أبياتها عبارة عن ذكر أعمال القلوب، وكل عمل يتصل بآخر، ويطلبه. (**في السجن**) وقد ذكرنا في ترجمة الشيخ أنه اعتقل عند النصيرية ثلاث مرات على خلفيات دعوية وجهادية، ومكث في سجنهم أشهرًا حتى أُطلق لعدم اعترافه بشيء رغم التعذيب الذي أصابه. كما وحُبس ـ أيضا ـ في سجون الأمريكان مرتين (**قد نظمتها**) أي ألفتها تأليفا متناسقا موزونا على بحر من بحور الشعر، فالشيخ حفظه الله، نظم جُلّ ـ أو كل ـ منظوماته حين كان مسجونا (**متنا**) قويا متماسكا. والمتن من كل شيء: ما صلب ظهره، والجمع متون ومتان[581] (**غدا**) أصبح (**سهلا**) يسيرا (**به**) أي بمتن المنظومة (**تعليمها**) المعنى: أن هذه السلسلة قد ألفها الناظم تأليفا

---

(580) جمهرة اللغة (1/ 204).

(581) لسان العرب (13/ 398).

متناسقا متماسكا قويا، أصبح بذلك تعليمها سهلا ويسيرا على من رغب في حفظها، والاستفادة منها.

**وقال أصحابي: طويل نظمها        في ذا الزمان مستحيل حفظها**

(**وقال أصحابي**) الذين معي في السجن (**طويل**) وكثير أبيات (**نظمها**) تأليفها، ونحن خاصة (**في**) ها (**ذا الزمان**) العصر (**مستحيل**) يصعب ومن المحال (**حفظها**) عن ظهر قلب.

**فكلنا في همه منذ اعتقل        أمسى، وعن حفظ المتون منشغل**

(**فكلنا**) كل واحد منا مشغول وشارد الذهن، وغارق (**في همه**) الذي شغل قلبه (**منذ اعتقل**) منذ حُبس ومُنع من حريته (**أمسى**) فيه تقديم وتأخير، والأصل: فكلنا أمسى في همه منذ اعتقل. (**وعن حفظ المتون**) عن ظهر قلب (**منشغل**) أي: منعنا من حفظ هذا النظم انشغالنا بما نحن فيه من همّ الاعتقال، والقيد، والضيق.

وذلك أن السجين حين ينقطع عن الحياة خارج زنزانته ينشغل فكره بعدة أشياء.

منها: مصير أهله ـ خاصة إن كانت له زوجة وأطفال ـ فإنه يظل مهموما ومغتما عن أحوالهم.

ومنها: أنه قبل إصدار الحكم، يظل يقدر درجة العقوبة، أهي الإعدام، أم المؤبد، أم عشر سنين..؟

ومنها: أنه لا يدري، هل سيتجلد للعذاب أم سيضعف؟

ومنها: انتظار العذاب الذي سيلحقه من الجلادين، فإن ذهنه ينصرف إلى أنواع من العذاب، فلا يدري أيتها سينال.

ومنها، ومنها...لذا، ينشغل القلب عن حفظ متن من المتون.

وقد مرّ بي هذا الإحساس لما كنت سجينا، خاصة في الشهور الأولى، فلما مضت سنتان، بدأت تارة أنشط للحفظ، والتأليف. وتارة أكسل وأعجز من شدة تشتت الذهن والفكر فيما ينتظرني، وفي أهلي، إلى أن جاء فرج الله تعالى فأطلق سراحي، ولله الحمد والمنة.

لذا، يخبرنا الناظم عما اعتذر به أصحابه، حيث قالوا له:

**فنحن للرشاش، لسنا للقلم          نمضي نعيد المجد، نبلغ القمم**

(**فنحن**) بهذا الحال الذي نعيشه، وهذا الهم الذي لا ينفك عنا، لا نصلح لحفظ المتون، وإنما نصلح (**للرشاش**) وهو نوع من أنواع الأسلحة المتطورة في عصرنا. و(**لسنا**) مستعدين (**للقلم**) كناية عن طلب العلم، وتدوينه، وحفظه (**نمضي**) حاملين سلاحنا (**نعيد**) به (**المجد**) العزة والكرم، و(**نبلغ**) بجهادنا (**القمم**) جمع قمة، وهو أعلى كل شيء، والمراد به هنا: كناية عن بلوغ سيادة العالم، ورئاسته.

**ولى زمان الدرس، ولت الحلق          فالقنص والتفخيخ شغل من صدق**

(**ولى**) مضى وأدبر وانتهى (**زمان**) وقت وعصر طلب (**الدرس**) إدمان قراءة كتاب مع التكرار، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ**﴾ [آل عمران: 79]، قال ابن عطية رحمه الله: "(تدرسون) بضم الراء، من درس إذا أدمن قراءة الكتاب وكرره". [582]

(582) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (1/ 463).

**(ولت)** مضت وانقضت **(الحلق)** جمع حلقة. يعني: حلق طلب العلم الشرعي، وذلك أن المعهود في مجالس دروس العلم الشرعي،أنها تقام في المساجد، حيث يجلس الشيخ على كرسي، ويتحلق الطلبة حوله. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. قال: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر**»[583]

**(ف)** لم يبق إلا **(القنص)** بتسكين النون: مصدر قَنَصَهُ، أي صاده[584]. والمراد به هنا الرمي من بعيد لقتل العدو، كأنه صيد. **(والتفخيخ)** وضع الفخ الذي هو المِصيدة التي يصاد بها، وهو معروف عند العرب. وأراد به هنا وضع مصيدة يقع فيها العدو صريعا من حيث يظن الأمان، وهذه من أحسن وأذكى الطرق للنيل من العدو **(شغل)** وهمّ **(من صدق)** في إعزاز هذا الدين، وليس حلق الذكر، والدروس العلمية.

**فاحذر أخي لا تنبطح، فقلت: مه تمهلوا ما ذا الهوى ما ذا العمه؟**

**(فاحذر)** هذا التحذير موجه للناظم من قبل أصحابه، قالوا له: فاحذر **(أخي)** في الله، إياك **(لا تنبطح)** كناية عن الخضوع والذل والاستسلام، أي لا تستلم ولا تذعن ولا تضعف. وأصل الانبطاح الوقوع على البطن، والاستلقاء على الأرض.

**(فقلت)** لهم على وجه الزجر والإنكار **(مه)** كلمة بنيت على السكون، وهو اسمٌ سُمِّيَ به الفعل، ومعناه اكْفُفْ.[585] أي: كفوا عن هذا و**(تمهلوا)** لا تعجلوا، ولا تتسرعوا **(ما)** ها **(ذا الهوى)** الذي تكلمتم به وزعمتم أنه الحل، و**(ما)** ها **(ذا العمه)** الحيرة والتردد. ومنه قوله تعالى: **(فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)** [البَقَرَة: 15] أي: " في ضلالهم وكفرهم الذي قد غمرهم دنسُه، وعلاهم رِجْسُه،

---

(583) رواه الترمذي، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (6/ 130).

(584) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (3/ 1054).

(585) المصدر نفسه (6/ 2250).

يترددون حيارى ضُلالا لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها، فأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها، فلا يبصرون رُشْدا ولا يهتدون سبيلا". قال ابن جرير الطبري رحمه الله.(586)

**من غير علم لن تقوم قائمه لنا ولن نحيا حياة منعمه**

**(من غير)** تزود بـ**(علم)** شرعي منضبط على منهاج أهل السنة **(لن تقوم قائمه......لنا)** أي: لن تقوم لنا قائمة، كناية عن بلوغ العزة **(ولن نحيا حياة منعمه)** سواء في الدنيا أو في الآخرة، وذلك لأن كلا الحياتين ـ الدنيوية والأخروية ـ منوطتان بالعلم. وأما التهور والتسرع في الاصطدام مع الباطل دون إعداد العدة العلمية ـ الشرعية الوكونية ـ فسيفضي بأصحابها إلى ضربات من العدو تفسد عليهم دينهم ودنياهم، فيحيون حياة مضطربة، مليئة بالخوف والبؤس.

وقد أثنى الله تعالى على العلماء، ورغب في العلم، في غير موضع من كتابه سبحانه، نحو: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر: 28]، وقال جل وعلا: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: 9].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: 11]. خص سبحانه رفعه بالأقدار والدرجات الذين أوتوا العلم والإيمان وهم الذين استشهد بهم في قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**﴾ [آل عمران: 18]. وأخبر أنهم هم الذين يرون ما أنزل إلى الرسول هو الحق بقوله تعالى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ**﴾ [سبأ: 6]. فدل على أن تعلم

---

(586) جامع البيان (1/ 310).

الحجة والقيام بها يرفع درجات من يرفعها كما قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]. قال زيد بن أسلم: بالعلم. فرفع الدرجات والأقدار على قدر معاملة القلوب بالعلم والإيمان فكم ممن يختم القرآن في اليوم مرة أو مرتين وآخر لا ينام الليل وآخر لا يفطر وغيرهم أقل عبادة".[587]

وقال الشافعي رحمه الله: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة".

وقال: "ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم".

وقال: "من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم".

وقال: "من لا يحب العلم فلا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة".[588]

**فائدة مهمة:**

يلاحظ في هذه الأبيات حرص الشيخ حفظه الله على طلب العلم أولا، وعدم التسرع، إذ العبرة في الثبات واليقين، والإيمان الجازم بوعد الله تعالى، قبل الانطلاق إلى ساحة الجهاد، وملاقاة العدو. وقد أشار سيد قطب رحمه الله لهذا الجانب بقوله: "إنه ابتداء يجب توجيه الحرص كله لإقامة القاعدة الصلبة من المؤمنين الخلص، الذين تصهرهم المحنة فيثبتون عليها، والعناية بتربيتهم تربية إيمانية عميقة تزيدهم صلابة وقوة ووعيا، ذلك مع الحذر الشديد من التوسع الأفقي قبل الاطمئنان إلى قيام هذه القاعدة الصلبة الخالصة الواعية المستنيرة. فالتوسع الأفقي قبل قيام هذه القاعدة خطر

---

(587) مجموع الفتاوى (16/ 48).

(588) المجموع شرح المهذب (1/ 20).

ما حق يهدر وجود أية حركة، لا تسلك طريق الدعوة الأولى من هذه الناحية، ولا تراعي طبيعة المنهج الحركي الرباني النبوي الذي سارت عليه الجماعة الأولى.

على أن الله- سبحانه- هو الذي يتكفل بهذا لدعوته. فحيثما أراد لها حركة صحيحة، عرّض طلائعها للمحنة الطويلة وأبطأ عليهم النصر وقللهم وبطأ الناس عنهم حتى يعلم منهم أن قد صبروا وثبتوا، وتهيأوا وصلحوا لأن يكونوا هم القاعدة الصلبة الخالصة الواعية الأمينة.. ثم نقل خطاهم بعد ذلك بيده- سبحانه- والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون". (ا.هـ).(589)

## لا نشتكي الهموم إنما الهمم ماتت، فذُلٌّ نابنا والجهل طم

(**لا نشتكي الهموم**) الاشتكاء: إظهار ما بك من مكروه أو مرض ونحوه(590). أي: علينا أن لا ننسب ما نحن فيه من ضيق وبلاء إلى الهموم التي ألمت بنا (**إنما**) حقيقة الأمر أن (**الهمم**) العزائم وطلب معالي الأمور. جمع همة، وهي: اتساع الهم وبُعد موقعه. ولهذا يمدح بها الإنسان، فيقال: فلان ذو همة، وذو عزيمة.(591) (**ماتت**) كناية عن الخمول والكسل، والاشتغال بسفاسف الأمور، والرضى بالدون (**فـ**) نتج عن ذلك (**ذل**) هوان وصَغار (**نابنا**) أصابنا، يقال: نابه أمر وانتابه، إذا

(589) في ظلال القرآن (3/ 1578).

(590) لسان العرب (14/ 439).

(591) الفروق اللغوية للعسكري (ص: 127).

أصابه (**والجهل**) بنوعيه الطبيعي والمركب قد (**طم**) كثر وعم وانتشر. يقال: طم الماء يطم طما وطموما: علا وغمر. وكل ما كثر وعلا حتى غلب فقد طم[592].

**علم الشريعة السبيل للقمم وما السيوف عنده إلا خدم**

(**علم الشريعة**) أي العلم بالأحكام التي شرعها الله تعالى لعباده، المستنبطة من الكتاب والسنة. وأصل كلمة الشريعة والشرعة: هي الطريق إلى الماء وغيره مما يورد كثيرا. فمن ذلك قول الشاعر:

**وفي الشرائع من جلان مقتنص بالي الثياب خفيّ الصوت مندوب.**[593]

قال العلامة ابن عاشور رحمه الله: "وسميت الديانة شريعة على التشبيه، لأن فيها شفاء النفوس وطهارتها. والعرب تشبه بالماء وأحواله كثيرا"[594].

والمعنى: أن العلم بالأحكام الشرعية، والتفقه في الدين، هو (**السبيل**) الطريق المستقيم، والصواب (**لـ**) بلوغ (**القمم**) الدرجات العالية، ورئاسة العالم.

**............................ وما السيوف عنده إلا خدم**

(**وما**) نافية حجازية، أي ليست (**السيوف**) والأسلحة بأنواعها (**عنده**) عند العلم (**إلا**) أداة حصر (**خدم**) أي: ما السيوف والأسلحة إلا خدم عند العلم الشرعي الذي هو سيدها. كما قيل:

---

(592) لسان العرب (12/ 370).

(593) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 201).

(594) التحرير والتنوير (6/ 223).

| | |
|---|---|
| علـــم العلـــيم وعقـــل العاقـــل اختلفـــا | مـــن ذا الـــذي مـــنهما قـــد أحـــرز الشرـــفا |
| العلـــم قـــال: أنـــا أحـــرزت غايتـــه | والعقـــل قـــال: أنـــا الـــرحمن بي عرفـــا |
| فأفصـــح العلـــم إفصـــاحا وقـــال لـــه | بأينـــــا الله في فرقانـــــه اتصـــــفا؟ |
| فبـــان للعقـــل أن العلـــم ســـيده | فقبـــل العقـــل رأس العلـــم وانصرـــفا |
| فناداهمـــا التوفيـــق أن اســـمعا وقفـــا | لـــولا الـــوحي لكـــان الكـــل منحرفـــا |
| هـــذا حـــوار ظريـــف ســـاده أدب | لـــولا الرســـول لكـــان الكـــل منحرفـــا |

قال الناظم:

**فاحظ به تنج فإن من سلك درب النجاة دونه حتما هلك**

**(فاحظ به)** أي احرص على أن يكون لك حظ من هذا العلم الشريف، قبل أن تعمل أي عمل، فإنك إن تتعلم **(تنج)** من سخط الله تعالى، وتنج من القول على الله تعالى بغير علم، وتنج من الوقوع في المحظورات **(فإن من سلك)** التمس الدخول من **(درب)** الدرب: باب السكة الواسع. وهو هنا كناية عن طلب العلم **(النجاة)** من كل شر ومكروه **(دونه)** أي دون العلم الشرعي **(حتما)** يقينا **(هلك)** أي سيهلك. والمعنى: أن من سلك بابا غير باب العلم، وطريقا غير طريق العلم، فلا شك سيهلك.

وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه: "باب العلم قبل القول والعمل. لقول الله: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [محمد: 19] فبدأ بالعلم وأن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة. وقال: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: 28] وقال: ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: 43]...".[595]

---

(595) صحيح البخاري (1/ 24).

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "وسلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم، مثل حفظه، ودارسته، ومذاكرته، ومطالعته، وكتابته، والتفهم له، ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها إلى العلم".[596]

**حتى ولو غدا الجهاد مطلبه فالظلم مع قطع الطريق مذهبه**

**(حتى ولو غدا)** أصبح وصار **(الجهاد)** في سبيل الله. خبر غدا مقدم منصوب **(مطلبه)** اسمها مؤخر مرفوع. أي: من لم يسلك سبيل العلم الشرعي هلك يقينا، حتى ولو أصبح الجهاد في سبيل الله تعالى مطلبه، فذاك لا يغني عنه شيئا، لأنه جاهل. لذا قال (فالظلم) وهو وضع الشيء في غير محله **(مع)** إضافة إلى **(قطع الطريق)** على المارة بقتلهم وسرقة أموالهم. كما في قوله تعالى: ﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ**﴾ [العنكبوت: 29] أي: يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم.[597] **(مذهبه)** طريقته، أي: لو أن الجاهل خرج يطلب الجهاد في سبيل الله تعالى، لكان من أثر جهله: ظلم الناس، والتعرض للمارة بالقتل والسلب، وتشويه فريضة الجهاد. كما هو شأن مذهب الخوارج، خرجوا على عليّ بن أبي طالب، وكفروه وكفروا الصحابة جميعا، ثم جعلوا لهم أصلًا وهو: أن مرتكب الكبيرة كافر في الدنيا.

ففي هذه الأبيات: حث الشيخ الناظم ـ حفظه الله ـ على طلب العلم، والصبر على تحصيله، قبل خوض الجهاد في سبيل الله تعالى.

---

(596) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (2/ 297).

(597) تفسير ابن كثير (6/ 276).

وفيها: قاصمة الظهر لمن يتهم الشيخ الناظم بالجهل، والاندفاع، ومذهب الخوارج، بل العكس هو الصحيح، وهذا ما سطره بقلمه ـ حفظه الله ـ في هذه السلسلة الذهبية عموما، وفي هذه الأبيات خصوصا. ألا لعنة الله على الظالمين، الكاذبين، المفترين. ألا وليتق الله تعالى أولئك المشايخ ـ الذين اختلط عليهم الأمر، أو سولت لهم أنفسهم، أو لُبّس عليهم، أو انطفأت شهرتهم، أو لم يعد لهم تأثير في الرجال ـ في رمي جند الدولة الإسلامية بقذائف الزور والبهتان، فإنهم ـ والله، نحسبهم على الحق ولا نزكيهم، والله حسيبهم ـ قد رفعوا راية خفاقة، ظاهرة المعالم، لا لبس فيها ولا غموض: توحيد لا غبار عليه، إما: الدخول في الإسلام، وإما الجزية، وإما القتال. ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾ [يونس: 32].

### فالحمد دائما لكاشف المحن نشكو له الأسى وغربة الزمن

(**فالحمد**) الثناء الجميل (**دائما**) وأبدا (**لكاشف**) مزيل (**المحن**) جمع محنة، وهي الاختبار والابتلاء، وكاشف المحن هو الله جل وعلا (**نشكو له**) وحده سبحانه هذا (**الأسى**) الحزن (**وغربة الزمن**) أصل الغربة: البعد. ومنه: "الغريب معناه في كلام العرب: المُبْعَد من وطنه".[598]

والمعنى: نشكو إلى الله تعالى ما أصابنا من حزن، ونشكو له غربة هذا الزمن، حيث صرنا غرباء بين الناس، بل غرباء بين مدعي الإسلام، بل غرباء فيما نحن فيه من همة.

وقد عقد العلامة ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين، فصلا عن: "الغربة"، نذكر منها فوائد مناسبة:

قال رحمه الله: قال شيخ الإسلام ـ الهروي ـ :

(598) الزاهر في معاني كلمات الناس (1/ 194).

باب الغربة قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ**﴾ [هود: 116].

استشهاده بهذه الآية في هذا الباب يدل على رسوخه في العلم والمعرفة وفهم القرآن، فإن الغرباء في العالم هم أهل هذه الصفة المذكورة في الآية، وهم الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «**بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس**».

فأهل الإسلام في الناس غرباء، والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء.

وأهل السنة الذين يميزونها من الأهواء والبدع فهم غرباء، والداعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقا، فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين، الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [الأنعام: 116] ، فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم، كما قيل:

**فليس غريبا من تناءت دياره ... ولكن من تنأين عنه غريب.**

وقال رحمه الله: الدرجة الثالثة: غربة الهمة، وهي غربة طلب الحق، وهي غربة العارف؛ لأن العارف في شاهده غريب، ومصحوبه في شاهده غريب، وموجوده لا يحمله علم أو يظهره وجد، أو يقوم به رسم، أو تطيقه إشارة، أو يشمله اسم غريب، فغربة العارف غربة الغربة؛ لأنه غريب الدنيا والآخرة.

إنما كانت هذه الدرجة أعلى مما قبلها؛ لأن الغربة الأولى غربة بالأبدان. والثانية: غربة بالأفعال والأحوال. وهذه الثالثة: غربة بالهمم. فإن همة العارف حائمة حول معروفه، فهو غريب في

أبناء الآخرة، فضلا عن أبناء الدنيا، كما أن طالب الآخرة غريب في أبناء الدنيا".(انتهى بتصرف).[599]

**ونسأل الإخلاص في هذا العمل مع الرضا وعفوه عن الزلل**

(**ونسأل**) الله تعالى (**الإخلاص**) لوجهه الكريم (**في هذا العمل**) وهو نظم السلسلة الذهبية في الأعمال القلبية (**مع**) نيل (**الرضا**) منه تعالى (**وعفوه**) جل وعلا (**عن الزلل**) الزلق والسقوط، وهو كناية عن الخطأ.

**عنا وعن شيوخنا وكل من سعى لنشر ذي العلوم واقبلن**

(**عنا وعن شيوخنا**) الأموات والأحياء، الذين تعلمنا منهم، ودرسنا على أيديهم، أو من كتبهم (**و**) عن (**كل من سعى**) عمل (**لنشر**) ها (**ذي العلوم**) المبتوتة في هذا النظم (**واقبلن**) نون التوكيد المخففة. والمعنى: نسألك اللهم الإخلاص في هذا العمل مع الرضا عنا، والعفو عن زلاتنا، وارض اللهم كذلك عن شيوخنا وكل من عمل لنشر هذه العلوم، واعف عن زللهم كذلك، واقبل منا جميعا هذا العمل، ولا ترده علينا.

**وصل مولانا على حبيبنا محمد فدى له أرواحنا**

---

(599) مدارج السالكين (3/ 184 إلى 193).

(**وصل**) بارك وزد شرفا (**مولانا**) سيدنا وربنا (**على حبيبنا**) وقرة أعيننا نبيك خاتم الأنبياء والمرسلين (**محمد**) صلواتك وسلامك عليه (**فدى**) نفديه (**له أرواحنا**) أي أرواحنا فدى له، نفديه بها، ونسترخصها فيه صلى الله عليه وسلم.

| | |
|---|---|
| **وآله وصحبه ومهتدي** | **بهديه مع السلام الأبدي** |

(**و**) صل على (**آله**) آل بيته الطيبين (**و**) على (**صحبه**) الكرام أجمعين (**و**) على (**مهتدي**) الذين اهتدوا (**بهديه**) واستنوا بسنته، صلاة (**مع السلام**) عليهم جميعا منك (**الأبدي**) الذي يدوم بدوامك، والسرمدي الذي لا ينقطع، يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين.

وقد جاءت هذه المنظومة مفتتحة بحمد لله تعالى ومنتهية به تيمنا بكتاب الله تعالى، حيث افتتح كتابه بقوله: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ [الفاتحة:1]. ونبه إليه في ختام كل كلام أو عمل بقوله: ﴿**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (180) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (181) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (182)**) [الصافات: 180 – 182]. وقوله تعالى: ﴿**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [يونس: 10]. وهذا ما جرى عليه العلماء في كتبهم، والخطباء في خطبهم.

وأختم بدوري هذا الشرح الوجيز، مما أفاضه علي الحكيم العزيز، فأقول معترفا بالتقصير: اللهم لك الحمد على على هذا التيسير، حمدا يوافي نعمك وفضلك، ويكافئ عطاءك ومزيدك، اللهم تقبله مني خالصا لوجهك الكريم، وانفع به من نظر فيه بقلب سليم، ولا ترده علي بعدلك، واقبله مني بفضلك ومنّك.

رب أعوذ بك من قول بلا عمل، ومن عمل في السر يخالف العلن، وأعوذ بك أن أذكر الناس بالخير وأنسى نفسي.

رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، وانصرني على من بغى علي.

رب اجعلني لك شكارًا، لك ذكّارًا، لك رهّابًا، لك مخبتًا، إليك أواهًا منيبًا.

رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما أنت: يا أيها الناظر في هذا الكتاب، ما يسعني في هذا الختام، إلا أن أقول لك ما قاله ابن القيم الإمام: " لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفؤا كريما لم تعدم منه إمساكا بمعروف أو تسريحا بإحسان، وإن كان غيره فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله"[600] عليه الصلاة والسلام.

**وختامًا أقول:**

بحمد ربي تم فضله فجاءني الفتح الذي رجوته
عليك إذا رمت الهدى وطريقه بشرح نظم طال شوقه
ذا القدرُ شرحا لا يفي بالغايه وفي الذي ذكرته كفايه
ختمته والفضل لله الأحد مجري العطايا ليس تُحصَى أو تُعد
مصليًا على النبي المختار محمد وآله الأبرار

سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

---

(600) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: 13).

وكتبه أسير ذنبه

أبو عبد الله أيوب محمد القرشي

غفر الله له ولوالديه

وكان الفراغ من تبييضه

ليلة الإثنين 13 ربيع الثاني 1436 هـ

موافق 02/ 02/ 2015 م

# السِّلسلة الذَّهَبيَّة

## فِي الأعمالِ القَلبيّةِ

### مُقَدِّمَةٌ

حَمِدتُ ربِّي بادئًا مُصَلِّيا على النَّبيِّ المصطفى وَراجيا
يا ربِّ وفقني لِنَظْمٍ نافعِ في علمِ أعمالِ القلوبِ جامعِ

### تعرِيفٌ بِهَذَا العِلمِ وَأَهميّتِهُ

علمٌ بإصلاحِ القلوبِ يعتني فكَمْ لهُ يحتاجُ كلُّ مؤمنِ
وَعلمُ إنشاءِ قدِ اقتضى العملْ لا علمُ إخبارِ لِمَنْ بهِ اشتغلْ

### أَصلهُ وَتَارِيخُه

مُسْتَنْبَطٌ مِنَ الكتابِ أصلُهُ هَدْيُ النَّبيِّ قولُهُ وَفعلُهُ
وَالتَّابعونَ عنْ صحابةِ النَّبيْ تناقَلُوهُ بينهمْ؛ لمْ يُكْتَبِ
حتَّى اعتنى بجمعهِ الصُّوفيَّةُ فعندهمْ عِلْمُ السُّلُوكِ صَنْعَةُ
لكنَّهمْ ضَلُّوا بهِ وَخَرَّفوا بِشَطْحِهِمْ: هَدْيَ النَّبيِّ حَرَّفوا
فَخَطَّهُ ابنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ وَشيخُهُ مِنْ قبلهِ في التُّحفةِ
لِكَشْفِ كلِّ شُبْهَةٍ صُوفِيَّةِ وَفضحِ كلِّ بِدْعَةِ وَشَطْحَةِ

## حَقِيقَةُ القَلبِ

لكلِّ قلبٍ سمعُهُ معَ البصرْ ... يَعمى كذا يموتُ يحيا كالبَشَرْ

وَعقلُهُ وَفِقْهُهُ، وَيمرَضُ ... وَإِنْ يُعَالَجْ بالصَّلاحِ يَنْبِضُ

هوَ الإناءُ ناضِحًا بما احْتَوَى ... فَامْلأْهُ خيرًا، وَلْتُجَنِّبْهُ الهوى

## أَنوَاعُ القُلُوبِ

حَيٌّ سليمٌ قلبُ كلِّ مؤمنِ ... وَأربعٌ مِيزَاتُهُ فَدَوِّنِ

بُغْضُ المعاصي دائمًا وَرَدُّها ... وَلا يَرُدُّ طاعةً معْ حُبِّها

وَمَيِّتٌ قاسٍ: لِعَاصٍ كافرِ ... مِيزاتُهُ ضِدَّ السَّليمِ فَاذْكُرِ

أَمَّا المريضُ مِيزَتَيْهِ ما احتوى ... لمسلمٍ عَصِيْ يُحَكِّمُ الهوى

## دَواءُ القَلبِ، وَزَادُهُ، وَلِبَاسُهُ

وَالقلبُ إنْ يمرضْ يُدَاوَى بالتُّقى ... أيضًا لباسُهُ وَزادُهُ التُّقى

فَتَحْمِهِ التَّقوى مِنَ المَضَرَّةِ ... كَدَفْعِ شهوةٍ وَردِّ شُبْهَةِ

صارتْ لهُ كالثَّوبِ أو كَحُلَّةِ ... لعورةٍ وَحِمْيَةٍ وَزِيْنَةِ

عوراتُهُ: ظلمٌ وَشُحٌّ وَالهوى ... إنَّ التُّقى سِتْرٌ لهُ إذا غوى

وَزينةٌ لهُ، كذا التَّقوى التَزِمْ ... كَحُسْنِ أخلاقٍ وَطَيِّبِ الكَلِمْ

## تَعرِيفُ التَّقوى

وَجاءَ في التَّقوى عنِ ابنِ تيميهْ ... أنْ نحتمي باللهِ منهُ، قلْ هِيَهْ

لأَنَّهُ بالضُّرِّ وَالنَّفعِ انفردْ ... بِنَفْسِهِ وَفِعْلِهِ إلى الأبَدْ

وَحَدَّها ابنُ القيِّمِ بما اجتمعْ ... مِنْ صالحِ الأعمالِ معْ علمٍ نَفَعْ

## أَقسَامُ العِلْمِ؛ مِن حيثُ ارتبَاطُه بِالنَّفعِ وَالضّر

العلمُ؛ قسمٌ مِنْهُ نافعٌ يَسُرْ وَمنهُ زائلٌ، وَمنهُ ما يَضُرْ
فالعلمُ نافعٌ إذا بهِ حصلْ للهِ قُرْبَةٌ بِنَاتِجِ العملْ
كالعلمِ بالصِّفاتِ وَالأسماءِ وَعلمِنا بالخَلْقِ وَالآلاءِ
أو علمِ فقهٍ مَنْ عليهِ قدْ حصلْ يعرفْ بهِ الدِّينَ وَللهِ وَصَلْ
وَعلمُ شَهوةٍ مِنَ العلمِ المُضِرْ مِنْ أجلها على المعاصي قدْ نُصِرْ
وَعلمُ شُبْهَةٍ غدا أقوالَ حقْ وَالقصدُ معنىً باطلٌ مِمَّنْ نَطَقْ
أمَّا الَّذي يزولُ معْ موتِ البَشَرْ فثَمَّ لا نفعٌ لهُ وَلا ضررْ
إنْ لمْ يكنْ لِفِعْلِ مُنْكَرٍ سببْ أو تركِ طاعةٍ مباحٌ يُحْتَسَبْ

## أَجزَاءُ العَمَلِ الصَّالِحِ

وَاحفظْ أخي أجزاءَ صالحِ العملْ ثلاثةٌ صلاحُهُ بها حصلْ
فاحرصْ على أسبابهِ الشَّرعيَّةِ معْ عملِ القلبِ معَ الكونيَّةِ
وَعندَ نقصِها: زِدِ الشَّرعيَّةَ وَزدْ كذا أعمالَكَ القلبيَّةَ

## الرَّبطُ بينَ تعريفَي الشَّيخَينِ للتَّقوَى

كي نحتمي باللهِ منهُ نحتمي بصالحِ الأعمالِ خوفَ المُؤْثِمِ
وَنحتمي بنافعِ العلومِ مِنْ علمٍ يَضُرُّ ذا التُّقى، فَكُنْ فَطِنْ

## لِمَاذَا خَلَقَنا اللهُ؟

خلافةُ الأرضِ الأمانةُ الَّتي مِنْ أجلها قدْ تمَّ خَلْقُ أمَّتي

لِفَرْضِ توحيدِ مع التَّحاكُمِ فقطْ لِشَرْعِ ربِّنا في العالَمِ

## بِمَاذَا مَيَّزَنَا اللهُ لِتَحَمُّلِ هَذِهِ الأَمَانَةِ؟

وَمُيِّزَ الإنسانُ للأمانةِ بِقُوَّةِ الإدراكِ وَالإرادةِ
فَقُوَّةُ الإدراكِ في عقلِ البشرْ وَالسَّمعُ آلةٌ لها معَ البَصَرْ
نُمَيِّزُ الحقَّ بها وَالباطلا وَالنَّفعُ وَالضُّرُّ بها قدِ انْجَلَى
وَقوَّةُ الإرادةُ الَّتي بها أعمالُنا وَالقلبُ مركزٌ لها
وَآلةٌ لها جوارحُ الجسدْ لِكَسْبِ خيرٍ أو لِدَفْعِ ما فَسَدْ

## لِلإِنسَانِ نَقصَانِ: نَقصُ خَلْقٍ، وَنَقصُ فِطرَة

لكلِّنا عنْ نقصِ خَلْقٍ عُذْرُهُ وَنَقْصُ فطرةٍ عليهِ جَبْرُهُ
فَسُدَّ نَقْصَ فطرةٍ بما يلي بِنَافِعِ العلومِ، وَالهدى سَلِ
وَنقصَ إدراكٍ بصالحِ العملْ كذا إعانةً مِنَ الرَّحمنِ سَلْ
فَذِي حقيقةُ التُّقى، فَقُمْ بها وَجاءَ في أُمِّ الكتابِ نَصُّها

## شُرُوطُ "لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ"

إيمانُنا أركانُهُ بها ارتُبِطْ كلُّ الَّذي لِكِلْمَةِ الحقِّ اشْتُرِطْ
فأَوَّلُ الأركانِ: تصديقٌ بها وَهوَ قولُ القلبِ؛ أي: إقرارُها
فَنُطْقُها فَعَمَلٌ بالمُضْغَةِ مُعَرَّفٌ بالهَمِّ وَالإرادةِ
وَالرَّابعُ: الأعمالُ بالجوارحِ أقلُّهُ الإيماءُ مِنْ مُمَازِحِ

## الهَمُّ هَمَّان

هَمٌّ: حديثُ النَّفسِ قولًا قالَهُ ... بِقَلْبِهِ خيرُ وَشَرٌّ ما لَهُ
وَآخرٌ: إرادةٌ جازمةٌ ... أعمالُ قلبٍ، وَلَهُ عاقِبَةٌ
فإنْ نوى حسنةً: فَتُسْتَطَرْ ... واحدةً، إنْ حالَ دونها القَدَرْ
وَعَشْرَةً متى يقمْ بها، وَلا ... شيئًا لهُ إنْ عزمُهُ تبدَّلا
وَالسِّيئاتُ مثلها لكنَّها ... واحدةٌ فقطْ بلا تَضْعِيْفِهَا
وَإنْ يَخَفْ مِنْ ربِّهِ وَيَنْثَنِي ... تُكْتَبْ لهُ حسنةٌ وَتُوْزَنِ

## رَبطُ الشّرُوطِ بِالأَركَانِ

وَأوَّلُ الشُّروطِ: عِلْمٌ نافعُ ... لِنَفْيِ جَهْلٍ بالضَّلالِ مُوقِعُ
وَالجهلُ أنواعٌ ثلاثةٌ شُعَبْ؛ ... جهلٌ بسيطٌ فطرةٌ لمْ يُكْتَسَبْ
وَآخَرٌ مُرَكَّبٌ وَمُكْتَسَبْ ... علمٌ خلافُ الحقِّ ضلَّ مَنْ طَلَبْ
كذا الجحودُ بِئْسَ جهلُ مَنْ جَهِلْ ... مِنْ عالمٍ للحقِّ ضدَّهُ عَمِلْ
وَبعدها اليقينُ: علمٌ استقَرْ ... في القلبِ مِنْ سماعِ صادقِ الخَبَرْ
يكونُ عينُهُ بِرُؤْيَةِ الخبرْ ... عنْ ثقةٍ أتى وَعنْ ربِّ البَشَرْ
وَحقُّهُ يكونُ باستعمالنا ... لهُ غَدَا مُسْتَوْجِبًا إنشاءَنا
وَلنْ ترى بعدَ النَّبيِّ في البَشَرْ ... مِنْ ثقةٍ مَنْ شكَّ فيهِ قدْ كَفَرْ
وَالثَّالثُ: التَّصديقُ ركنٌ ما أتى ... بلا اجتماعِ سابِقَيهِ يا فتى
وَالرَّابعُ: القَبولُ؛ أي ألاَّ تُرَدْ ... عبادةُ الإلهِ أو حقٌّ وَرَدْ
فتلكَ قولُ القلبِ ثمَّ بعدها ... أعمالُهُ وَالنُّطقُ مِنْ أركانها
ركنٌ قيامُهُ على القَبولِ ... وَالانقيادِ، فاسْتَمِعْ لِقَولي
فالانقيادُ سادسًا: أن نَلْتَزِمْ ... شريعةَ الرَّحمنِ فِعْلًا معْ كَلِمْ
وَبالجِنانِ وَالجوارحِ انْقَسَمْ ... أقوالُها أعمالُها فالرَّبطُ تَمْ

وَأَنَّهُ مُسْتَلْزِمٌ أَنْ نَتَّبِعْ ... أَنْ نَقْتَفِيْ الآثارَ لا أَنْ نَبْتَدِعْ

وَالاتِّباعُ لازِمٌ للطَّاعةِ ... نعني بها تنفيذَ أمرِ الشِّرْعَةِ

وَسابعًا: قلْ عملُ القلبِ وَبالْـ ... إخلاصِ بعدَ الانقيادِ يَكْتَمِلْ

فالثَّامنُ: الإخلاصُ؛ أي لا تَنْوِيَنْ ... لِغَيرِ وجهِ اللهِ حينَ تَعْمَلَنْ

فعملُ الجوارحِ الملازمُ ... للانقيادِ مَعْهُ صدقٌ دائمُ

فالصِّدقُ: أي كُنْ ظاهرًا مطابِقا ... لِباطنٍ وَلا تكنْ منافِقا

## المحبَّةُ وأَنواعُهَا

وَاذكرْ أهمَّ شرطٍ المحبَّةْ ... تَعَلُّقُ القلوبِ بالأَحِبَّةْ

## المحبَّةُ الشرعيَّةُ: علاماتها، وأسبابه

شرعيَّةٌ قلْ أوَّلُ التَّقسيمِ ... محبَّةُ اللهِ معَ التَّعظيمِ

معناهُ أنْ تَلِيْقَ بالجَلالِ ... جلالِ ربِّنا وَبالكمالِ

وَإِنْ سُئِلْتَ: هلْ لها علامةٌ؟ ... فقلْ: موالاةٌ بَدَتْ وَطاعةٌ

وَربُّنا نحبُّهُ لِذاتهِ ... مُنَزَّهٌ لا نقصَ في صِفَاتِهِ

85 وَعَمَّ كلَّ الخَلْقِ بالإحسانِ ... وَأَنْعُمٍ مِنْ فَضلِهِ المَنَّانِ

## المحبةُ الشِّركيَّة

وَبعضُها شركيَّةٌ كُنْ عالِمًا ... كَمَنْ يُحِبُّ غيرَهُ مُعَظِّمًا

بِصَرْفِهِ الكمالَ أو صرفِ النِّعَمْ ... لِغَيرِ ربِّهِ، لِنفسهِ ظَلَمْ

فاعرفْهُ مِنْ وَلائهِ وَطاعتِهْ ... لِغَيرِ ربِّهِ معًا وَنُصْرَتِهِ

## المحبّةُ في اللهِ تَعَالَى

وَثالثًا: في اللهِ صارَ قُرْبَةً لِمَنْ أحبَّ المؤمنينَ ذِلَّةً
معناهُ: أخذُ الحقِّ مِنْ صغيرِهمْ أو مِنْ كبيرِهمْ وَيُعْطِهِ لَهُمْ
وَاسْتَلْزَمَتْ بُغضًا لكلِّ كافرِ فاللهُ لا يُحِبُّ كلَّ فاجرِ
وَالمؤمنونَ حُبُّهمْ معًا وَجَبْ وَحُبُّهمْ على الخصوصِ مُسْتَحَبْ

## المحبةُ الفاسِدَةُ

وَاذكرْ محبَّةَ الحرامِ الفاسدةْ أوِ القبيحِ، ما لها مِنْ فائدةْ
وَمِنْ فسادِ فطرةٍ أتتْ وَهلْ فسادُها إلَّا مِنَ المحيطِ حَلْ؟
وَإنْ خَلا مِنِ اعتقادِ ما بَطَلْ قلبٌ إذًا صلاحُ فطرةٍ حَصَلْ
وَقلْ قبيحٌ كلُّ ما قدْ حُرِّما وَالعكسُ ليسَ بالصَّحيحِ دائما

## المحبةُ الطَّبيعيَّة

وَاذكرْ محبَّةً مِنَ الطَّبيعةِ عندَ الورى مجْبُولَةً بالفِطْرَةِ
ليستْ لتعظيمٍ وَلا لِذِلَّةٍ وَلا فسادٍ، إنَّما لِحاجةِ
بِقَدْرِ حاجةٍ يكونُ حجمُها وَحكمُ علمٍ زائلٍ كَحُكْمِها

## محبَّةُ التّعظِيم

وَقدِّرِ الرَّحمنَ تقديرًا كما يريدُ إنْ تكنْ لهُ مُعَظِّما
أي حقَّ قَدْرِهِ كما يريدُ، لا كما تظنُّ أنتَ ظنًّا جاهِلا
وَينشأُ التَّعظيمُ مِنْ تَفَكُّرِ في آيِ ربِّنا، وَمِنْ تَدَبُّرِ
تَفَكُّرٍ في آيِهِ الكونيَّةِ تَدَبُّرٍ لآيِهِ الشَّرعيَّةِ

وَإنْ عبدتَ اللهَ ذاكِرًا كما يريدُ: كنتَ عبدَهُ المُعَظِّما

## الطَّاعَةُ

وَالطَّاعةُ: التَّنفيذُ للأوامرِ فعلٌ وَتركٌ باطنٍ وَظاهرِ
وَأُطْلِقَتْ لله وَالرَّسولِ فَعَنْهُ نلقى الأمرَ بالقَبولِ
فلا تَردَّ، لا تجادلْ، لا تَسَلْ عنْ أمرِ ربِّنا لماذا قدْ فعلْ
وَاحذرْ؛ فطاعةُ الوُلاةِ قُيِّدَتْ بما يوافقُ الَّتي قدْ أُطلِقتْ
همْ قائدٌ وَعالمٌ بِشَرْعِنا فَذا يَدُلُّنا، وَذا يقودنا

## الـمُوَالَاةُ

وَإنْ سُئِلْتَ: ما الموالاةُ؟ أجبْ قلْ: هيَ فعلُ ما يُحِبُّ مَنْ أُحِبْ
مِنْ غيرها ظلَّ الفسادُ يَكْبُرُ وَفتنةٌ في الأرضِ شِرْكٌ يَظْهَرُ
وَإنَّها على النُّفوسِ صعبةٌ عنْ حبِّ ربِّنا غَدَتْ علامةٌ
وَاسْتَلْزَمَتْ لِلْمُؤمنينَ حُبَّنا وَاستلزمتْ للكافرينَ بُغْضَنا
وَاستلزمتْ عداوةً لِمَنْ كفرْ عمومُهمْ ليسَ الخصوصُ فالحذرْ
فلمْ تَجِبْ لأهلِ ذِمَّةٍ، وَلا مُسْتَأْمَنٍ، وَلا مُعَاهَدٍ خَلا
وَمَنْ يوالِنا: يكنْ بِقُرْبِنا في سِلْمِنا، وَناصرًا في حربنا
إنَّ الولاءَ وَالبراءَ دينُنا مِنْ غيرِهِ لا لنْ تكونَ مؤمنا

## الواجبُ والمستحَبّ في الأعمالِ القَلبيّةِ

### حسنُ الظَّن

وَاذكرْ معانيْ الظَنِّ إنَّها تُعَدْ الشَّكُّ وَاليقينُ ثمَّ المعتَقَدْ

فالشَّكُّ في احتمالِ أمرٍ ما اتَّضحْ    منهُ الصَّوابُ وَاليقينُ ما رَجَحْ
وَالظَّنُّ إنْ بِرَبِّنا تَعَلَّقا    إذًا عليهِ اسمُ اعتقادٍ أُطْلِقا
فواجبٌ أنْ نُحْسِنَ اعتقادَنا    بِرَبِّنا، وَلا نُسِيءَ ظَنَّنا
وَفي صفاتِ اللهِ حُسْنُ الظَنِّ أنْ    نعتقدَ التَّنزيهَ عنْ نقصٍ يُظَنْ
وَالظَّنُّ إنْ نُحْسِنْهُ في أفعالِهِ    نَجْزِمْ بأنَّ الخيرَ في أقوالِهِ

## القَضاءُ والقدَرُ

وَافهمْ محاورَ القضاءِ وَالقدرْ    ثلاثةٌ إذا فَقِهْتَها تُسَرْ
الأمرُ وَالإرادةُ الشَّرعيَّةُ    وَالأمرُ وَالإرادةُ الكونيَّةُ
أي ما مِنَ الأحداثِ كانَ حاصِلا    ماضٍ وَحاضرًا أوِ المستقبَلا
وَالفرقُ بينَ الأمرِ وَالإرادةِ    كونُ وقوعِهِ بلا مَحالةِ
وَكلُّ ما يكونُ كونيًّا فقطْ    محبَّةُ اللهِ لهُ لا تُشْتَرَطْ
وَكلُّ ما يكونُ شرعيًّا أتى    فَوَاجِبٌ أَو مُسْتَحَبٌّ يا فتى

## هل الإنسانُ مُسَيَّرٌ أم مُخَيَّر؟

وَفي الإراداتِ مُخَيَّرًا غَدَا    بِشَرْطِ إذنِ ربِّهِ مُقَيَّدا
أضفْ لهُ القَبولَ في الشَّرعيَّهْ    باتتْ وسيلةً لها الكونيَّهْ

## كيفيَّةُ تحصيلِ الحسناتِ والسّيئاتِ

وَاسلكْ سبيلَ الحسناتِ تَغْنَمِ    وَاتركْ سبيلَ السَّيِّئاتِ تَسْلَمِ
أي حقِّقِ الإرادةَ الشَّرعيَّةَ    مستعمِلًا لِذلكَ الكونيَّةَ
وَاحذرْ فلا تخالفِ الشَّرعيَّهْ    أوْ أنْ تُعَطِّلَنَّ بالكونيَّهْ

## علمُ الغَيبِ

وَعلمُ غيبٍ ثالثُ المحَاوِرِ ... ما كانَ أو ما ممكنٌ في الغابِرِ
وَما يكونُ الآنَ أو ما يُحْتَمَلْ ... وَممكِنٌ وَما يكونُ في الأَزَلْ
وَمِنهُ علمٌ عَمَّ صارَ مُطَّلَعْ ... حتَّى وَلو جبريلُ وحدَهُ اطَّلَعْ
وَمِنْهُ ما يَخُصُّ ربَّنا اسْتَتَرْ ... لا مَلَكٌ حَظَى بهِ وَلا بَشَرْ
لأنَّ ربَّنا بهِ لمْ يُخْبِرِ ... أنواعُهُ: خِتامُ "لا تُصَعِّرِ"

## اللّوحُ المحفُوظ

وَربُّنا في اللَّوحِ سَطَّرَ القدرْ ... مِنْ قبلِ خَلْقِ الخَلْقِ جاءَ في الخَبَرْ
لوحٌ مِنَ التَّحريفِ محفوظٌ وَمِنْ ... مُطَّلعٍ إلَّا لِمَنْ لهُ أُذِنْ
وَالخَلْقُ لنْ يُحَاسَبوا بما كَتَبْ ... بلْ كلُّهمْ مُحَاسَبٌ بما كَسَبْ

## القَدَرِيَّةُ وَالجَبْرِيَّةُ

وَاحذرْ مِمَّنْ يقولُ بالبداءةِ ... مذهبُ سوءٍ مِنْ تَبَنِّي الشِّيعةِ
مِنْ قَدَرِيَّةٍ تقولُ: إنَّنا ... مُخَيَّرُونَ دونَ إذنِ ربِّنا
نَفَوا بِذا عِلْمَ الإلهِ ما يَغِبْ ... ما اختَصَّهُ في لَوحهِ الَّذي كُتِبْ
وَمِنْ نُفَاةِ حكمةٍ وَعِلَّةٍ ... كمذهبِ الإخوانِ وَالصُّوفيَّةِ
جَبْرِيَّةٍ نَفَوا إرادةَ البشَرْ ... بِزَعْمِهمْ بالشَّرِّ وَالخيرِ انْجَبَرْ

## القَضَاءُ والقَدَرُ

وَما مضى مِنَ المُقَدَّرِ: القَضَا ... وَالقَدَرُ: الَّذي بَقِيْ وَما مضى
وَيُعرَفا أيضًا بمعنىً آخَرِ ... هما: الإراداتُ معَ الأوامرِ

## أَلفاظٌ تُستَعمَلُ فِي القضاءِ والقَدَرِ

### كلمة "إِن شاء الله"

وَواجبٌ تعليقُنا المشيئةَ ... وَذاكَ قبلَ فِعْلِنا الإرادةَ
وَإِنْ تكنْ بِربِّنا معلَّقهْ ... فجائزٌ أَنْ نَنْوِها مُحَقَّقهْ

### "لو" مَعَ "قدّر الله وما شاء فعل"

إِنْ لمْ تقلْ: "لو" معها إِذًا تقلْ ... أي: قدَّرَ اللهُ وَما شاءَ فعلْ
وَجائزٌ في موطِنَينِ قولُها ... وَفيهما "لوِ" الْتَزِمْ بقولها
في الأمرِ وَالإرادةِ المعلَّقهْ ... معَ مشيئةِ الإلهِ المطلقهْ
أَوِ الَّتي بكونِها لمْ يأذَنِ ... بعدَ قيامنا بكلِّ ممكِنِ

### متى تجوز "لو"؟

يجوزُ في التَّحضيضِ وَالتَّأْنيبِ أو ... معَ التَّمنِّي يا أخي وُرُودُ "لو"
لأنَّها في هذهِ المواطِنِ ... مِنْ ردِّها القَضا غدتْ في مَأْمَنِ

### الصَّبرُ

للصَّبرِ أنواعٌ ثلاثةٌ إذا ... عرفتَها فقلْ: تحمُّلُ الأذى
فأَوَّلًا: على أذى الطَّاعاتِ قمْ ... بالاصطبارِ إنْ أردتَ أنْ تَدُمْ
أيِ احمِلِ الأذى على الأذى وَدُمْ ... مُصابرًا متى مُنازِعٌ يَهُمْ
فَصَابِرِ الشَّيطانَ وَالنَّفسَ وَكا ... فِرًا وَمُبْغِضًا وَحاسدًا لَكَا
وَثانيًا: عنِ المعاصي كلِّها ... فالأجرُ كانَ قدْ رمى يدعو لها

وَثالثًا: على المصائبِ اصْبِرَنْ أي نفسَكَ احبِسْها لكي لا تَجْزَعَنْ
ثمَّ احبسِ اللِّسانَ لا تسخَطْ، وَعنْ لطمٍ وشَقٍّ الجوارحَ احْبِسَنْ

## الاحتِسَابُ

ثمَّ احتَسِبْ يا عارفًا قدرَ العملْ وَأجرَ طاعةٍ مِنَ الرَّحمنِ سَلْ
وَللمعاصي تاركًا وَتائبا وَاحتسبِ المباحَ وَالمصائبا

## الرِّضَا

قلْ: إنَّني باللهِ ربًّا راضيا أي قابِلًا معَ ارتياحِ قَلْبِيَا
كذا بطاعةِ النَّبيِّ المطلَقهْ وَدينيَ الإسلامُ لنْ أُشَاقِقَهْ
أمَّا الرِّضا بعدَ المصائبِ اسْتُحِبْ لِمَنْ يكونُ صابرًا وَمُحْتَسِبْ
وَذا لهُ أسبابُهُ كَعِلْمِنا بحكمةٍ لها وَحُسْنِ ظَنِّنا

## الابتِلَاءُ

وَالابتلاءُ يا أخي مِنَ القَدَرْ هوَ امتحانُنا بهِ سَنُخْتَبَرْ
أسبابُهُ: الطَّاعاتُ وَالمعاصي لِرَفعِ مؤمنٍ وَغَسْلِ عاصِ
وَمَحَّصَ النُّفوسَ كاشفًا لها صديقَها مِنَ العِدا وَقَدْرَها
أو حكمةً مِنْ فِعْلِ ربِّنا أتتْ معلومةً لنا وَربَّما خَفَتْ
وَكلُّ مؤمنٍ سَيُبْتَلى وَمَنْ يكنْ منافِقًا فسوفَ يُفْتَتَنْ
وَالفتنةُ استخراجُ ما في النَّفسِ مِنْ خُبْثٍ وَمَنْ يُلازِمِ التَّقوى أَمِنْ

## الخوفُ

وَالخوفُ يا أخي: اضطرابُ القلبِ مِنْ ... توقُّعِ المكروهِ فاحذرْ وَاطمئِنْ
وَخوفُنا مِنَ الإلهِ ينقَسِمْ ... لِذاتهِ فَهْوَ القويُّ المنتقِمْ
وَمِنْ عقابهِ الَّذي يصيبُنا ... في هذهِ الدُّنيا وَبعدَ موتنا
وَمَنْ يخفْ آلهةً أو يَخْشَ مِنْ ... طاغيةٍ؛ فَخَوفُهُ شِرْكٌ عَفِنْ
وَالخوفُ منهُ فطرةً لا ينجلي ... وَحكمُهُ: كَحُكْمِ علمٍ زائلِ

## الخَشيةُ والوَجَلُ

وَمَنْ لِخشيةٍ يَضُمُّ جَوفُهُ ... فَقُلْ على التَّعظيمِ زادَ خوفُهُ
وَمَنْ مِنَ التَّعظيمِ خوفُهُ أَقَلْ ... أي غالبًا تعظيمُهُ فقدْ وَجَلْ

## الخُشوعُ

وَمنْ يُسَكِّنِ الفؤادَ خاضِعا ... ذُلًّا لِذِكْرِ اللهِ صارَ خاشِعا
وَذا عنِ التَّعظيمِ وَالخوفِ انْبَثَقْ ... في جَوفِ مؤمنٍ بربِّهِ صَدَقْ

## الرَّجاءُ

وَبالرَّجاءِ ارتاحَ قلبُ مُرْتَقِبْ ... يرجو لقاءَ أو عطاءَ مَنْ يُحِبْ
وَما الرَّجا سعى لِمِا يرجو وَصَلْ ... مَنْ يَتَمَنَّ عاجزًا معَ الكسلْ

## التَّوكُّلُ

وَمَنْ بقلبهِ اعتمادُهُ على ... ربِّ الورى فقطْ فقدْ توكَّلا
وَذاكَ باتَ واثِقًا بربِّهِ ... لِجَلْبِ نفعٍ أو لِدَفعِ كَرْبِهِ

## التَّوَاكُلُ وَالتَّوكِيل

وَلا توكُّلًا بلا أخذِ السَّببْ فَذا تواكُلٌ بِتَرْكِهِ انقلَبْ
وَوَكِّلِ الرَّحمنَ في حاجاتِكَ يا فاقدَ الأسبابِ بعدَ عجزِكَ

## تَوَكّلُ الجَاهِلِ وَالـمُشرِكِ

وَمَنْ لِفعلِهِ المعاصي يعتمدْ على الإلهِ جاهلًا لمْ يستَفِدْ
وَمَنْ على الأسبابِ قدْ توكَّلا فقطْ فَشِرْكٌ أصغَرٌ لنْ يُقْبَلا
وَمَنْ على ربٍّ سوى اللهِ اتَّكَلْ فالشِّرْكُ أكبرٌ بفعلِهِ حصلْ

## الاستِعَانَةُ وَالاستِعَاذَة

وَاللهَ في جَلْبِ المنافعِ اسْتَعِنْ بقلبكَ اطلبْ عونَهُ لا تَسْتَهِنْ
وَاللهَ فاسْتَعِذْ في دَفعِ ما يَضُرْ بقلبكَ التجِئْ لهُ وَلْتَصطَبِرْ

## عَلَامَاتُ رِضَا اللهِ، وَعَلَامَاتُ قَبُولِ الطَّاعَةِ

وَاعرفْ رضا الرَّحمنِ مِنْ هدايتِهِ وَعونِهِ لأجلِ يُسْرِ طاعتِهِ
وَربُّنا إنْ يصرفِ المعاصيا عنْ عبدِهِ إذًا عليهِ راضيا
وَاعرفْ قَبولَ طاعةٍ مِنْ حُبِّها وَمِنْ دوامِها وَمِنْ بديلِها

## الحَالُ وَالـمَقَامُ

الحالُ: أعمالُ القلوبِ إنْ وُجِدْ مؤثِّرًا بها تزولُ إنْ فُقِدْ
وَإنَّما المَقامُ حينَ تَسْتَقِرْ في القلبِ، أي بلا انقطاعٍ تستَمِرْ

## دوَاعِي العَمَلِ

وَالنَّاسُ في الأعمالِ لـمَّا تنهمِكْ ... فَبَيْنَ مأمورٍ وَبينَ مشترَكْ
أو متشبِّهًا أوِ الَّذي اندفعْ ... مِنْ ذاتِهِ: ذا خيرُ ساعٍ انتفَعْ

## الخَاتِمَةُ

بحمدِ ربِّنا افتتحناها وَها ... نحنُ بحمدِهِ بلغنا خَتْمَها
سلسلةٌ في السِّجن قدْ نظمتُها ... متنًا غَدَا سهلًا بِهِ تعليمُها
وَقالَ أصحابي: طويلٌ نظمُها ... في ذا الزَّمانِ مستحيلٌ حِفظُها
فكلُّنا في همِّهِ مُنْذ اعْتُقِلْ ... أمسى، وَعنْ حفظِ المتونِ مُنْشَغِلْ
فنحنُ للرَّشَّاشِ، لسنا للقلَمْ ... نمضي نُعِيدُ المجدَ، نبلغُ القِمَمْ
ولَّى زمانُ الدَّرسِ، وَلَّتِ الحِلَقْ ... فالقنصُ وَالتَّفخيخُ شُغْلُ مَنْ صَدَقْ
فاحذرْ أخي لا تنبطحْ، فقلتُ: مَهْ ... تمهَّلوا ما ذا الهوى ما ذا العَمَهْ؟!
مِنْ غيرِ علمٍ لنْ تقومَ قائمهْ ... لنا وَلنْ نحيا حياةً مُنْعَمَهْ
لا نشتكي الهمومَ إنَّما الهِمَمْ ... ماتتْ، فَذُلٌّ نابَنا وَالجهلُ طَمْ
علمُ الشَّريعةِ السَّبيلُ للقممْ ... وَما السُّيوفُ عندهُ إلا خَدَمْ
فَاحْظَ بهِ تَنْجُ فإنَّ مَنْ سلكْ ... دربَ النَّجاةِ دونَهُ حتمًا هَلَكْ
حتَّى وَلو غَدَا الجهادَ مَطْلَبُهْ ... فالظُّلمُ معْ قطعِ الطَّريقِ مذهبُهْ
فالحمدُ دائمًا لكاشفِ المِحَنْ ... نشكو لهُ الأسى وَغربةَ الزَّمنْ
وَنسألُ الإخلاصَ في هذا العملْ ... معَ الرِّضا وَعفوِهِ عنِ الزَّلَلْ
عنَّا وَعنْ شيوخنا وَكلِّ مَنْ ... سعى لِنَشْرِ ذي العلومِ وَاقْبَلَنْ
وَصَلِّ مولانا على حبيبنا ... محمَّدٍ فدىً لهُ أرواحُنا

وَآلِهِ وَصحبهِ وَمُهْتَدِي بِهَدْيِهِ معَ السَّلامِ الأَبَدِيْ

# فهرس المصادر

1. **الإبهاج في شرح المنهاج ـ** منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنه 785هـ ـ: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب. الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت.
2. **اجتماع الجيوش الإسلامية:** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). تحقيق: عواد عبد الله المعتق. الناشر: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض. الطبعة الأولى: (1408هـ/ 1988م).
3. **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام:** ابن دقيق العيد. الناشر: مطبعة السنة المحمدية
4. **أحكام القرآن:** القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ). راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الثالثة، 1424 هـ – 2003 م
5. **إحياء علوم الدين:** أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ). الناشر: دار المعرفة – بيروت.
6. **أدب الدنيا والدين:** أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ). الناشر: دار مكتبة الحياة.
7. **الاستقامة:** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). المحقق: د. محمد رشاد سالم. الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة. (الطبعة الأولى: 1403).
8. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** محمد الأمين بن محمد الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ). الناشر: دار الفكر ـ لبنان ـ عام النشر: 1415 هـ – 1995م.

9. **الاعتصام**: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ). تحقيق: تحقيق الشقير والحميد والصيني. الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م

10. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: محمد بن أبي بكر، شمس الدين، ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. الناشر: دار الكتب العلمية – ييروت. الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م.

11. **الأعلام**: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ). الناشر: دار العلم للملايين. الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.

12. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). المحقق: محمد حامد الفقي. الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

13. **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). المحقق: ناصر عبد الكريم العقل. الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان. ط: السابعة، 1419هـ - 1999م.

14. **اقتضاء العلم العمل**: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ). المحقق: محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت. (الطبعة الرابعة 1397).

15. **الأقدس على الأنفس**: الشيخ مصطفى ماء العينين. طبعة حجرية.

16. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى: 1418هـ

17. **أمراض القلب وشفاؤها**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة.

18. **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**: ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليمني (المتوفى: 840هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الثانية، 1987م.

19. **إيقاظ الهمم شرح متن الحكم**: الشيخ ابن عجيبة.

20. **بدائع الفوائد**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

21. **البداية والنهاية**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) المحقق: علي شيري. الناشر: دار إحياء التراث العربي. الطبعة: الأولى 1408، هـ – 1988 م.

22. **البرهان في أصول الفقه**: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ).المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة.الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت – لبنان.

23. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ).المحقق: محمد علي النجار. الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء. التراث الإسلامي، القاهرة.

24. **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ).المحقق: مجموعة من المحققين. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. (الطبعة الأولى: 1426هـ).

25. **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ). المحقق: مجموعة من المحققين. الناشر: دار الهداية.

26. **تاريخ ابن خلدون**: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ). المحقق: خليل شحادة. الناشر: دار الفكر، بيروت. (الطبعة الثانية 1408 هـ - 1988 م).

27. **تاريخ الطبري**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ). الناشر: دار التراث – بيروت. (الطبعة الثانية: 1387 هـ)

28. **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**: طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (المتوفى: 471هـ). المحقق: كمال يوسف الحوت. الناشر: عالم الكتب – لبنان. (الطبعة الأولى: 1403هـ - 1983م).

29. **التبيان في أقسام القرآن**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). المحقق: محمد حامد الفقي. الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

30. **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر ابن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ). الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس. سنة النشر: 1984 هـ

31. **التحفة العراقية في الأعمال القلبية**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة. (الطبعة: الثانية 1399هـ).

32. **التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني

الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). المحقق: د. محمد بن عودة السعوي. الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض. الطبعة: السادسة 1421هـ / 2000م.

33. **التذكرة الحمدونية:** حمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: 562هـ) دار صادر بيروت، الطبعة: الأولى، 1417 هـ.

34. **تسهيل العقيدة الإسلامية**: عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين. الناشر: دار العصيمي للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية.

35. **التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه**: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: 200هـ) قدمت له وحققته: هند شلبي الناشر: الشركة التونسية للتوزيع عام النشر: 1979 م.

36. **التعازي والمراثي**: لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: 285هـ)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

37. **التعريفات**: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ). المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى 1403هـ – 1983م

38. **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ). الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، 1424 هـ – 2003 م.

39. **تفسير أسماء الله الحسنى**: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ). المحقق: أحمد يوسف الدقاق. الناشر: دار الثقافة العربية.

40. **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ). المحقق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة: الثانية 1420هـ – 1999 م.

41. **التفسير القيم (لابن القيم)**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان. الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت. (الطبعة الأولى: 1410 هـ).

42. **تفسير مقاتل بن سليمان**: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته. الناشر: دار إحياء التراث – بيروت. (الطبعة الأولى – 1423 هـ).

43. **التفسير من سنن سعيد بن منصور** – محققا : أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: 227هـ). دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد. الناشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع. الطبعة: الأولى، 1417 هـ – 1997 م.

44. **تلبيس إبليس**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ). الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان. الطبعة الأولى: 1421هـ/ 2001م.

45. **التمسك بالسنن والتحذير من البدع** : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ). المحقق: محمد باكريم محمد باعبد الله. الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: (السنة 27 -- العددان 103 - 104 -- 1416 /1417هـ - 1996م/1997م).

46. **تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي**: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ). حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي. الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت. (الطبعة الثالثة: 1421 هـ – 2000 م).

47. **التهذيب في اختصار المدونة**: خلف بن أبي القاسم محمد، الأزدي القيرواني، أبو سعيد ابن البراذعي المالكي (المتوفى: 372هـ). دراسة وتحقيق: الدكتور محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ. الناشر: دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي. الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2002 م.

48. **التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين**: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي. المحقق: بشير محمد عيون. الناشر: مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية. الطبعة الأولى (1411هـ/1990م).

49. **جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ). المحقق: أحمد محمد شاكر. (مؤسسة الرسالة) الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

50. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ). المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس. الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. الطبعة: السابعة ( 1422هـ - 2001م)

51. **جامع المسائل**: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : 728هـ). تحقيق : محمد عزير شمس. إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد. الناشر : دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع. (الطبعة الأولى: 1422 هـ)

52. **جامع بيان العلم وفضله**: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ). تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية (الطبعة الأولى 1414 هـ - 1994 م).

53. **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**: أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ). تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة. الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

54. **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**: أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني (المتوفى: 390هـ). المحقق: عبد الكريم سامي الجندي. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. (الطبعة الأولى 1426 هـ – 2005 م).

55. **جمهرة اللغة**: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ). المحقق: رمزي منير بعلبكي. الناشر: دار العلم للملايين – بيروت. الطبعة: الأولى، 1987م.

56. **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). الناشر: دار المعرفة – المغرب. (الطبعة الأولى 1418هـ – 1997م).

57. **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: 775هـ). الناشر: مير محمد كتب خانه – كراتشي

58. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ). الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ – 1974م

59. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ). المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان. الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند. (الطبعة: الثانية 1392هـ/ 1972م)

60. **دقائق التفسير الجامع**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). المحقق: د. محمد السيد الجليند. الناشر: مؤسسة علوم القرآن – دمشق. (الطبعة الثانية 1404هـ).

61. **ذم الهوى**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ). المحقق: مصطفى عبد الواحد. مراجعة: محمد الغزالي

62. **الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). الناشر: مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة، مصر. الطبعة: 1403هـ/ 1983م

63. **الرسالة التبوكية** ـ زاد المهاجر إلى ربه ـ: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). المحقق: د. محمد جميل غازي. الناشر: مكتبة المدني – جدة

64. **الرسالة القشيرية**: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ).تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف. الناشر: دار المعارف، القاهرة.

65. **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب**: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ). المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. الطبعة: 1413هـ

66. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة: 1403هـ/ 1983 م

67. **زاد المعاد في هدي خير العباد**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت. (الطبعة السابعة والعشرون ، 1415هـ / 1994م).

68. **الزاهر في معاني كلمات الناس**: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: 328هـ) المحقق: د. حاتم صالح الضامن. الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت. الطبعة: الأولى، 1412 هـ -1992.

69. **الزهد الكبير**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ). المحقق: عامر أحمد حيدر. الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت. الطبعة: الثالثة، 1996.

70. **الزواجر عن اقتراف الكبائر**: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ). الناشر: دار الفكر. الطبعة: الأولى، 1407هـ – 1987م

71. **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد**، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ). تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد. الموجود، الشيخ علي محمد معوض. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان. (الطبعة الأولى 1414 هـ – 1993 م).

72. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (المتوفى: 1420هـ). الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)

73. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ) دار النشر: دار المعارف، الرياض – المكلة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، 1412 هـ / 1992 م

74. **سنن أبي داود**: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ). المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

75. **سنن الترمذي**: محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ).تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وغيره. الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر. الطبعة: الثانية، 1395 هـ – 1975م

76. **سنن الدارمي**: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ). تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000 م

77. **السنن الصغرى للنسائي**: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب. الطبعة: الثانية، 1406 – 1986م.

78. **السنن الكبرى**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ). المحقق: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات. الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.

79. **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (المتوفى: 748هـ) الناشر: دار الحديث- القاهرة. الطبعة: 1427هـ-2006م.

80. **شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: 702هـ). الناشر: مؤسسة الريان. (الطبعة: السادسة 1424 هـ - 2003 م).

81. **شرح العقيدة الأصفهانية**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). المحقق: محمد بن رياض الأحمد. الناشر: المكتبة العصرية – بيروت. (الطبعة الأولى 1425هـ).

82. **شرح النووي على صحيح مسلم**: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. (الطبعة: الثانية، 1392هـ)

83. **شرح الورقات في أصول الفقه**: جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي (المتوفى: 864هـ). قدَّم له وحققه وعلَّق عليه: الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة. الناشر: جامعة القدس، فلسطين. (الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م).

84. **شرح صحيح البخارى**: ابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض. الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م.

85. **شرف المصطفى**: عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (المتوفى: 407هـ) الناشر: دار البشائر الإسلامية – مكة. (الطبعة الأولى - 1424 هـ).

86. **الشريعة**: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: 360هـ). المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي. الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية. (الطبعة الثانية 1420 هـ - 1999 م).

87. **شعب الإيمان**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ). حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد. أشرف على تحقيقه. وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند. الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند. الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م

88. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). المحقق: -. الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان. (الطبعة: 1398هـ/ 1978م)

89. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ). المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد

عبد الله. الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية). الطبعة الأولى 1420 هـ - 1999 م

90. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الناشر: دار العلم للملايين - بيروت. الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987م

91. **صحيح أبي داود**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (المتوفى: 1420هـ). الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت. الطبعة: الأولى، 1423.

92. **صحيح الأدب المفرد**: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ ) حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع. الطبعة: الرابعة، 1418 هـ - 1997 م

93. **صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

94. **صحيح الترغيب والترهيب**: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ). الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

95. **صحيح الجامع الصغير وزياداته**: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، الألباني (المتوفى: 1420هـ). الناشر: المكتب الإسلامي.

96. **صحيح مسلم**: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ). المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

97. **صفة الصفوة**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ). المحقق: أحمد بن علي .لناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر. الطبعة: 1421هـ/ 2000م

98. **الصلاة وأحكام تاركها**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). الناشر: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.

99. **الطب النبوي**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: دار الهلال – بيروت.

100. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر. (الطبعة الثانية: 1394هـ)

101. **العبودية**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). المحقق: محمد زهير الشاويش. الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.(الطبعة السابعة المجددة 1426هـ – 2005م)

102. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/ مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثالثة، 1409هـ/ 1989م

103. **العقيدة الواسطية**: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود. الناشر: أضواء السلف – الرياض. الطبعة: الثانية 1420هـ / 1999م

104. **علم أصول الفقه**: عبد الوهاب خلاف (المتوفى : 1375هـ). الناشر : مكتبة الدعوة – شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم).

105. **العين**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. الناشر: دار ومكتبة الهلال.

106. **الغريب المصنف**: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ) المحقق: صفوان عدنان داوودي. الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

107. **فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. الناشر: غراس، الكويت. (الطبعة الأولى 1424هـ/ 2003م).

108. **فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية**: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش. الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض

109. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ) محقق. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية.الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996 م

110. **فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد**: حامد بن محمد بن حسين بن محسن. المحقق: بكر بن عبد الله أبو زيد. الناشر: دار المؤيد. الطبعة: الأولى 1417هـ/ 1996م

111. **الفتوى بالشبكة الإسلامية**: تم نسخه من الإنترنت: في 1 ذو الحجة 1430، هـ = 18 نوفمبر، 2009 م

112. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: 429هـ). الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت. (الطبعة الثانية 1977)

113. **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط. الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق عام النشر: 1405 هـ – 1985 م

114. **الفروق اللغوية**: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ). حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم. الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

**115. الفصل في الملل والأهواء والنحل**: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ). الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة

116. **الفقيه والمتفقه:** لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة: الثانية، 1421هـ.

117. **فوات الوفيات**: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: 764هـ). المحقق: إحسان عباس. الناشر: دار صادر – بيروت. الطبعة: الأولى الجزء: 1 – 1973، الجزء: 2، 3، 4– 1974.

**118. الفوائد**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الثانية، 1393 هـ – 1973 م

119. **في ظلال القرآن**: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ). الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة. الطبعة: السابعة عشر – 1412 هـ.

120. **قاعدة في المحبة**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). المحقق: محمد رشاد سالم. الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

121. **القاموس المحيط**: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: 817هـ). تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان. الطبعة: الثامنة، 1426 هـ – 2005 م

122. **القناعة والتعفف**: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: 281هـ). دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى(1413 هـ – 1993 م).

123. **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: 386هـ). المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان. الطبعة: الثانية، 1426 هـ –2005 م

124. **الكافية الشافية متن القصيدة النونية**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة. الطبعة: الثانية، 1417هـ.

125. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) الناشر: دار الكتاب العربي/ بيروت الطبعة: الثالثة – 1407 هـ.

126. **لسان العرب**: محمد بن مكرم ، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ). دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة: الثالثة – 1414هـ

127. **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى:

1188هـ). الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق. الطبعة: الثانية – 1402 هـ – 1982 م

128. **متن العقيدة الطحاوية**: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ). شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة: الثانية، 1414 هـ

129. **مجموع الفتاوى**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ). المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف).

130. **المجموع شرح المهذب** - مع تكملة السبكي والمطيعي - المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ). الناشر: دار الفكر.

131. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبو محمد عبد الحق بن غالب، ابن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ). المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى – 1422 هـ

132. **المحصول في أصول الفقه**: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ). المحقق: حسين علي اليدري – سعيد فودة. الناشر: دار البيارق – عمان. الطبعة: (الأولى: 1420هـ – 1999).

133. **مختار الصحاح**: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ). المحقق: يوسف الشيخ محمد. الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا.

134. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي. الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ – 1996م.

135. **المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب**: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى : 1429هـ) الناشر : دار العاصمة - مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة. (الطبعة : الأولى ، 1417 هـ)

136. **المدخل**: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: 737هـ). الناشر: دار التراث.

137. **المستقصى في أمثال العرب**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الثانية، 1987م.

138. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: 241هـ). المحقق: شعيب الأرنؤوط، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.

139. **المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان. الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م

140. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : 1377هـ) المحقق : عمر بن محمود أبو عمر. الناشر : دار ابن القيم – الدمام. (الطبعة الأولى 1410 هـ - 1990 م).

141. **معالم السنن** - شرح سنن أبي داود -: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ). الناشر: المطبعة العلمية – حلب. الطبعة: الأولى 1351 هـ - 1932 م

142. **المعجم الأوسط**: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ). المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

143. **معجم الفروق اللغوية**: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ). المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي. الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم».الطبعة: الأولى، 1412ه

144. **معجم اللغة العربية المعاصرة**: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل. الناشر: عالم الكتب. الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008 م.

145. **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار). الناشر: دار الدعوة

146. **معجم مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر. عام النشر: 1399هـ – 1979م

147. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ). الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

148. **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ). المحقق: صفوان عدنان الداودي. الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشقبيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ.

149. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى:

324ه). المحقق: نعيم زرزور. الناشر: المكتبة العصرية. الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م.

150. **مقدمة ابن الصلاح ـ معرفة أنواع علوم الحديث ـ**: عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643هـ). المحقق: نور الدين عتر. الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت. سنة النشر: 1406هـ - 1986م

151. **منازل السائرين**: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: 481هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

152. **منح الجليل شرح مختصر خليل**: محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: 1299هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت. الطبعة: بدون طبعة. تاريخ النشر: (1409هـ/ 1989م).

153. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ). المحقق: محمد رشاد سالم. الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (الطبعة الأولى: 1406 هـ - 1986 م).

154. **منهج الأشاعرة في العقيدة**: سفر بن عبد الرحمن الحوالي. الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة السادسة عشرة، العدد الثاني والستون ربيع الآخر- جمادى الآخرة 1404هـ/ 1984م

155. **منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة**: تامر محمد محمود متولي. الناشر: دار ماجد عسيري. (الطبعة الأولى: 1425هـ-2004م).

156. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي. الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1963 م.

157. **النكت على مقدمة ابن الصلاح**: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: 794هـ). المحقق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج. الناشر: أضواء السلف – الرياض. (الطبعة: الأولى 1419هـ – 1998م)

158. **النهاية في غريب الحديث والأثر**: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ). الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م). تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

159. **الورقات في أصول الفقه**: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ).المحقق: د. عبد اللطيف محمد العبد.

160. **الوساطة بين المتنبي وخصومه:** لأبي الحسن علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني (المتوفى: 392هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

161. **اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر**: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ). المحقق: المرتضي الزين أحمد الناشر: مكتبة الرشد – الرياض. (الطبعة الأولى: 1999م).

# فهرس موضوعات الكتاب